سلسلة المنظومة التربوية (٥)

أصول التربية الإسلامية

إعداد
الدكتور خالد بن حامد الحازمي

الأستاذ المشارك بقسم التربية
بالجامعة الإسلامية

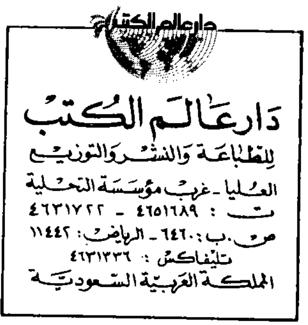


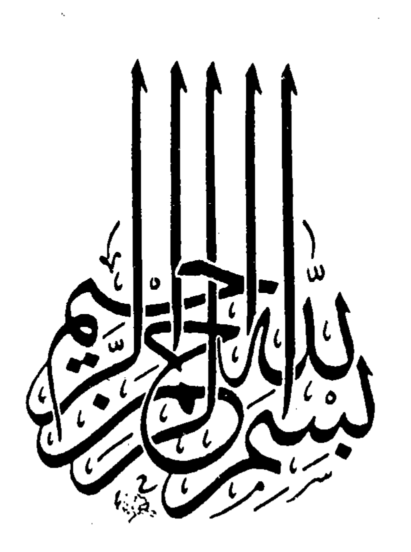
أصول التربية الإسلامية

ⓒ دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
الحازمي، خالد بن حامد
أصول التربية الإسلامية - المدينة المنورة
٤٣٠ ص، ١٧×٢٤ سم: (سلسلة المنظومة التربوية: ٥)
ردمك: ٤-٧١٨-٣٤-٩٩٦٠
١ - التربية الإسلامية　　أ - العنوان　　ب - السلسلة
ديوي ٣٧٧,١　　١٨/٣٩٣٨

الطَبعَة الأولى
١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع: ٣٩٣٨/ ١٨
ردمك: ٤- ٧١٨ -٣٤ -٩٩٦٠




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

إن التربية الإسلامية تمثل المنهج الذي يحقق التطبيق الفعلي للتشريع الإسلامي، لأن الإسلام ليس جانباً علمياً معرفياً فقط، بل يهدف إلى التطبيق العملي، والعلم وسيلة لتحقيق الجانب التطبيقي الصحيح، الذي يرسم للإنسان سبيل الهدى، الذي جاء به جميع الأنبياء عليهم السلام، وآخرهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

فعلَّم النبي ﷺ أصحابه ورباهم فأحسن تربيتهم، حتى وصلوا إلى أعلى قمة التفوق التربوي، فأصبحوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، كما وصفهم الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وبهذه البعثة النبوية المباركة، وبالمنهج التربوي النبوي الذي تربى

---

(١) سورة الجمعة: آية رقم (٢).

(٢) سورة الحشر: آية رقم (٩).

عليه الصحابة رضي الله عنهم تغير مجرى التاريخ، وحياة البشرية، وأنقذ الله على يديه أُمماً ومجتمعات أنهكتها الحروب، ودمرتها الرذائل، وبددتها الشحناء والبغضاء، وانحدر تفكيرهم إلى أن عبدوا ما لا يسمع ولا يعقل.

وبعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام قام الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين بالدور المنوط بهم من توجيه وإرشاد جيل التابعين، وربوهم التربية الجادة التي أظهرت منهم علماء وقادة للبشرية نحو الحق والصواب. حتى أصبحت سيرتهم ومنهجهم يُعد مصدراً تربوياً لأجيال اليوم، لِمَا تمثل فيهم من جدة في العلم والعمل، وشجاعة في الحق، وصبر على ذلك، يشحذ همم من أراد أن يسلك مسلكهم ويقتفي أثرهم.

ثم جاء التابعون من بعد الصحابة فبذلوا الجد والجهد، وظهر تأثيرهم التربوي على الأجيال، التي يحكيها لنا التاريخ وكُتب السِّيَر والأعلام.

ثم بدأت التربية بعد العصور الثلاثة المفضلة بين مد وجزر، ولكن لم تخل حقبة زمنية من التاريخ الإسلامي من حفاظ على قوام التربية الإسلامية، وإن اختلفت من حيث الثبات وسعة الإنتشار في المجتمعات الإسلامية.

وأما فيما يختص بتاريخ تدوين التربية الإسلامية والتأليف فيها كفن له أُسسه ومنهجه، فإن القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية القولية والفعلية والتقريرية تمثل لنا الأساس المرجعي في ذلك، فالقرآن الكريم قد بيَّن لنا المنهج الذي ينبغي أن نربي عليه أنفسنا وأهلينا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1] فهذا أمر من الله تعالى بالإستجابة لكل ما تضمنه القرآن الكريم والسُنَّة النبوية، فبهما حياة البشرية وسعادتها في الدنيا والآخرة، كما تضمن القرآن الكريم نماذج من الأساليب التربوية المتعددة: كأسلوب القصة والموعظة والحوار والعبرة والقدوة، وتضمن أيضا على ما يجلب للإنسان السعادة الأبدية والنعمة السرمدية،

---

(١) سورة الأنفال: آية رقم (٢٤).

ووضح للبشرية ما تحتاج إليه في أمور معاشها ومعادها. كما تضمنت السنة النبوية المطهرة المنهج النبوي المتكامل المتمثل في حياة الرسول ﷺ مع أهله في بيته، ومع أقاربه، ومع أصحابه، ومع الوفود التي تَقْدُم إليه معلنة إسلامها، ومع أعدائه مشركي قريش في مكة، ومع اليهود ومع المنافقين في المدينة، وفي الجوانب العقدية والتعبدية والخُلُقية، والعلمية، وفي غيرها مما سيوضحه مضمون هذا الكتاب، كما تضمنت السنة النبوية الأساليب التربوية كالعبرة والقصة والموعظة والترغيب والترهيب والحوار، وغير ذلك من الأساليب التربوية المتعددة.

ولما تم تدوين الحديث النبوي اشتمل ذلك التدوين على منهجه ﷺ في تربيته لأصحابه، ثم أُفردت بعد ذلك بعض الكتب التي اشتملت على جوانب من التربية، مثل: كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله، ثم توالت المؤلفات في مجال التربية الإسلامية عبر السنين متفاوتة في موضوعاتها، أي أنها أخذت طابعاً تخصصياً، فبعضها تناول الجوانب الخُلُقية، وبعضها عني بقضايا التعليم والتعلم، ومنها ما اختصر على جوانب المولود وأحكامه، وبعضها ركز على الزهد، ولعل ذكر بعض منها يؤكد ويوضح ذلك تاريخياً وموضوعياً:

أولاً: كتب في التعليم والتعلم:

- آداب المعلمين لابن سحنون. المُتوفَّى سنة ٢٥٦هـ.
- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين للقابسي، ٣٢٤ ـ ٤٠٣هـ.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ.
- تعليم المتعلم في طريق التعلم، برهان الدين الزرنوجي، المُتوفَّى سنة ٥٩٣هـ.
- الحث على الحفظ، لابن الجوزي، ٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ.

- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، لابن جماعة، ٦٣٩ـ٧٣٣هـ.

ثانياً: كتب في التربية والاخلاق:

- الاخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم، ٣٨٤ـ٤٥٦هـ.
- أدب الدنيا والدين، للماوردي، ٣٦٤ـ٤٥٠هـ.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، ٤٩٩ـ٥٠٢هـ.
- أيها الولد، لأبي حامد الغزالي، ٤٥٠ـ٥٠٥هـ.
- لفتة الكبد في نصيحة الولد، لابن الجوزي، ٥٠٨ـ٥٩٧هـ.
- السلوك (المجلد العاشر من الفتاوى) لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٦٦١ـ ٧٢٨هـ.
- تحفة المودود بأحكام المولود، لابن قيم الجوزية، ٦٩١ـ٧٥١هـ.
- الآداب الشرعية، لابن مفلح، المُتوفَّى سنة ٧٦٣هـ.
- تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتج إليها مؤدّبو الأطفال، لشهاب الدين أبي العباس أحمد الهيثمي الأنصاري، ٩٠٩ـ٩٧٣هـ.

كتب في الزهـد :

- كتاب الزهد، لابن المبارك، المتوفى سنة ١٨١هـ.
- كتاب الزهد، للإمام وكيع الجراح، ١٢٩ـ١٩٧هـ.
- كتاب الزهد، للإمام أحمد بن حنبل، ١٦٤ـ٢٤١هـ.
- كتاب الزهد للإمام هناد بن السري الكوفي، ١٥٢ـ٢٤٣هـ.

وهذه المصنفات المذكورة وأمثالها التي لم تُذكر تؤكد حقيقة مؤداها أن هناك اهتماماً بالعلوم التربوية عند علماء سلف هذه الأمة، وأن العلوم الإسلامية قد اشتملت على الكثير من القضايا التربوية، مما يُزيل اللبس الذي قد يحصل عند البعض من أن العلماء من سلف الأمة لم يتطرقوا

لقضايا التربية، وأنها من العلوم الدخيلة، المستقاة من علوم الغربيين، المأخوذة عن أسلافهم فلاسفة اليونان.

والحقيقة أنه لا بد من الإشارة إلى أمرين: الأول: أن انتشار الكتب التربوية الوافدة، والترجمات لها، أو التي تستقي مادتها العلمية من العلوم التربوية الغربية، ينبغي أن لا يؤدي بنا ذلك إلى القول بأن التربية علم حديث، تم جلبه من الغرب. والأمر الثاني: أن نفرق بين العلم التربوي الصحيح، وبين الأفكار التربوية المُستجلبة من الخارج. وأن لا نعالج الخطأ بالخطأ ونغالط واقعنا وجهود أمتنا في المجال التربوي.

ولعل ما سبق يقودنا إلى أن نعرج على قضية التداخل المنهجي بين العلوم التربوية الإسلامية، ونقيضها من العلوم الوافدة، حيث أنه لما تُرجمت علوم اليونان للغة العربية في العصر العباسي تأثر البعض بها، فأثرت على بعض العلوم الإسلامية والتي منها التربية، فظهر بعض المصنفات التي منها على سبيل المثال: كتاب تحصيل السعادة، للفارابي المُتوفَّى سنة ٣٣٩هـ وكتاب تهذيب الأخلاق لابن مسكويه المُتوفَّى سنة ٤٢١هـ وغيرهما.

وأما في الزمن المعاصر فنجد أن التصنيف في التربية قد أخذ اتجاهات متعددة، فهناك ترجمات لبعض الكتب الغربية، دون أن يُدوَّن عليها أي ملاحظات، مثل: كتاب فلسفة التربية لفيليب هـ. فينكس، وكتاب آفاق جديدة في التربية، لجوزيف تاسمان، وغيرهما.

وهناك مؤلفات تربوية قد تأثرت تأثراً تاماً بالمناهج والنظريات الغربية، فكانت المصنفات الغربية هي مادتها العلمية، تستقي منها، وتسقيها لأبناء الأمة، وتتصف هذه الكتب بأنها تركز على موضوعات معروفة عند المهتمين بالعلوم التربوية، فهي تُركز مثلاً على فلسفات التربية ـ المثالية ـ والواقعية ـ والطبيعية ـ والبرجماتية ـ والوجودية ـ وتجعل التربية الإسلامية جزءً من تلك التربيات.

وتركز أيضاً في الطرق التربوية على طريقة ساندرسون ـ ماسون ـ منتسوري.

وتحدد أعلام التربية في: سقراط ـ وأفلاطون ـ وأرسطو ـ وابن سينا ـ والفارابي ـ وجون لوك ـ وسبنسر ـ وديوي.

فتلك أهم معالم الكتب التربوية التي تستمد معلوماتها من المناهج الغربية.

ولعل ذيوع وانتشار تلك الكتب قد رسم في ذهن بعض أفراد المجتمع الإسلامي أن التربية ما هي إلا النظريات والأفكار الغربية، وما تحمله من انحرافات عقدية وأخلاقية وتربوية.

وفي الحقيقة أن التربويين المسلمين قد تنبهوا لهذه الثغرة العميقة المندفعة وراء النتاج الفكري الغربي والنظريات المنحرفة، وإهمال المصادر الإسلامية، فعادوا إلى الأصول الإسلامية، فظهر الكثير من الدراسات التربوية التي ترتوي في بنائها العلمي من الينابيع الإسلامية، فشكلت انعطافاً جديداً في مسيرة التأليف التربوي، فخرج بعض هذه الدراسات في شكل رسائل علمية حصل بها أصحابها على درجات علمية عالية، وبعضها مؤلفات علمية دقيقة، أحسب أن أصحابها قد سبروا غور المصادر الإسلامية، وبذلوا جهداً مضنياً في استخراج مادتها العلمية من مظانها الرئيسة، فقدموا للأمة بعضاً مما تحتاج إليه، وأثبتت تلك الدراسات الأصالة العلمية في المصادر والوسائل والأساليب والمنهجية.

وبهذا نصل إلى حقيقة مؤداها أن المسلمين قد وضعوا القواعد والأسس التربوية على ضوء المنهج الإسلامي، ولكن الذي حجب ذلك عن أعين الناس برهة من الزمن هو بريق التطور والتقدم الصناعي الأجوف في العالم الغربي، وتوقف حركة البحث العلمي في الجوانب التربوية خاصة، وفي الجوانب التقنية والفنية عامة، مما جعل الغرب يستحوذ على هذا المضمار فتقدم صناعياً وزراعياً وطبياً وهندسياً، وتوسعت القاعدة الثقافية بين أفراده، وهذا حدا بالبعض إلى الإتجاه صوب العلوم الغربية في الكثير

من المجالات، ولما حصلت الصحوة الإسلامية المباركة التي نعيشها اليوم عاد المهتمون بالتربية إلى المصادر الإسلامية، التي أثبتت عبر القرون أنه ما انتصر المسلمون ولا سادوا العالم إلا بالتربية الإسلامية، وما غابت هذه التربية في حقبة من الحقبات التاريخية الماضية أو ضعفت إلا وانحط المسلمون، وعلا شأن غيرهم عليهم.

والمتأمل في المفاسد الاجتماعية بجميع صورها وأشكالها يجد أنها وليدة البعد عن تنشئة الأجيال التنشئة الإسلامية، وهذا يؤكد حاجة المسلمين خاصة والبشرية أجمع إلى المنهج الإسلامي، خاصة وأن الغزو الثقافي أصبح اليوم لا تحجبه الحدود الدولية، ولا علو الجبال ولا عمق البحار وطول المسافات، بل يُبث اليوم من أي مكان في الأرض، ليصل إلى كل بقعة فيها، وهذا ما نشاهده اليوم، فكيف بالغد وكيف بالسنوات المقبلة، فعلى الأمة الإسلامية أن تتنبه لهذا الخطر القادم، وأن تعي الأخطبوط الفكري الغازي القادم من الشرق والغرب، حتى لا تؤخذ على غِرة، وأن تربي أبناءها التربية الإنمائية الوقائية، قبل التربية العلاجية، فالوقاية خير من العلاج وأسهل، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ هو مساهمة في تأصيل مادة التربية الإسلامية، وأسأل الله تعالى أن ينفع به.

---

(١) سورة التحريم: آية رقم (٦).



الباب الأول

المدخل إلى التربية

الفصل الأول : مفهوم التربية

الفصل الثاني : أهمية التربية

الفصل الثالث : سمات التربية



الفصل الأول

مفهوم التربية

المبحث الأول : مفهوم التربية

المبحث الثاني : مصطلحات تربوية



المبحث الأول
مفهوم التربية

أولاً: التربية في اللغة:

يتضمن مصطلح التربية دلالات لغوية متعددة، تشير جميعها إلى ما ينبغي أن تتضمنه العملية التربوية من أنشطة، كما يتضح مما يلي:

١ ـ الإصلاح: رَبَّ الشيء إذا أصلحه[١] والإصلاح قد لا يقتضي الزيادة؛ وإنما التعديل والتصحيح.

٢ ـ النماء والزيادة: ربا يربو، بمعنى زاد ونما[٢] وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[٣].

ورَبَّ المعروف والصنيعة والنعمة: أي نماها وأتمها وأصلحها[٤].

٣ ـ نَشَأَ وترعرع: رَبِيَ يَرْبَى، على وزن خَفِيَ يَخْفَى: أي نشأ وترعرع، وعليه قول ابن الأعرابي:

فمن يكن سائلاً عني فإني بمكة منزلي وبها ربيت[٥]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (١/٤٠١).

(٢) الفيومي، المصباح المنير (١/٢٩٦).

(٣) سورة الحج: آية رقم (٥).

(٤) ابن منظور، لسان العرب.

(٥) المرجع السابق.

٤ ـ ساسه وتولى أمره: ربيت القوم: أي سُسْتُهم: أي كنت فَوْقَهُم، ومنه قول أحدهم: لَأَن يَرُبَّني فلان أحب إليَّ مِنْ أن يَرُبَّني فلان، قال أبو سفيان: غَلَبَتْ والله هوازِن! فقال صفوان: لَأَن يَرُبَّني رجل من قريش أحب إليَّ من أن يَرُبَّني رجل من هوازن[١].

٥ ـ التعليم: قال ابن منظور: الرباني من الرب، بمعنى التربية. وقال ابن الأعرابي: الرباني العالم المعلم الذي يَغْذُو الناسَ بصغار العلوم قبل كبارها.

والرباني: الراسخ في العلم، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله تعالى[٢].

الخلاصة:

من هذه التعريفات اللغوية يتضح أن التربية تدور حول الإصلاح، والقيام بأمر المتربي، وتعهده ورعايته بما ينميه. وأن المفهوم التربوي مرتبط بجميع تلك المعاني.

ثانياً: التربية في القرآن الكريم:

وردت كلمت التربية وبعض مشتقاتها في القرآن الكريم بمعانٍ متقاربة، منها ما يلي:

١ ـ الحكمة والعلم والتعليم:

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[٣] قال ابن عباس وغير واحد: أي حكماء، علماء، حلماء[٤]، وقال الضحاك: تُعَلِّمُون أي تُفَهِّمُون[٥].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٠٠).
(٢) المرجع السابق (١/ ٤٠٠).
(٣) سورة آل عمران: آية رقم (٧٩).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٥).
(٥) المرجع السابق (١/ ٣٨٥).

٢ ـ الرعاية: قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[١] وقال فرعون لموسى، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[٢] أي: أما أنت الذي ربيناه فينا، وفي بيتنا، وعلى فُرُشِنا، وأنعمنا عليه مدة من السنين[٣] وهذا يدل على أن من مدلولات التربية: الرعاية والعناية.

ثالثاً: التربية في الإصطلاح:

قال البيضاوي: الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً[٤].

وقال الراغب الأصفهاني: الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام[٥].

ويمكن تعريف التربية: بأنها تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه، ابتغاء سعادة الدارين، وفق المنهج الإسلامي.

احترازات التعريف:

تنشئة: كلمة تدل على التربية.

الإنسان: بيان أن الإنسان هو المحور الذي تتمركز حوله العملية التربوية، وحُصِرت في الإنسان احترازاً من أي نوع آخر. ولم نقل الإنسان المسلم، لأننا نريد أن نربي المسلم على ما استسلم له، وهو الإسلام، ونربي غير المسلم على الإسلام بالتوجيه والنصح والتنشئة.

شيئاً فشيئاً: بيان أن التربية تقوم على التدرج.

---

(١) سورة الإسراء: آية رقم (٢٤).

(٢) سورة الشعراء: آية رقم (١٨).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٤٤).

(٤) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

(٥) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص (١٤٨).

في جميع جوانبه: أي جوانب الشخصية الإنسانية، مثل: الجانب العقدي والتعبدي، والأخلاقي، والاجتماعي، والمهني، والعقلي.

ابتغاء سعادة الدارين: وذلك احترازاً من أمرين:

١ - احترازاً من التربيات التي تهتم بالحياة الدنيا فقط، مثل التربية الرأسمالية، والشيوعية، وغيرها.

٢ - واحترازاً من التربيات القائمة على الرهبنة، وازدراء الدنيا بعدم العمل فيها، وكلاهما مناقضان للمنهج الإسلامي، الذي يهتم بالإنسان في دار معاشه ومعاده.

قال موسى عليه السلام في تمام دعائه: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[١] والمعنى: (اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) من علم ورزق واسع، وعمل صالح. (وفي الآخرة) وهي ما أعده الله تعالى لأوليائه الصالحين من الثواب[٢].

وفق المنهج الإسلامي: احترازاً من التربيات القائمة على غير منهج الله تعالى، كالتربية اليهودية، حيث أنهم أهل علم، عرفوا الحق، واتبعوا غيره، بالتحريف والتضليل، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣] وكذا التربية النصرانية، حيث عبدوا الله تعالى على غير علم.

وأيضاً خروجاً من التربية القومية، والتربيات البدعية التي تزعم أنها على منهج الإسلام وقد حادت عنه، كالتربية الصوفية، والمتحررة، وغير ذلك من التربيات المنحرفة.

والتربية الإسلامية تعيد الإنسان إلى جادة الطريق، وتعرفه بأن الله تعالى هو مربي الناس أجمعين، وتربيته تعالى لخلقه نوعان:

---

(١) سورة الأعراف: آية رقم (١٥٦).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٦٠).

(٣) سورة البقرة: آية رقم (٧٥).

أ ـ تربية عامة: وهي خَلْقُه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

ب ـ تربية خاصة: وهي تربية لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[1] والمعنى: (الله يجتبي إليه من يشاء) أي يختار من خلقه من يعلم أنه يصلح للاجتباء لرسالته وولايته، ومنه أن اجتبى هذه الأمة، وفضلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وآخرها[2].

فالنبي ﷺ، اصطفاه ربه وتولى أمر تربيته، حيث صانه الله تعالى عن أفعال الجاهلية المنكرة، فلم يعبد صنماً، ولم تُر عورته، ولم يسمع لهواً قط، فقد كان يحمل مع عمومته وأبناء عمومته الحجارة أثناء بناء الكعبة، فرفع ثوبه على عاتقه ليستعين به على حمل الحجارة، فكشف عن بعض عورته، فسقط وقيل له غط عورتك.

وذهب ليسمع الغناء كبقية فتيان قريش، فوصل إلى المكان، ثم نام حتى طلوع الشمس فلم يسمع شيئاً[3] فهذه تربية ورعاية ربانية خاصة.

وأما التربية العامة فهي بالنعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده، من رزق، وإرسال الرسل، فيهدي بهدايته العامة من ينيب إليه، بعد أن عرف النعمة وأحس بجميع الدلائل الكونية والشرعية على أن الله تعالى هو رب البرية فأناب إليه، ثم هداه تعالى ووفقه، قال تعالى: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصداً وجهه، فَحُسْنُ مقصد

---

(١) سورة الشورى: آية رقم (١٣).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٤١٤).

(٣) انظر السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم ضياء العمري (١/ ١١٤ ـ ١١٧) وكذلك كتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، للدكتور مهدي رزق الله أحمد، ص (١٢٥ ـ ١٢٨).

العبد مع اجتهاده في طلب الهداية من أسباب التيسير لها[١] قال تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[٢].

وقد قال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: (لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)[٣].

فأي هداية أعظم من هذه التربية التي تولت جميع الأعضاء الأساسية في الإنسان الذي أناب لربه.

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٤١٤).

(٢) سورة المائدة: آية رقم (١٦).

(٣) البخاري (٤/ ١٩٢) برقم (٦٥٠١).

المبحث الثاني

مصطلحات تربويـــة

إن هناك مصطلحات تربوية، مرادفة لكلمة التربية، وأخرى تؤدي بعض معنى التربية، يجدها القارىء في كتب التربية الحديثة، أو ضمن كتب التراث، ويمكن إيضاح بعض منها فيما يلي:

١ ـ **الإصلاح**: وهو ضد الفساد، وقوبل في القرآن الكريم تارة بالفساد، وتارة بالسيئات[١] قال تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[٣].

والإصلاح يقتضي التعديل، والتحسين، ولكن لا يلزم أن يحصل منه النماء والزيادة، فهو إذاً يؤدي جزءً من مدلول التربية.

٢ ـ **التأديب**: الأدب: أي الذي يتأدب به الأديب من الناس، وسمي أدباً لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح[٤].

أدبته من باب ضرب، علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق، قال أبو زيد الأنصاري: الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان من الفضائل[٥].

والتأديب يتضمن الإصلاح والنماء.

---

(١) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص (٣٨٤).

(٢) سورة التوبة: آية رقم (١٠٢).

(٣) سورة الأعراف: آية رقم (٥٦).

(٤) ابن منظور، لسان العرب (١/٢٠٦).

(٥) الفيومي، المصباح المنير (١/١٠).

٣ ـ **التهذيب**: التهذيب كالتنقية، وهذب الشيء: أي نقاه، ورجل مهذب: أي مطهر الأخلاق[١].

٤ ـ **التطهير**: التنزه والكف عن الإثم؛ وما لا يجمل، ورجل طاهر الثياب أي منزه[٢].

٥ ـ **التزكية**: تأتي التزكية بمعنى التطهير، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير، رحمه الله: يطهرهم من رذائل الأخلاق، ودنس النفس، وأعمال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور[٤] قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[٥] أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على الرسول ﷺ[٦].

٦ ـ **التنشئة**: تأتي التنشئة بمعنى التربية تماماً، يقال نَشَّأَ الأبُ ولده على الخير، أي رباه وعوده إياه، ويقال: نَشَأَ في بني فلان: أي تربى وترعرع بينهم[٧]. ومنه قول الشاعر:

وينشأ ناشىء الفتيان فينا ... على ما كان عَوَّدَه أبوه

قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[٨] أي جعلوا له، أو اتخذ من يتربى، يعني البنات[٩].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (١/ ٧٨٢).
(٢) المرجع السابق (٤/ ٥٠٦).
(٣) سورة البقرة: آية رقم (١٥١).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠١).
(٥) سورة الأعلى: آية رقم (١٤).
(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٣٥).
(٧) محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ص (٥٢٦).
(٨) سورة الزخرف: آية رقم (١٨).
(٩) البيضاوي، أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٤).

الفصل الثاني
أهميـة التربيــة

المبحث الأول: أهمية علم التربية

المبحث الثاني: أهمية القيام بالتربية



المبحث الأول
أهمية علم التربية

إن معرفة الأحوال الإنسانية وفهمها تساعد في معرفة التعامل مع الناس والتأثير عليهم، كما تعين على وضع المناهج المناسبة المتوافقة مع مستوى المتربين الزمني والإدراكي، وتساعد في عملية التوجيه والإرشاد، كما أن معرفة الوسائل التربوية المناسبة تساعد المربي على التطبيق العملي والتأثير السريع.

ولكن هل الجانب المعرفي وحده يكفي ليسلك الإنسان طريق الخير والصلاح؟ في الوقت الذي يُلاحظ فيه أن بعض الناس يعرف الخير ويحيد عنه، ويعرف الشر ويقترب منه ويأتيه، فما هي العلة؟

يوضح ابن قيم الجوزية ذلك في سياق النص الذي يقول فيه: وكمال الإنسان إنما يتم بهذين النوعين: همة ترقيه، وعلم يبصره ويهديه، [أي العلم والإرادة] فإن مراتب السعادة والفلاح، إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين أو من إحداهما[(١)].

ولذلك فإن العلم وحده لايكفي لسلوك طريق الخير والصلاح، فلا بد من تربية النفس بالمجاهدة، والنصح والتذكير والترغيب والترهيب وبوسائل التربية الأخرى، حتى يسلك الإنسان الطريق النافع، ولهذا فإن الناس أربعة أصناف بحسب حظهم من العلم والإرادة:

١ - من رزق علماً وأُعين على ذلك بقوة العزيمة على العمل.

---

(١) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (١/ ٤٧).

٢ ـ من حُرم هذا وهذا، وهم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[(١)].

٣ ـ من فُتح له باب العلم، وأغلق عنه باب العزم والعمل، فهذا في رتبة الجاهل أو شراً منه.

٤ ـ من رزق حظاً من العزيمة والإرادة، ولكن قل نصيبه من العلم والمعرفة، فهذا إذا وفق له الإقتداء بداع من دعاة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، كان من الذين قالَ الله تعالى فيهم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا * ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[(٢)(٣)].

ولذلك فالعلم وحده لا يكفي، فلا بد من تربية الإنسان لنفسه، ليطبق ماتعلمه بالاتباع والامتناع، باتباع المنهج الإسلامي، والإمتناع عن كل ما هو ضده، وكذلك ليربي من هو مسؤول عن تربيتهم بوسائل التربية الشرعية المختلفة.

وأهمية التربية والكتابة فيها تبرز فيمايلي :

١ ـ أن العلم وحده لا يكفي لتعديل سلوك الإنسان، فلا بد أن يُؤازر ذلك التربية.

٢ ـ مداهمة بعض المصنفات التربوية الغربية للعالم الإسلامي، وما تحمله من أفكار واتجاهات تربوية مخالفة للمنهج الإسلامي، فكان لابد من التصدي لها بضدها.

٣ ـ تأثر بعض الذين كتبوا في التربية بتلك الأفكار الغربية، ونقلت كأنها مسلمات إلى كتبهم، عن طريق الترجمة أو الإقتباس.

---

(١) سورة الأنفال: آية رقم (٢٢).

(٢) سورة النساء : الآيتان رقم (٦٩ـ٧٠).

(٣) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (١/ ١١٤).

٤ ـ حاجة الآباء والمعلمين والمؤسسات التربوية والاجتماعية إلى معرفة الأساليب التربوية الإسلامية، لتساعدهم على بناء خير أمة أُخرجت للناس، خاصة في خضم تكاثر المعلومات وازدحامها، وسهولة الإتصال بين مجتمعات العالم، ووفود وظهور مؤثرات منهجية وإعلامية وثقافية، برز تأثيرها الكبير على سلوكيات بعض الناس، فاحتاج الأمر إلى إبراز منهج التربية الإسلامية: الإنمائي، والوقائي، والعلاجي.

٥ ـ أهمية وجود مصنفات علمية تبين واقع المؤسسات التربوية، وحاجاتها، وقضاياها، والأساليب العلاجية لها.

المبحث الثاني
أهمية القيام بالعملية التربوية

إن لممارسة العملية التربوية أهمية كبيرة في حق الفرد وفي حق أبنائه، وفي حق كل من تلزمه تربيتهم، لأنها مسؤولية مناطة بكل من استرعاه الله رعية، كما قال ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته)[1].

كما أن للتربية فوائد عديدة ، تعود على الفرد والأسرة والمجتمع ، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي:

أولاً: ـ أهمية التربية للفرد:

إن للتربية أهمية كبيرة في حياة الفرد، فهي استجابة وعبادة لله تعالى، وراحة وطمأنينة للنفس، وثناء وعزة وكرامة للفرد في حياته وبعد مماته.

أ ـ طاعة لله تعالى:

إن الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً، وإنما خلقه ليؤدي وظيفته التي كُلف بها، وهي إقامة دين الله تعالى، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

---

(١) البخاري (١/ ٢٨٤-٢٨٥) رقم (٨٩٣) ، ومسلم (٣/ ١٤٥٩) برقم (٢٠ ـ ١٨٢٩).

(٢) سورة الذاريات: آية رقم (٥٦).

ومما يتعبد الإنسان به مجاهدته لنفسه على طاعة الله تبارك وتعالى، فيربيها على الإنقياد لأوامر الله، والزامها ترك ما نهى عنه الشرع، وهذه المجاهدة التربوية النفسية من أعظم أنواع المجاهدة حتى قيل إنها الجهاد الأكبر(١).

وفي تربية الإنسان نفسه ومجاهدتها على عبادة الله تعالى وطاعته، وتعلم العلم الذي يقرب من الله تعالى ويوصل إلى رضاه عبادة وطاعة لله تعالى، ومن هنا تكون التربية مهمة للفرد في ذاته لأن بها تحصل الطاعة لله تعالى.

ب ـ أمن نفسي للفرد:

إن التربية القائمة على المنهج الإسلامي لها عوائد وفوائد عديدة على الإستقرار النفسي، لأن الفرد الذي يتربى على العقيدة الإسلامية يتحقق له من السكون النفسي ما لا يتحقق لغيره، فالله سبحانه وتعالى " خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته، والإنابة إليه، ومحبته، والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم»(٢).

وتربية النفس على الإيمان تحقق له اطمئناناً نفسياً، لأنه يؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويؤمن بأن المحبوب قد يأتي بالمكروه، والمكروه قد يأتي بالمحبوب، فما عليه إلا الرضا بالقضاء والقدر، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: " في هذه الآية عدة حِكم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه،لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة، لعدم علمه بالعواقب، فإن الله تعالى يعلم

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (١٣/ ٢٤٢).

(٢) ابن قيم الجوزيـة ، اغاثة اللهفان (١/ ٣٧).

(٣) سـورة البقرة : آيـة رقـم (٢٦١).

منها ما لم يعلمه العبد، وأوجب له ذلك أموراً: منها أنه لا أنفع له من امتثال الأمر وإن شق عليه في الإبتداء، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح وإن كرهته نفسه فهو خير له وأنفع، وكذلك لاشيء أضر عليه من ارتكاب النهي وإن مالت إليه نفسه، فإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب" كما أن هذا الأمر يكسبه الرضا بقضاء الله وقدره، وهذا يحقق له درجة عالية من الإطمئنان النفسي.

ومن ناحية اخرى فإن التربية الإسلامية تُبعد المتربين بمنهجها عن الجرائم والرذائل التي تحول بين المرء وبين الشعور بالإطمئنان النفسي.

ج - تقدير وحب المجتمع:

من أوجه أهمية التربية الإسلامية للفرد أنها تُكسبه حب وتقدير المجتمع، لأن من تربى عليها قام بما أراده الله تعالى منه، فنال نصيبه في الدنيا من تمكين، وثناء حسن، لأنه أحيا قلبه بالإستجابة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم: "والقلب الحي يكون فيه حياء يمنعه من القبائح، والقلب الميت الذي لاحياة فيه يُسمى وقحاً، فإذا كان كذلك لم يكن في قلبه حياة توجب الحياء"(١) ومن يكن قلبه حيّاً فهو في فضائل الأخلاق يرتع، ومن حسناتها يجني وينعم، وعن السيئات معرض وكاره، ومن يكن كذلك لاشك أنه ينال حب وتقدير المجتمع، لأن الناس تنفر من القبائح، وتستأنس للفضائل. وقد قال بعض السلف: "إن للحسنة لنوراً في القلب، وقوة في البدن، وضياءً في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمة في القلب وسواداً في الوجه ووهناً في اليد ونقصاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق"(٢).

ومن جانب آخر فإن محبة المجتمع تحصل للفرد من خلال محبة الله تعالى للفرد التي هي من ثمار تربية النفس على التقرب إلى الله تعالى بكثرة

---

(١) ابن تيمية، رسائل من السجن، ص (٨١).

(٢) المرجع السابق ، ص (٨٠).

الطاعات، حيث كلما تزود العبد من النوافل ازداد تقرباً إلى الله تعالى، فحظي بخصائص ذكرها ﷺ في الحديث الذي يرويه عن ربه عز وجل، وهو (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا أفعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)[1].

قال الخطابي: والمعنى توفيق الله تعالى لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه، ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله تعالى من الإصغاء للهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله تعالى عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي للباطل برجله[2].

ولاشك أن من حظي بهذا التوفيق فقد حظي بمكارم الأخلاق التي توجب له محبة الناس، وحظي بسعادة الدارين، ومنها أن تنزل له المحبة في قلوب الخلق بأمر الله تعالى، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله إذا أحب عبداً، دعا جبريل فقال: إني أُحب فلاناً فأحبه، قال فيحبه جبريل. ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يُحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أُبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يُبغض فلاناً فأبغضوه. قال: فيبغضونه. ثم توضع له البغضاء في الأرض)[3] وهكذا يجني العبد من خلال تربيته لنفسه على طاعة الله عز وجل القبول والمحبة عند المجتمع.

---

(١) البخاري (٤/١٩٢) برقم (٦٥٠١).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١١/٣٤٤).

(٣) البخاري (٢/٤٢٤) برقم (٣٢٠٩) ومسلم (٤/٢٠٣٠) برقم (١٥٧-٢٦٣٧).

ثانياً: ـ أهمية التربية للأسرة:

إن التربية الصالحة مهمة في الأسرة وللأسرة، لأن في قيام الأبوين بواجبهما مرضاة للرب، وأداء لحق المسؤولية ووقاية من شرور الأبناء، وسعادة للأبوين في الدنيا والآخرة، ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

أ ـ طاعة لله تعالى:

إن الله تعالى أمرنا أن نجنب أبناءنا وأهلينا ناراً وقودها الناس والحجارة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[١].

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أي علمُوهم وأدبوهم[٢] فإذا قام الوالدان بتأديب أولادهما على منهج الكتاب والسُنَّة، فإنما يقومان ويُؤديان طاعة لله تعالى.

ب ـ أداء لحق المسؤولية:

إن التربية مسؤولية منوطة بالأسرة أولاً، ومؤسسات المجتمع ثانياً، وكل فرد بحسب موقعه وقدرته ومعرفته، قال ﷺ: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته)[٣].

والمسؤولية شاملة لما يتصل بإصلاح جميع جوانب شخصياتهم، العقدية والتعبدية والخُلُقية، والاجتماعية، وغيرها من الجوانب الأخرى، فالأسرة مكلفة تكليفاً أساسياً وكاملاً بالمسؤولية الملقاة على عاتقها،

---

(١) سورة التحريم: آية رقم (٦).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤١٧).

(٣) سبق تخريجه.

لاتنفك عنها إلا بأداء حقها، وأداء حقها لايكون إلا بتعهد أعضاء الأسرة لبعضهم البعض، بالتوجيه والرعاية، والنصح وتقويم المعوج، وإصلاحه ومتابعته، حتى تتحقق الاستقامة والصلاح، أو بذل ما في الوسع والواجب.

جـ ـ وقاية من عداوة الأبناء:

إن تربية الأبناء على المنهج الإسلامي فيه وقاية من عداوة الأبناء التي قد تحدث نتيجة الإهمال التربوي، أو نتيجة التربية البعيدة عن المنهج الإسلامي، وقد أمرنا الله تعالى بالحذر منهم، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)] وفي هذا تحذير من الله تعالى للمؤمنين، عن الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو، هو الذي يريد لك الشر، فوظيفتك هي الحذر ممن هذه صفته، والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد. فنصح تعالى عباده، أن توجب لهم هذه المحبة الإنقياد لمطالب الأزواج والأولاد، التي فيها محذور شرعي، ورغبهم في امتثال أوامره وتقديم مرضاته.

ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك من المصالح، ما لا يمكن حصره[(٢)].

ومن أساليب الحذر منهم تربيتهم على المنهج الإسلامي، حتى يكونوا عوناً لهم على طاعة الله تعالى، ولنا في سيرة السلف الصالح دروس وعبر، فقد نَشَّأ عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ أبناءه تنشئة صالحة، بالنصح والإرشاد والقدوة الحسنة، حتى بلغه أن أحد أبنائه اشترى فصاً لخاتمه بألف درهم، فكتب إليه عمر: "فقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم،

---

(١) سورة التغابن: آية رقم (١٤).

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن، (٥/ ٢٥٥).

فبعه وأشبع به ألف جائع، واتخذ خاتماً من حديد صيني واكتب عليه رحم الله امرءً عرف قدر نفسه"[1].

فهذه هي التربية الصحيحة التي تتضمن الأمر والنهي وتوضح الأسباب، حتى تكون فعالة ومؤثرة. ولكن ما نتيجة هذه التربية؟

تتضح الإجابة من الموقف التالي بين الأب وأحد أبنائه، فقد جلس عمر بن عبد العزيز يوماً للناس، فلما انتصف النهار وتعب، قال للناس: مكانكم حتى أنصرف إليكم، فدخل ليستريح ساعة ، فجاء ابنه فسأل عنه، فقالوا: دخل ، فاستأذن عليه، فأُذن له، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين ما أدخلك؟ قال: أردت أن أستريح ساعة، قال: أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك، وأنت محتجب عنهم؟ فقام عمر من ساعته وخرج إلى الناس[2].

فتلك نتائج التربية الطيبة، التي تُنتج بإذن الله تعالى أبناء أخلاء لا أعـداء.

د ـ مصدر سعادة للوالدين:

إن للتربية الصالحة ثماراً يجنيها الأبوان في الدنيا والآخرة، فمقتضى التربية الإسلامية أن يراعي الأبناء حقوق الوالدين ، ويؤدوها وافية غير منقوصة، وفق ما أمر به الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[3].

قال ابن كثير: أي لا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفف الذي هو

---

(١) ابن الجـوزية، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص (٣١٥).

(٢) المرجع السابق ، ص (٢٩٧).

(٣) سـورة الإسراء: الآيتان رقم (٢٣ ـ ٢٤).

أدنى مراتب القول السيء، ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح[1] وهذه مصلحة يعايشها الأبوان مع أولادهما في الدنيا، حيث يقوم الأبناء بتقديم رغبات والديهم على رغباتهم، بل بتقديم طاعتهما على نوافل الطاعات التي يتقربون بها إلى الله تعالى[2] وقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فاستأذنه في الجهاد فقال: (أحي والداك ؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد)[3] وفي هذا الحديث أن بر الوالدين قد يكون أفضل من الجهاد[4].

فتلك توجيهات إسلامية تحث على التخلق والتأدب مع الوالدين والإحسان إليهما، فإذا أحسن الوالدان التنشئة الخلقية، والجوانب التربوية الأخرى، حصدا ثمارها، بأن يكون لهما أبناء يطيعونهما في غير معصية الله، ويقومون برعايتهما والإنفاق عليهما، والإحسان إليهما، فيسعد الوالدان بذلك، وأما إن كانت التربية طالحة فإنها تنجب أبناء غير صالحين، فينعكس ذلك على علاقاتهم بوالديهم، بأن يكونوا عاقين لايحترمون لهما مشاعر، ولا يقدرون لهما معروفاً، ولا يحسنون إليهما، ولا يطلبون رضاهما.

وقد قال أحد الأبناء لأبيه: يا أبت إنك عققتني صغيراً، فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك كبيراً[5].

هـ ـ مصدر ثواب للوالدين في الآخرة:

وأما المصالح التي يجنيها الوالدان من أولادهما بعد وفاتهما إذا كانوا صالحين، فإن للأبوين مثل أُجورهم من غير أن ينقص من أجور أبنائهما شيء، فهما ميتان والأعمال الصالحة تدور في ميزان حسناتهما بسبب جهدهم التربوي وبسبب أولادهما الصالحين[6] الذين يدعون

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٧).

(٢) عبدالله قادري، الإسلام وضروريات الحياة ،ص (٨٧).

(٣) البخاري (٢/ ٣٥٩) برقم (٣٠٠٤). ومسلم (٤/ ١٩٧٥) برقم (٥-٢٥٤٩).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (٦/ ١٤٠).

(٥) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص (١٣٩).

(٦) عبدالله قادري ، الإسلام وضروريات الحياة ص (٨٨).

لهما، فقد قال ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[١] وقال ﷺ في ثواب تربية البنات: (من ابتلي من البنات بشيء فأحسن اليهن، كن له ستراً من النار)[٢] وقال ﷺ: (من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه)[٣] قال الإمام النووي: ومعنى عالهما أي قام عليهما بالمؤونة والتربية[٤].

فهذه مدعاة للوالدين أن يربوا أبناءهم على العقيدة الصحيحة، والأخلاق الحميدة، حتى يجنيا ثمارها في الدنيا والآخرة.

و - تربية الإبن الأول تسهل تربية الأبناء الآخرين:

إن تربية الإبن الأول تسهل تربية الأبناء الآخرين، لأنه يكون قدوة لهم، فالطفل الثاني يتأثر بأخيه الأكبر، بصورة أسرع من انتقالها من الآباء والأمهات، لأن عملية الإنتقال مبنية على الحركة والتقليد، وكون الملقَّن متوافقاً مع الملقِّن، من حيث مداركه ونموه[٥] ومن حيث كثرة الإختلاط وطول الملازمة.

ز - تقليل التكاليف الإقتصادية:

إن التربية الفاضلة تُنشيء الإنسان على الإقتصاد والإعتدال في المأكل والمشرب والملبس، وفي شؤون الحياة العامة، وهذا يوفر على الأب أموالاً تُهدر، ويمنع معصية تُرتكب بالإسراف . فمن يربي نفسه وأهله على الإقتصـــاد والإعتدال تمشياً مع قوله تعالى في مدح ووصف عباد الرحمن:

---

(١) مسلم (٣/ ١٢٥٥) برقم (١٤-١٦٣١).

(٢) مسلم (٤/ ٢٠٢٧) برقم (١٤٧-٢٦٢٩).

(٣) مسلم (٤/ ٢٠٢٧ - ٢٠٢٨) برقم (١٤٩-٢٦٣١).

(٤) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/ ١٨٠).

(٥) عصام عتاوي، الطفل في ضوء التربية الإسلامية، ص (٤٠).

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1] فإن أخلاقه الإسلامية تُملي عليه أن لا يُثقل على أبويه بكثرة المطالب والتبذير، فيُسهم بذلك في تقليل التكاليف الإقتصادية، بعدم الإسراف في حاجاته المتنوعة، ومطالبه المتعددة.

فتلك بعض القضايا التي تُبرز أهمية التربية الإسلامية للأسرة.

ثالثاً: ـ أهمية التربية للمجتمع:

إذا تم تربية الأبناء تربية صحيحة سليمة من الشوائب، ازدانت البيوت بالفضائل والمكارم، وصالح الأعمال، وبالتالي تُسهم في بناء المجتمع، من خلال نشر الفضيلة، ونبذ الرذيلة، ومن ثم تظهر آثارها في مجالات متعددة من حياة المجتمع، يَحسن ذكر بعض منها فيما يلي:

أ ـ الأمن الإجتماعي:

إن التربية المبنية على المبادئ الإسلامية تحقق الأمن الاجتماعي "عن طريق إزالة الجرائم والشرور، والعلاقات العدوانية بين الأفراد والجماعات"[2] فيأمن الجار بوائق جاره، والمواطن مجتمعه، والمجتمع أفراده.

وقد اهتم الإسلام بهذا الجانب، فوجه الأمة للأخلاق الحميدة، التي تحقق الأمن والإستقرار، بوسائل التربية المختلفة، والتي منها مسالمة المسلمين، فقال ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[3] أي أن "أفضل المسلمين من جمع إلى أداء حقوق الله تعالى، أداء حقوق المسلمين، "[4] ومن أدى حقوق المسلمين، فقد أعطاهم الأمن من نفسه، ومن أهم أولئك الجار الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم «والله لايؤمن،

---

(١) سورة الفرقان: آية رقم (٦٧).

(٢) مقداد يالجن ، جوانب التربية الإسلامية..

(٣) البخاري (١/ ٢٠-٢١) برقم (١٠) واللفظ له . ومسلم (١/ ٦٥) برقم (٦٥-٤١).

(٤) ابن حجر ، فتح الباري (١/ ٥٣).

والله لايؤمن، والله لايؤمن، قيل من يارسول الله ؟ قال: الذي لايأمن جاره بوائقه[*][1].

والنصوص من القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية التي تحقق الأمن الاجتماعي وتحافظ على ضرورياته وحاجاته كثيرة جداً، لايسع المقام لتناولها جميعاً (ولكن انظر الآيات والأحاديث التي تناولت العقوبات والحدود، وأيضاً التي حثت على حفظ حقوق الآخرين، وعلى سبيل المثال: سورة الفرقان، آية ٦٨ ـ ٧٠، وسورة المائدة: آية رقم ٣٨، وآية رقم ٩٠).

ب ـ الترابط الاجتماعي:

إن المنهج الإسلامي يهدف من خلال توجيهاته إلى ترابط المجتمع والتئامه من خلال مسارات متعددة، تتضافر جميعها لتحقق ذلك، فأثبت الإسلام حقوق الفرد، وحقوق الأسرة، وحقوق الجوار، وحقوق عامة المسلمين، كما أرسى دعائم هذا الترابط من خلال فرضية الزكاة، والصدقات، وأداء الصلوات جماعة، والحج في زمان ومكان مخصوص بهيئة مخصوصة.

وجميع هذه الأسس الإسلامية إذا طُبقت عملياً فإن لها آثاراً تربوية بين أفراد المجتمع، فيتحقق للمجتمع الترابط والتآلف الاجتماعي الذي تحقق في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم، حيث وصل ذلك إلى التواد والتعاطف إلى ذروته، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2].

(*) بوائقه: أي قوائله وشروره ،واحدها بائقه، وهي الداهية. النهاية (١/ ٥٧).

(١) البخاري (٤/ ٩٤) برقم (٦٠١٦) واللفظ له، ومسلم (١/ ٦٨) برقم (٧٣-٤٦).

(٢) سورة الحشر: آية رقم (٩).

ج ـ تحقق التنمية الاقتصادية:

من مظاهر أهمية التربية الإسلامية أنها تهيىء للمجتمع سُبُل التنمية الاقتصادية المتزنة من عدة جوانب:

١ـ التربية الأخلاقية:

إن الإسلام اهتم بالجانب الاخلاقي اهتماماً كبيراً، حيث قال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[1] وهذا الاهتمام من جانب التربية الإسلامية بالأخلاق، يحقق لأفرادها قدراً كبيراً من الأمانة، التي يترتب عليها حفظ أوقات العمل، وممتلكات المنشآت، وأيضاً قدراً كبيراً من الإخلاص الذي يترتب عليه بذل الوسع في إتقان العمل، والجودة في الإنتاج، وغير ذلك من المصالح التي لا تتحقق إلا من خلال مكارم الأخلاق، والتي عنيت بها التربية الإسلامية عناية كبيرة.

٢ـ التربية المهنية والإبداعية:

إن التربية المهنية والإبداعية تحقق ارتفاع مستوى الإنتاج الكمي، بأقل جهد، وأقل تكلفة، وبأسرع وقت، وترفع من مستوى الإنتاج الاقتصادي من حيث الجودة واستثمار الثروات. وللتربية الإسلامية عناية بهذا الجانب، كما تم توضيحه في موضوع التربية المهنية من هذا المؤلف.

٣ـ ضمور واختفاء المعوقات الاقتصادية السلوكية:

إن المعوقات الإقتصادية، إما أن تكون سلوكية تربوية أو تعليمية، وإما أن تكون من رأس المال، أو من عدم استغلال الثروات المادية الاقتصادية، والتربية الإسلامية تقضي على تلك المعوقات.

فتقضي على المعوقات السلوكية من خلال وأد الانحرافات الخلقية المعيقة للتقدم الاقتصادي، فتختفي السرقة التي تبدد الأموال، وتختفي

---

(١) أحمد (٢/ ٣٨١) واللفظ له، ومالك (٢/ ٩٠٤) برقم (٨).

الخيانة في العمل التي تبدد وقت العاملين فيما لامصلحة للعمل فيه، وتختفي الرشوة التي تفسد سير العمل والإنتاج، وتحرف مساره الاقتصادي إلى غير وجهته الصحيحة، وبالتالي تُحْفَظ الأموال العامة والخاصة من الاختلاسات، وتزول الرشاوى،ويقل التقاعس عن أداء واجب العمل.

ومن جانب آخر نجدها تحث على العمل الذي يساهم في تكوين رأس المال، وتحث الإنسان على السعي في مناكب الأرض والإستفادة من الثروات الإقتصادية الموجودة في باطن الأرض وعلى سطحها التي سخرها الله تعالى للإنسان، قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(١) وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾(٢).

٤ ـ تقليل المصروفات:

إن التربية الإسلامية تقضي على الفساد الأخلاقي، الذي يُكبد الدولة أعباءً باهظة من المصروفات المالية، والجهد البشري الذي يُصرف في التقصي والبحث عن المجرمين والمنحرفين أخلاقياً، فإذا سادت الأخلاق الإسلامية انخفض معدل الإجرام والإنحراف، فينخفض تبعاً له معدل الإنفاق المالي على الأجهزة الأمنية، وبالتالي يمكن توزيعه في قنوات اقتصادية أخرى، حيث أن هناك توافقاً طردياً بين زيادة عدد الجرائم وزيادة الإنفاق على الأجهزة الأمنية.

---

(١) سورة لقمان: آية رقم (٢٠).

(٢) سورة الملك: آية رقم (١٥).

الفصل الثالث
سمات وطبيعة التربية الإسلامية

المبحث الأول: سمات التربية الإسلامية

المبحث الثاني: طبيعة التوجيه التربوي الإسلامي



المبحث الأول

سمات التربية الإسلامية

تميزت التربية الإسلامية بخصائص الكمال والتوازن والواقعية، مما أضفى على منهجها الشمول في جميع الجوانب التي يحتاجها الإنسان، وبما يتوافق مع الفطرة الإنسانية، ومن أبرز تلك الخصائص:

١ - الربانيــة.

٢ - الشمول والتكامل.

٣ - التــوازن.

٤ - الثبات والمرونة.

٥ - الواقعــية.

أولاً: الربانيـة

والقصد بالربانية: أن أحكام الإسلام وتوجيهاته مصدرها الأصلي من الرب عز وجل وليست نابعة من أهواء البشر، وهذا ما يميزها عن النظريات الوضعية التي مصدرها الهوى، والأفكار القابلة للرد والتعديل فتتغير وتتبدل حسب الأهواء والشهوات.

وهذه الربانية تجعل الإنسان يتوجه لرب واحد لاشريك له، يستمد الأوامر والنواهي من كتابه وسُنَّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويجعل نيته خالصة لله تعالى، التزاماً بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

---

(١) سورة الأنعام: آية رقم (١٦٢).

والربانية من حيث الهدف والغاية تعني أن المسلم في ظل التوجيهات الإسلامية يبتغي بأفعاله وأقواله رضى الله عز وجل ، فهو يستمدها من منهج الله، متبعاً في ذلك أمر الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

والتوجه الإسلامي يربط حياة المسلم بربه، فمثلاً يربط ما بين الإيمان والحب في الله، والسبيل إلى ذلك خُلُق إفشاء السلام.

قال ﷺ (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلاَ أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم)[2].

كما أن التخلق للوالدين بالأخلاق الفاضلة من جملة طاعة رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[3].

وفي عموم الإحسان، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4].

وفي التخلق بالعدل والأمانة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾[5].

فالتوجيه الرباني يوجه الإنسان لأفضل الأخلاق وأنبلها حتى يبني مجتمعاً يسوده العدل والأمانة والإخلاص والعفة وسائر مكارم الأخلاق، ويُطهره من الرذائل التي تهدم الفضائل وتفكك المجتمعات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[6].

---

(١) سورة الأنعام: آية رقم (١٥٣).

(٢) الترمذي (٤/٥٧٣) برقم (٢٥١٠)، وأحمد (١/ ١٦٥) واللفظ له.

(٣) سورة الاسراء: آية رقم (٢٣).

(٤) سورة البقرة: آية رقم (١٩٥).

(٥) سورة النساء: آية رقم (٥٨).

(٦) سورة الأعراف: آية رقم (٣٣).

ثانيا: الشمول والتكامل

يتصف التوجيه الإسلامي بالشمول والتكامل في كل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته ومعاده، وهو في شموله موضوعي، وإنساني، وفطري، وزماني، ومكاني. فهو موضوعي لأنه لم يفصل بين الدين والدنيا، بل شمل شؤون الحياة في الدنيا والآخرة. وزمانياً، لأنه التشريع الخالد إلى يوم القيامة. وإنساني، لأنه خاطب البشرية جمعاً، وفطريًا لأنه وفق ما بين مطالب الروح والجسد[1]. ومكاني، لأنه صالح لكل زمان ومكان. وليس خاصاً بفترة زمنية أو مكان محدد.

كما بيَّن في شموله علاقة الإنسان بربه الذي خلقه، وعلاقته بنفسه وبأسرته وبجيرانه وبمجتمعه الذي يعيش فيه، كما شملت التوجيهات الإسلامية الرجال والنساء والصبيان، وأيضاً جميع جوانب الأخلاق . فأما ما يتعلق بالعلاقة الزوجية فالاسلام يوجهنا إلى المعاشرة بالمعروف، حيث قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ[*] لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].

وفي العلاقة الوالدية قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾[3].

---

(١) فتحي الدريني، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ، ص (٢٦٣-٢٦٤).

(*) تعضلوهن: أي تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بامساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضرارا. تفسير الجلالين (١٠٢).

(٢) سورة النساء: آية رقم (١٩).

(٣) سورة الأحقاف: آية رقم (١٥).

وفي الإحسان للمجتمع، قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[١].

وفي أدب الإستئذان والزيارة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

وعن سلمان رضي الله عنه قال: (قيل له: قد علمكم نبيكم - ﷺ - كل شيء حتى الخراءة، قال: فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة، لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاث أحجار، أو أن نستنجي برجيع[*] أو بعظم)[٤].

فما ترك الإسلام جانباً من جوانب الحياة إلاّ وقد تناولتها الشريعة وأوضحت لنا فيها الخير من الشر، والطاهر من الخبيث، والصحيح من الفاسد وبهذا الشمول الذي تتسم به الشريعة الإسلامية، فإنها في غاية الكمال، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[٥].

---

(١) سورة الاسراء: آية رقم (٢٦).

(٢) سورة النور: آية رقم (٢٧).

(٣) سورة النور: الآيتان رقم (٥٨-٥٩).

(*) الرجيع: العذرة والروث، وسمي رجيعاً لأنه رجع عن حالته الأولى، بعد أن كان طعاماً أو علفاً.

(٤) مسلم (٢٢٣/١) برقم (٥٧ - ٢٦٢).

(٥) سورة المائدة: آية رقم (٣).

ثالثاً: التوازن

من خصائص التوجيه الإسلامي أنه ملائم للفطرة والجبلة الإنسانية، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[١].

فهي تهتم بتربية جميع جوانب الإنسان الخُلُقية والجسمية والعقلية وتحقق التوازن بين مطالب الإنسان الجسدية والروحية، فلا يطغى جانب على جانب آخر، بحيث تجعل الإنسان في صراع نفسي وعناء داخلي وكبت لغرائزه التي فطره الله عليها، فعندما أمر الله تعالى بالأخلاق الفاضله حذر الإنسان من الرذائل، وشرع له الطرق والسبل لإقامة ذلك التوازن، فأباح له مثلاً الزواج وتعدد الزوجات إلى أربع، وحذره من رذيلة الزنا، ووضع لها حداً في الشرع.

ولحاجة الإنسان للمال، أحل له التجارة وحثه على العمل والكسب الحلال، وحرم عليه الربا، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾[٢] ولحاجة الإنسان إلى الطعام أحل له الطيبات من الرزق وحرم عليه الخبائث من الأطعمة والأشربه، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[٤].

وبهذا يتضح أن التوازن سمة من سمات التوجيه الإسلامي، الأمر الذي لايدع مجالاً للفرد أن يحيد عن الفضيلة الخُلُقية ليقترف رذيلة أو يسلك طريقاً معوجاً ليشبع حاجة من حاجاته، فلا إفراط ولا تفريط، فعن عبدالله بن عمر قال: (دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: ألم أخبر أنكم تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قلت بلى . قال: فلا تفعل، قم ونم، وصم وافطر، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإنك عسى أن يطول بك عُمُر، فإن من حسبك أن تصوم

---

(١) سورة الروم: آية رقم (٣٠).

(٢) سورة البقرة: آية رقم (٢٧٥).

(٣) سورة المائده: آية رقم (٤).

(٤) سورة الأعراف: آية رقم (١٥٧).

من كل شهر ثلاثة أيام، فإن بكل حسنة عشر أمثالها، فذلك الدهر كله، قال: فشددت عليَّ . قلت فإني أُطيق غير ذلك، قال: فصم من كل جمعة ثلاثة أيام، قال: فشددت عليَّ، فقلت إني أطيق غير ذلك، قال: فصم صـوم نبي الله داود، قلت: وما صوم نبي الله داود ؟ قال: نصف الدهر)[1].

فنلاحظ في التوجيه النبوي التوازن بين مطالب الجسد والروح، والتوازن الخلقي بين حق الله، وحق الأهل، وحق الضيف، وحق النفس.

قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[2].

جاء في التفسير: "أي استعمل ما وهبك الله من المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل بها الثواب في الدنيا ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، فآتِ كل ذي حق حقه"[3].

رابعاً: الثبات والمرونة

في التوجيه الإسلامي ثوابت لايمكن تغيرها أو تبديلها أو حذفها وهي القواعد الكلية والمبادىء العامة والأحكام الجزئية التي ورد فيها نص، فإنها لا تتغير ولا تتبدل، كوجوب أداء الأمانات إلى أهلها، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب رد المظالم إلى أهلها، وحرمة السرقه والغش، والربا وحرمة بيع المسلم على بيع أخيه، فإن هذا كله لا يدخله التغيير أو التبديل[4].

---

(١) البخاري (٤/ ١١٥ـ ١١٦) برقم (٦١٣٤).

(٢) سورة القصص: آية رقم (٧٧).

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (٣ / ٤١٠).

(٤) حسين مطاوع الترنوري ، مصادر النظم الإسلامية ، مجلة البحوث الإسلامية.

ولكن المرونة تظهر في القدرة على وضع الحلول التي تطرأ في حياة الناس "والسر في مرونة الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان، أن الإسلام جاء بقواعد كلية وقيم ومبادئ ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، ثم وجه العلماء للنظر والإجتهاد في المسائل والحوادث الجزئية التي تستجد في إطار هذه القواعد والمبادئ "[١].

فالاسلام وجّه المربى سواء كان أباً أو أماً أو من له حق الولاية في التربية إلى مسؤوليتهما التربوية، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[٢] وقال ﷺ: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته)[٣] وفي نفس الوقت لم يحدد الإسلام وسيلة محددة للتّربية لايمكن تجاوزها، ولكن للعلماء المسلمين اختيار ما لا يتعارض مع منهج الإسلام مما يستجد من وسائل تربوية مفيدة تبني ولا تهدم.

والمتعقل والبصير يُدرك أن الاستقرار والثبات إلى حد معين لاغنى عنه لتربية الأطفال، والتغيير العنيف السريع يسبب القلق وعدم الاحساس بالأمن لدى الكائنات البشرية، وبخاصة الأطفال والشباب، ولايمكن لتربية حقيقية أن تكون ناجحة في مجتمع تتغير فيه القيم والسلوك والمواقف والأهداف بين عشية وضحاها[٤] فيرى المتربي أن الذي يدعوه إلى فضيلة الصدق بالأمس يكذب اليوم؛ ويعلل ذلك بأن الموقف يتطلب ذلك، ويرى الذي يأمر باقامة حد من حدود الله، يرتكب هو الجرم جهاراً وعدواناً، فكيف بمن يعيش في أوساط تربوية لا ثبات فيها على مباديء معينة، فلا

---

(١) المرجع السابق ، ص (١٢٧).

(٢) سورة التحريم: آية رقم (٦).

(٣) البخاري (١/ ٢٨٤-٢٨٥) برقم (٨٩٣) ، ومسلم (٣/ ١٤٥٩) برقم (٢٠ - ١٨٢٩).

(٤) علي خليل أبو العينين ، اهداف التربية الإسلامية، ص (٤٨ - ٤٩).

شك أنه سيعيش في تناقض داخلي؛ قد يدفعه إلى سلوك ذلك الإتجاه المتناقض. لذلك نلاحظ أن الأمم التي لا تطبق التشريع الإسلامي تتخبط في تحديد أهدافها التربوية، ووسائل تحقيقها، بل إنها تنحدر في الرذائل الخُلُقية انحدار الصخر من قمم الجبال، فانهارت القيم والمبادئ، فكثر الفساد الخُلُقي، وتزعزع الأمن والاستقرار، كما كثرت الإنحرافات الجنسية والقتل والإختطاف؛ بسبب عدم الثبات واتباع الهوى، ونتيجة الإفراط في المرونة.

خامساً: الواقعية

واقعية التوجيه الإسلامي واضحة ظاهرة للأعيان من خلال الحقائق الموضوعية، المتوافقة مع الفطرة البشرية، ومع القدرات الإنسانية، لا مع تصورات عقلية مجردة، ولا مع مثاليات لا مكان لها في حياة الإنسان.

ففي دائرة الأخلاق مثلاً تجد أن الإنسان يحب من يتصف بالمواصفات الأخلاقية الفاضلة، فتراه يحب الأمين الصادق العفيف الورع الخلوق، وينبذ الإنسان البذيء المنافق، النمَّام، والتوجيه الإسلامي في هذه الدائرة الخُلُقية؛ وفي جميع شعب الحياة، يوجه الإنسان إلى السمو الأخلاقي الواقعي الذي يطمح إليه ويرغبه الإنسان بفطرته السليمة، فالإنسان في واقعه يحب العدل والأمانة والإسلام يأمر بذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾[1].

والإنسان في واقعه يحب من يحسن إليه، والإسلام يأمربذلك، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

والإنسان في واقعه لا يحب الكبرياء، والإسلام يأمر بالتواضع، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3].

---

(١) سورة النساء: آية رقم (٥٨).

(٢) سورة البقره: آية رقم (١٩٥).

(٣) سورة لقمان: آية رقم (١٨).

والإنسان في واقعه يكره أن يغتابه أحد، والإسلام حرَّم ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1].

والإنسان يكره أن يسخر منه أحد، والإسلام ينهى عن ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

فالإسلام واقعي في توجيهه للسلوك الأخلاقي لأنه نزل من رب العالمين، العالم بما خلق، اللطيف الخبير، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[3].

وعندما يستسلم الإنسان لله تعالى يجد أنه في إطار واقعي صحيح، وأن الإسلام يحقق له الحياة الواقعية، من خلال التنشئة الصالحة، التي تعينه وتجعله يشعر بعزة الحياة الإسلامية، وواقعها العملي التطبيقي، لأنها تعالج قضاياه التربوية بواقعية، فالشاب الذي جاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في الزنا، وجهه عليه الصلاة والسلام بما يحاكي واقعه وفطرته السليمة، فاقتنع وأقلع عن مراده، فعن أبي أمامة قال: (أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إئذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه، مه، فقال: أدنه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: افتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يارسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟

---

(١) سورة الحجرات: آية رقم (١٢).

(٢) سورة الحجرات: آية رقم (١١).

(٣) سورة الملك: آية رقم (١٤).

قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[1].

ففي هذا الحديث دلالة على أن العلاج النبوي التربوي كان واقعياً، يغرس في الإنسان حب الفضيلة والعمل بها، وكره الرذيلة واجتنابها، وهذا الأمر لايستغرب، فالتشريع الإسلامي لا يأمر بفضيلة إلا وواقع الفطرة السليمة يرضاها ويحبها، ويحب من يتصف بها، ولا ينهى عن رذيلة إلا وواقع الفطرة السليمة يبغضها ويكرهها، ويأنف المرء أن يتصف بها، فهذا هو الدين القيم، قال تعالى: : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[2].

---

(١) أحمد (٥/ ٢٥٦-٢٥٧).

(٢) سورة الروم: آية رقم (٣٠).

المبحث الثاني

طبيعة التوجيه التربوي

إن الإنسان يولد على الفطرة، كما قال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه)[1] وهذا يعني أن الإنسان يحتاج إلى من ينمي فيه الفضائل، ويربيه عليها ويجنبه الهوى ليفوز بما أعده الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2] كما أن الإنشاء والإنماء يحتاج إلى سياج يقيه من الرذائل التي قد تحطم تلك القلوب، وتهدم الخير فيها، فتجعلها مرتعاً للرذائل.

ولا يحقق ذلك إلا التوجيه الإسلامي الحنيف، دين النماء والوقاية والعلاج مما يصيب القلوب من جراء اتباع الهوى والإنغماس في الشهوات، فالتوجيه الإسلامي بُشرى واطمئنان للقلوب، ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

أولاً: إنمائي:

إن الإسلام يوجه الإنسان إلى التنشئة في ضوء توجيهاته حتى لا يحيد عن جادة الطريق، فيقع الفساد، وذلك بترغيبه في تزكية النفس، لأنه "متى حصلت في النفس هذه التزكية غدت صالحة لغرس فضائل الأخلاق فيها، وتهذيب طباعها تهذيباً مصلحاً ومقوماً وكابحاً وموجهاً، وبتهذيب النفس

---

(١) البخاري (١ / ٤٢٤) برقم (١٣٨٥) ومسلم (٤ / ٢٠٤٧) برقم (٢٢-٢٦٥٨).

(٢) سورة النازعات: الآيتان رقم (٤٠-٤١).

يتهيأ المناخ النفسي الصالح لتفجر منابع الخير".

والمراد بتزكية النفس تطهيرها من نزغات الشرور والآثام وإزالة حظ الشيطان منها، وتنمية فطرة الخير فيها[1] قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[2] وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[3].

وتبرز التوجيهات الإسلامية في التنمية التربوية الصالحة من خلال الحث على الطرق المؤدية لذلك، والتي منها ما يلي:

١ - تنمية التقوى بالحث عليها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[4] وهو يشمل فعل ما به أمر، وترك ما عنه زجر، وأن تحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وأن تنظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم[5] ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى "إن إسم تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر الله به إيجاباً واستحباباً، وما نهى عنه تحريماً وتنزيهاً، وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد"[6].

والمخلص يصونه الله بعبادته وحده، وإرادة وجهه، وخشيته وحده، ورجائه وحده، والطلب منه، والذل له، والإفتقار إليه[7].

٢ - تنمية السلوك الظاهر والباطن، حتى يتوافقا في القول والعمل، قال

---

(١) عبد الرحمن حبنكه الميداني ، الأخلاق الإسلاميه وأسسها ، (١ / ٣٩)..

(٢) سورة الأعلى: الآيتان رقم (١٤-١٥).

(٣) سورة الشمس: الآيتان رقم (٩-١٠).

(٤) سورة الحشر: آية رقم (١٨).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤ / ٣٦٥-٣٦٦).

(٦) ابن تيمية، مجموع الرسائل الكبرى.

(٧) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين.

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ * كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1] .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار بأَصابعه إلى صدره)[2] .

٣ ـ تنمية الأخلاق بالإيمان: "والإيمان عند جميع أهل السُّنَّة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[3] والقبائح تسود القلب، وتطفي نوره، والإيمان هو نور في القلب. والقبائح تذهب به أو تقلله قطعاً، فالحسنات تزيد نور القلب والسيئات تطفئ نور القلب[4] .

فكلما كثرت الأعمال الصالحة كلما زاد الإيمان الذي هو قوة دافعة للخير، مبعدة عن الدنايا والشرور.

وفي التوجيهات الإسلامية نجد الربط بين الإيمان والعمل المراد توجيه الإنسان إليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[5] وقال ﷺ: (والله لايؤمن، والله لايؤمن، والله لايؤمن، قيل ومن يارسول الله؟ قال: الذي لايأمن جاره بوائقه)[6] وقال صلى الله عليه وسلم (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[7] وقال ﷺ: (لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)[8] .

فالمعاصي للإيمان كالمرض والحمى للقوة، سواء بسواء، ولذلك قال

---

(١) سورة الصف: الآيتان رقم (٢ ـ ٣).
(٢) مسلم (١٩٨٦/٤-١٩٨٧).
(٣) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين.
(٤) المرجع السابق..
(٥) سورة النساء: آية رقم (٢٩).
(٦) البخاري (٩٤/٤) واللفظ له. ومسلم (٦٨/١) برقم (٧٣-٤٦).
(٧) البخاري (٢١/١) برقم (١٣) ومسلم (٦٧/١) برقم (٧١-٤٥).
(٨) البخاري (٢٤٥/٤) برقم (٦٧٧٢) ومسلم (٧٦/١) برقم (١٠٠-٧٥) .

السلف: المعاصي بريد الكفر، كما أن الحمى بريد الموت[١].

٤ ـ تنمية الفضائل: إن قيام الإنسان بواجب العبادات التي أمره الله تعالى بها تنمي لديه الفضائل وتبعده عن المنكرات وتقوي صلته بالله، فأداء الصلاة والمحافظه عليها تحمله على ترك الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٢].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى "إن الصلاة تشتمل على شيئين: على ترك الفواحش والمنكرات، أي مواظبتها تحمل على ترك ذلك "[٣].

والزكاة تطهر الإنسان وتنمي لديه العطاء والعطف على المحتاجين والإحساس بفقرهم، والشعور بنعمة الله تعالى عليه، قال عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

والصوم ينمي لدى الإنسان الكثير من الفضائل الخُلُقية، وترك الرذائل والفواحش، قال ﷺ: (من لم يدع الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[٥] وفي الصوم حبس للنفس وزجر لها عن الفواحش، وتنميتها على سلوك الفضائل، فإن ساب الصائمَ أحدٌ فإنه لا يعامله بالمثل، بل يقل له: إني صائم، قال ﷺ (فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فإنه سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم)[٦] والرفث هو الكلام الفاحش ويطلق على الجماع وعلى مقدماته[٧].

---

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين.
(٢) سورة العنكبوت: آية رقم (٤٥).
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.
(٤) سورة التوبة: آية رقم (١٠٣).
(٥) البخاري (٢/٣١) برقم (١٩٠٣).
(٦) البخاري (٢/٢٩) برقم (١٧٤١).
(٧) ابن حجر، فتح الباري.

وفي الحج تدريب للنفس على السمو والترقي بها إلى الإنتهاء عن الرفث والفسوق والجدال وتعويدها على فعل الخير والتزود بالتقوى، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

والسفه الإستخفاف بالحق[2]. وهي رذائل تعوق نمو الفضائل.

٥ ـ تنمية الفضائل بكثرة النوافل: كلما تزود العبد من النوافل ازداد تقرباً إلى الله تعالى فأحبه الله، وحظي بخصائص ذكرها ﷺ في الحديث الذي يرويه عن ربه عز وجل: (إن الله قال: من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا أفعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)[3].

قال الخطابي: " والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه، ويعصمه عن، مواقعة ما يكره الله من الإصغاء للهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لايحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله "[4].

٦ ـ تنمية الأخلاق: بالترغيب فيما عند الله من الثواب العظيم والأجر الكريم لمن حسن خلقه قال ﷺ (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات

---

(١) سورة البقرة: آية رقم (١٩٧).

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر.

(٣) البخاري (٤/١٩٢) برقم (٦٥٠١).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (١١/٣٤٤).

قائم الليل صائم النهار)[1] وقال ﷺ: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)[2].

وقال ﷺ: (ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء)[3] ودائرة الأخلاق واسعة تشمل كل ما فيه صلاح العبد في آخرته ودنياه، كالصدق والإخلاص والأمانة والعفة وغيرها من مكارم الأخلاق التي حث عليها الإسلام.

ثانياً: وقائـي:

بالإضافة إلى الجانب الإنمائي فهناك الجانب الوقائي الذي يعتبر سياجاً للمسلم من الوقوع في الرذائل الخلقية، والتربية السيئة. ومن التوجيه الوقائي ما يلي:

١ ـ اتقاء الشبهات:

قد يُوقع مباشرة الشبهات الإنسان في حرام، وإذا اعتاد المرء ذلك ولم يتورع عنه كان له سجية. والوقاية من ذلك تكون بترك الشبهات حتى يستبرئ لدينه وعرضه، وقد وجهنا ﷺ في الحديث الذي ذكره النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في

---

(١) ابو داود (٥/ ١٤٩) برقم (٤٧٩٨) والحاكم (١/ ٦٠).

(٢) ابو داود (١/ ١٥٠) برقم (٤٨٠٠) والترمذي (٤/ ٣١٥) برقم (١٩٩٤) ، وابن ماجه (١/ ١٩ـ٢٠) برقم (٥١).

(٣) ابو داود (٥/ ١٥٠) برقم (٤٧٩٩) ، والترمذي (٤/ ٣١٨ـ ٣١٩) برقم (٢٠٠٢) ، وأحمد (٦/ ٤٤٢).

الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)(*)[1] يقول الامام النووي رحمه الله: إنه ينبغي ترك المشتبهات فإنه سبب لحماية دينه وعرضه، وحذر من مواقعة الشبهات[2] ويقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى: ما رأيت أعظم فتنة من مقاربة الفتنة، وقل أن يقاربها إلا من يقع فيها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه[3].

وقال ﷺ: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)(**)[4] ومما يستفاد من هذا الحديث أن على المسلم أن يبني أموره على اليقين ليكون في أمر دينه على بصيرة. والنهي عن الوقوع في الشبهات وما تتردد فيه النفس بين حله أو حرمته، واستحباب الورع مما كان فيه شبهة حرام، إن كان الأصل الحل[5] وبذلك فإن ترك الشبهات وقاية للمرء من الوقوع في الرذائل الخلقية، فيكون بعيداً عنها، قريباً من الفضائل.

(*) يقول الإمام النووي-يرحمه الله تعالى-أن الأشياء ثلاثة أقسام: حلال بين واضح لايخفى حله كالخبز والفواكه والزيت والعسل والسمن ولبن مأكول اللحم وغير ذلك من المطعومات، وكذلك الكلام والنظر والمشي وغير ذلك من التصرفات، فيها حلال بين واضح لا شك في حله، وأما الحرام البيِّن فكالخمور والميتة والبول والدم المسفوح، وكذلك الزنا والكذب والغيبة والنميمة والنظر إلى الأجنبية وأشباه ذلك، وأما المشتبهات فمعناها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلهذا لايعرفها كثير من الناس، ولا يعلمون حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك. انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١١/٢٧-٢٨) وانظر كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب، حول شرحه للحديث، ص (٦٣-٧٢).

(١) البخاري (٢/ ٧٤) برقم (٢٠٥١)، ومسلم (٣/ ١٢١٩-١٢٢٠) برقم (١٠٧ - ١٥٩٩).

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (١١/ ٢٧).

(٣) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص (٢٠٣).

(**)الريب: بمعنى الشك، وقيل هو الشك مع التهمة، ومعناه دع ما تشك فيه إلى ما لا تشك فيه، النهاية.

(٤) النسائي، (٨/ ٣٢٧ - ٣٢٨) برقم (٥٧١١).

(٥) عبد الله بن صالح المحسن، الأحاديث الأربعين النووية، ص (٢٥).

٢ ـ اتقاء الشهوات:

إن في الدنيا مغريات فاتنات، فإن لم يكن هناك زاجر عنها ومحذر من مغبتها، وقع الإنسان في أحضانها . ولكن الإسلام حذر منها حتى تُتقى فتنتها، قال ﷺ: (إن الدنيا حلوة خضرة(*) وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء)[1] " فالدنيا مستطابة في ذوقها، معجبة بمنظرها كالتمر المستحلى المعجب للرائي، فابتلى الله بها عباده لينظر من أحسن عملاً "[2] قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3] .

ومن فتنة الدنيا: الأموال والأولاد، فربما كثرتها عند من لايدرك فتنتها، باب للغطرسة والكبرياء والتباهي بها، والتجبر على خلق الله، وربما أنفق هذه الأموال في فتنة الشهوة كالمسكرات والمخدرات واللهو والزنا ونشر الفساد بإنشاء الملاهي وأماكن الفتنة والفجور، فيفتح بها باباً للرذائل الخلقية، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[4] " أي اختبار وامتحان منه لكم إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها أو تشتغلون بها عنه وتعتاضون بها منه "[5] ويقول السعدي رحمه الله تعالى: "ولما كان العبد ممتحناً بأمواله وأولاده فربما حملته محبته ذلك على تقديم هوى نفسه على أداء أمانته"[6] ومما يساعد على اتقاء فتنة الدنيا تذكر هادم اللذات، قال ﷺ: (أكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت)[7].

(*) خضرة: غضة ناعمة طرية.

(١) مسلم (٤/ ٢٠٩٨) برقم (٩٩/ ٢٧٤٢).

(٢) القرطبي، الزهد.

(٣) سورة الكهف: آية رقم (٧).

(٤) سورة الأنفال: آية رقم (٢٨).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣١٣ ـ ٣١٤).

(٦) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (٢/ ١٩٨).

(٧) الترمذي (٤/ ٤٧٩) برقم (٢٣٠٧) والنسائي (٤/ ٤) برقم (١٨٢٤) و أحمد (٢/ ٢٩٣).

"ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث: همٌ لازمٌ وتعبٌ دائمٌ وحسرةٌ لا تنقطع، وذلك أن محبها لا ينال منها شيئاً إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه" فاتقاء مفاتن الدنيا وقاية من مغبتها وسياج من الوقوع في رذائل الأخلاق، ودافع للتمسك بفضائل الأخلاق حتى تكون طبعاً من طبائعه وخاصة من خصائصه.

٣ ـ وقاية للعقل مما يفسده:

التوجيهات الإسلامية تقي العقل مما يعطله ويفسده وينحدر به إلى مهاوي الرذيلة كالخمر والميسر والأنصاب والازلام والعلوم الضارة، أو الغير نافعه. والإسلام يحذر الإنسان من ذلك حتى لا يقع فيها فيكون في وقايه منها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[*][1].

وقال ﷺ محذراً من الخمرة: (كل مسكر حرام، إن على الله عز وجل عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا: وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار أو عصارة أهل النار)[2].

- وأما العلوم فمنها الضار كتعلم السحر، ومنها ما يضيع الوقت وليس فيها ما ينفع كعلم الفلسفة، وذلك يعطل العقل عن العلوم النافعة، وقد تعوذ ﷺ من العلم الذى لاينفع فقال: (اللهم إني أعوذ بك من علم لاينفع وقلب لا يخشع، ونفس لاتشبع، ودعاء لا يسمع)[3] ويقول أحد السلف موضحاً تجربته في الإطلاع والبحث في أصناف العلوم: تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفيه فما رأيتها تشفي عليلاً ولا

(*) الميسر: القمار، والأنصاب: الأصنام، والأزلام: قداح الإستقسام، الرجس: خبيث مستقذر..

(١) سورة المائده: الآيتان رقم (٩٠ ـ ٩١).

(٢) مسلم، (٣/ ١٥٨٧) برقم (٧٢-٢٠٠٢).

(٣) الحاكم (١/ ١٠٤).

تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق، طريق القرآن[١].

فتلك نماذج من التوجيهات الإسلامية التي تحذر مما يعطل العقل ويحرفه عن صوابه ويضيع وقته في غير منفعة، ومن تأملها كانت له وقاية من تضييع الوقت وإفسادالعقل، وكانت له دافعاً لمحاربة مفسدات العقول المادية والحسية.

٤ ـ الوقاية بإقامة الحدود:

إن إقامة الحدود وقاية للفرد والمجتمع من انتشار الرذائل، فهي وقاية للفرد لأنها تجلب له الخوف من اقتراف الجرائم الخُلُقية والوقوع في حبائلها، لما ينتظره من ألم العقاب. وهي وقاية للمجتمع لأنها تقلل نسبة الفساد الخُلُقي، إن لم تقض عليه تماماً. وواقع التجربة هو الذي يُبرز فعالية الأنظمة الصالحة للمجتمع.

فلقد أبرزت التجارب الحديثة أن أحسن الأنظمة المنشودة هو منهج الشريعة الإسلامية، فقد بدئ بها في المملكة في العصر الحديث حيث طُبقت الشريعة الإسلامية ونجحت نجاحاً منقطع النظير في القضاء على الإجرام وتحقيق الأمن والنظام وانتشرت الطمأنينة بين المقيمين والمسافرين، وانتهى عهد الخطف والنهب وقطع الطريق وأصبحت الجرائم القديمة أخباراً تروى، فلا يكاد يصدقها من لم يعاصرها أو يشاهدها، وبعد أن كان الناس يسمعون أشنع أخبار الإجرام عن الحجاز أصبحوا يسمعون أعجب الأخبار عن استتباب الأمن والنظام[٢].

ولا زالت المملكة العربية السعودية وستظل بإذن الله تنعم بالرخاء والإستقرار وندرة الجرائم، لتطبيقها الشريعة الإسلامية، حيث يُرى رأي العين أن أمين الصندوق يحمل مبالغ نقدية كبيرة وهو في حال اطمئنان، ويخرج بها عياناً إلى مقر عمله حيث توزع على الموظفين، كما أن أرباب

---

(١) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان.

(٢) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي.

الأموال يأخذون ودائعهم أو بعضها من المصرف عياناً دون تحرج[1] أوخوف من قاطع طريق.

وهذه العقوبات لها آثارها التربوية في كبح جماح النفس من إشباع غرائزها بما لم يأمر به أو يبيحه الشرع، وفي درء المفاسد الخلقية والوقاية منها بالحيلولة دون وقوعها . ومن يتربى في بيئة تطبق التشريع الإسلامي ينشأ وهو كارهاً للرذيلة محباً للفضيلة .ويؤازر ذلك ويعضده انعدام عامل التشجيع للرذيلة والتشويق لها، بالإضافة إلى عامل التشجيع من المجتمع والأسرة، فتكون للفرد وقاية له من الوقوع في الجرائم والرذائل الخلقية.

٥ ـ الوقاية بسد باب الذرائع:

يكون سد باب الرذائع المؤدية إلى مفاسد الاخلاق، من خلال تربية النفس والنشء على حب الآخرين،وحب دوام النعمة عليهم، وعدم النظر إلى ما متع الله به الآخرين قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[3] ويقول ابن القيم " نهى الرجل أن ينظر إلى من فضل عليه في المال واللباس، فإنه ذريعة إلى ازدرائه نعمة الله عليه، واحتقاره بها، وذلك سبب الهلاك "[4] وربما أدى الحسد بالحاسد إلى كره المنعم عليهم وربما تطور ذلك إلى السعي بالتفرقة بينه وبين الآخرين بالنميمة.

والتوجيهات الإسلامية تسد باب الذرائع المؤدية إلى المفاسد الاخلاقية ليعيش المجتمع في حب ووئام وسلام.

---

(١) خليفة ابراهيم الصالح الزرير، مكافحة السرقة في الإسلام.

(٢) سورة النساء: آية رقم (٣٢).

(٣) سورة طه: آية رقم (١٣١).

(٤) ابن قيم الجوزية، اعلام الموقعين.

٦ ـ **الوقاية مما يفسد العلاقات:**

مما يفسد العلاقات ويبددها أن يتناجى اثنان دون الثالث، لما يترتب على ذلك من ظن السوء والحزن والريبة والشك من أن الحديث يدور حوله، فتحصل الفرقة وعدم الوفاق . كما أن ذلك يعتبر من ذميم الأخلاق، وقد حذر ﷺ من ذلك السلوك فقال: (إذا كانوا ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث)(١) وقال ابن قيم: " إن ذلك ذريعة إلى حزنه وكسر قلبه وظنه السوء "(٢).

ومما يفسد العلاقات بين الناس نقل كلام بعضهم إلى بعض للإفساد بينهم، ولا وقاية منه إلا بمنعه ومحاربته بين أفراد المجتمع، وقد حرم الإسلام "الكلمة التي من شأنها أن تثير فتنة، وتشعل بين طرفين ناراً، وتورث عداوة، وتملأ القلوب غضباً وحقداً وسخطاً "(٣) ألا وهي النميمة. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ (مر بقبرين يعذبان فقال: إنهما يعذبان وما يعذبان في كبيرة، بلى إنه كبير، أما احدهما كان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لايستتر من بوله)(٤).

٧ ـ **الوقاية بالبعد عن دوافع الزنا:**

إن بلوغ الشاب والشابة سن الزواج معناه بدء الرغبة لدى الجنسين في التزاوج، وإذا لم تفتح قنوات الإتصال الشرعية بينهما بالزواج تكن فتنة في الأرض وفساد عريض، ومدعاة لكسر حجاب الوقاية من الزنى، ومدعاة الوقوع في وكره. والإسلام عندما عالج الزواج عالجه بالتشجيع والترغيب وبناه على حسن الإختيار، وعدم الربط بينه وبين الفقر والغنى، حتى يكون وقاية للإنسان من أن يقضي وطره في ما حرم الله، ويتضح ذلك من التوجيهات الإسلامية في نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية.

---

(١) البخاري (٤/١٤٩) برقم (٦٢٨٨) ، مسلم (٤/١٧١٧) برقم (٣٦-٢١٨٣).

(٢) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين.

(٣) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام ص (١٥٠).

(٤) البخاري (١/٤٢٣) برقم (١٣٧٨).

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] وقال ﷺ: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد)[2] وقال ﷺ: (تنكح المرأة لأربع لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)[3].

وأما من لم يستطع الزواج لسبب من الأسباب، فوضع الإسلام له وقاية تقيه من الوقوع في الزنى، قال ﷺ: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[*][4] وفي الحديث: "إرشاد العاجز عن مؤن النكاح إلى الصوم، لأن شهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل، تقوى بقوته وتضعف بضعفه"[5].

كما حرَّم الإسلام الخلوة بالأجنبية، لأن الخلوة بها مفتاح لباب الزنى، قال ﷺ: (إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو[**]: قال "الحمو الموت")[6] والسبب في ذلك: " أن الخلوة بقريب الزوج أكثر من الخلوة بغيره، والشر يتوقع منه أكثر من غيره، والفتنة به أمكن لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها من غير نكير عليه، بخلاف الأجنبي "[7].

---

(١) سورة النور: آية رقم (٣٢).

(٢) الترمذي (٣/ ٣٩٥) برقم (١٠٨٥).

(٣) البخاري (٢/ ٣٦٠) برقم (٥٠٩٠)، ومسلم (٢/ ١٠٨٦) برقم (٥٣-١٤٦٦).

(*) الوجاء: الوطاء: والمراد أن الصوم يقطع النكاح كما يقطعه الوجاء.

(٤) البخاري (٣/ ٣٥٥) برقم (٥٠٦٦) ومسلم (٢/ ١٠١٩) برقم (٣/ ١٠٠٠) واللفظ له.

(٥) ابن حجر، فتح الباري.

(**) الحمُ: أحد الأحماء: أقارب الزوج.

(٦) البخاري (٣/ ٣٩٥) برقم (٥٢٣٢) ومسلم (٤/ ١٧١١) برقم (٢٠/ ٢١٧٢).

(٧) البخاري (٢/ ١٩) برقم (١٨٦٢) ومسلم (٢/ ٩٧٨) برقم (٤٢٤/ ١٣٤١).

وأيضاً لسد ذريعة الزنى نهى ﷺ أن تسافر المرأة إلا مع محرم، حيث قال ﷺ: (لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم) " وما ذلك إلا أن سفرها بغير محرم قد يكون ذريعة إلى الطمع فيها والفجور بها "[1] ولسد ذريعة الزنا: "حرم الشياع وهو المفاخرة بالجماع، لأنه ذريعة إلى تحريك النفوس والتشبه، وقد لايكون عند الرجل ما يغنيه من الحلال فيتخطى إلى الحرام "[2] قال ﷺ: (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامه الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها)[3] فمن واجب الأسرة والمجتمع أن يزرع في المتربي التقيد بالنصوص الإسلامية وينشئهم عليها حتى تكون لهم بمنزلة الحاجز عن الوقوع في فاحشة الزنا[*].

إن تلك التوجيهات الإسلامية تزرع وتغرس فيمن تأملها وتدبرها الوقاية من الوقوع في الكثير من الرذائل الخلقية. فهي بمنزلة الحاجز له منها. لما في تلك النصوص من الترغيب والترهيب، والإيضاح والكشف عما ينطوي وراء الرذائل الخلقية من مهاوي وآلام وحسرات في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[4].

والأسرة والمجتمع لهما أكبر الدور في تنشئة المتربين على تطبيق التوجيهات الإسلامية حتى يكونوا في الجانب الوقائي من الرذائل الخلقية التي انحل زمامها في الكثير من بلدان العالم، فأصبحوا في أوكارها جاثمين

---

(١) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مسلم (٢/ ١٠٦٠) برقم (١٢٣/ ١٤٣٧).

(*) للمزيد في هذا الموضوع، راجع كتاب التدابير الواقية من الزنى في الفقه الإسلامي، لفضل الهي، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٤) سورة الزمر: الآيتان رقم (٥٥ ـ ٥٦).

وبمجونها فرحين مسرورين، وما تذكروا قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾[1].

وما تم ذكره ليس حصراً للتوجيه الوقائي، وإنما يمثل نماذج لبعض ما يتصل بهذه الدراسة.

ثالثاً: علاجـي:

ينزلق بعض الناس في مهاوي الرذيلة، كالإنغماس في الزنا، أو شرب الخمر أو النميمة أو الكذب أو السرقة أو غيرها من الرذائل، وقد يتمادى فيها حتى تسيطر عليه ويصبح عبداً لها، فهؤلاء مشهدهم " مشهد الجهال الذين لا فرق بينهم وبين سائر الحيوان إلا في اعتدال القامة ونطق اللسان، ليس همهم إلا مجرد نيل الشهوة بأي طريق أفضت إليها. فهؤلاء نفوسهم حيوانية لم ترق عنها إلى درجة الإنسانية فضلاً عن درجة الملائكة" فإذا عرف المصاب بمرضه أو نبهه المستصلح بعلته أمكن إرشاده وعلاجه، لكن"قد يمرض القلب ويشتد مرضه ولا يعرف به صاحبه لاشتغاله وإنصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لايشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان فيه حيلة تألم بورود القبيح عليه، وتألم بجهله بالحق بحسب حياته".

والتوجيهات الإسلامية عنيت بأولئك المرضى أشد العناية لإنقاذهم من الرذيلة إلى الفضيلة، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2] وقال تعالى: : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وقال ﷺ: (إنما بُعِثتُ لأتمم صالح الأخلاق)[4].

---

(١) سورة الغاشية، الآيات (٢ ـ ٦).

(٢) سورة آل عمران: آية رقم (١٠٣).

(٣) سورة يونس: آية رقم (٥٧).

(٤) أحمد (٢/ ٣٨١) ومالك (٢/ ٩٠٤) برقم (٨).

وأمراض الرذيلة أصلها أمراض قلبية لا تزول إلا بالأدوية الإيمانية النبوية، فهي التي توجب له الشفاء. وإن لم يتداركها بأدويتها المضادة لها، أُصيب بالعذاب الدائم، فإذا استعمل تلك الأدوية حصل له الشفاء[(١)] ومنها ما يلي:

١ - قراءة القرآن وتدبره:

القرآن علاج لما في الصدور "وملاك ذلك كله أمران: أحدهما: أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة، ثم تقبل به كله على معاني القرآن واستجلائها وتدبرها وفهم ما يراد منه، وما نزل لأجله، وخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته، ونزلها على داء قلبك"[(٢)] قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[(٣)] وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[(٤)].

٢ - التوبة والإستغفار:

إن الذنوب يزول موجبها بأشياء أحدهما: التوبة، والثاني: الإستغفار، فإن الله تعالى يغفر له إجابة لدعائه، فإذا اجتمعت التوبة والإستغفار فهو الكمال. والثالث: الأعمال الصالحة المغفرة[(٥)] والتوبة توجب للتائب آثاراً عجيبة من المقامات التي لا تحصل بدونها، فتوجب له من المحبة والرقة واللطف وشكر الله وحمده والرضا عنه[(٦)] والتوبة هي ترك الإصرار[(٧)] ومن الأدلة القرآنية على التوبة والإستغفار، قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان (١/ ٢٥).

(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٢/ ٢٩).

(٣) سورة الإسراء: آية رقم (٨٢).

(٤) سورة فصلت: آية رقم (٤٤).

(٥) ابن تيمية، مجموع الرسائل الكبرى، (١/ ٢٣٢).

(٦) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٤).

(٧) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص (١٥٤).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2] وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا [*]﴾[3].

٣ ـ فعل الحسنات:

إن فعل الحسنات يذهبن السيئات " فإن الطبيب متى تناول المريض شيئاً مضراً؛ أمره بما يصلحه، والذنب للعبد كأنه أمر حتم، فالكيس هو الذي يأتي من الحسنات بما يمحو السيئات"[4] قال ﷺ: (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)[5].

٤ ـ إقامة الحدود:

كما أن إقامة الحدود وقاية للفرد والمجتمع من الرذائل والجرائم الخلقية كما سبق توضيحه، فإنها أيضاً علاج للمجتمع؛ لإيقاف الجرائم والرذائل التي تُرتكب، وأي مجتمع لا تُطَبَّق فيه الحدود فإنه يصبح مرتعاً خصباً للفساد بمظاهره المختلفة، والذي ينظر في واقعنا المعاصر يجد الإنحرافات الخُلُقية والمنكرات منتشرة في أكثر بلاد المسلمين، وسبب ذلك هو عدم إقامة الحدود الشرعية.

---

(١) سورة التحريم: آية رقم (٨).

(٢) سورة الزمر: آية رقم (٥٣).

(*) مدرار: من الدر والدرة: أي اللبن، ويستعار ذلك للمطر. المفردات (١٦٦) ومدرار: أي كثير الدرور. تفسير الجلالين (٧٦٨).

(٣) سورة نوح: الآيتان رقم (١٠-١١).

(٤) ابن تيمية، مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ٢٣٢).

(٥) الترمذي (٤/ ٣٢١ ـ٣١٣) برقم (١٩٨٧) وأحمد (٥/ ١٥٣).

٥ ـ محاسبة النفس ومجاهدتها:

إن محاسبة النفس زاد المؤمنين في آخرتهم، وهي طريق السالكين إلى ربهم، كلما حاسب المرء نفسه تنبه لأخطائه، وأقلع عنها، فكأنها بمثابة العلاج له، أما الذي لا يحاسب نفسه ولا يجاهدها على فعل الطاعات، واجتناب المنهيات، فإنه عن الشفاء بعيد، ومن الذنوب قريب. وقد اهتم الصحابة بذلك، فقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بعض عماله، فكان في آخر كتابه: "أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإنه من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد مرجعه إلى الرضى والغبطة"[١].

وبهذا يتضح أن التربية الإسلامية تميزت بخصائص انفردت بها عن غيرها، وذلك أن مصدرها الأساسي من الله تعالى، وأنها تحف رعاياها بالوقاية والإنماء والعلاج.

---

(١) ابن ابي الدنيا، محاسبة النفس، ص (٣٨).

الباب الثاني

أهداف التربية الإسلامية



الفصل الأول
البناء العلمي



المبحث الأول

أهمية العلم

إن العلم الشرعي مفتاح الخير كله، حيث يعرف به المرء ما أوجبه الله تعالى عليه، وما نهاه عنه، وبه يعرف الفضيلة وفضلها فيتبعها، وبالعلم يعرف الرذيلة وقبحها فيجتنبها، "وقال بعض البلغاء: تعلم العلم فإنه يُقومُك ويسددك صغيراً، ويقدمك ويسودك كبيراً، ويصلح زيفك وفاسدك، ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوم ميلك وعوجك، ويصحح همتك وأملك"[1].

وأولى العلوم وأفضلها علم الدين لأن الناس بمعرفته يرشدون، وبالجهل به يضلون، فالإنسان الجاهل بدينه جاهل بخير الدنيا والآخرة، والعالم بدينه عارف بما ينفعه في دار الدنيا والآخرة. فيكون للخير راغباً وبه عامل، وللشر كارهاً ومفارقاً.

والعلم حلية للمسلم وعنوان سعادته، لأنه محتاج اليه في عبادته وفي متجره ومنزله ومدرسته، وفي الحي وفي جميع شؤون حياته الشخصية والاجتماعية، وقد حث الإسلام على طلب العلم بعدة أوجه، منها على سبيل المثال ما يأتي:

١ ـ أن العلم طريق إلى الجنة، لقوله ﷺ: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله له به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على

---

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين.

العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[١].

٢ ـ علو منزلة العلماء: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٣] قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم[٤].

٣ ـ إن العلم الصحيح يؤدي إلى خشية الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٥] فكلما كان المرء بالله أعلم كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله الإنكفاف عن المعاصي، والإستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله تعالى[٦].

إن فضل العلم عند الله عظيم، والجهل قبيح، والعلم عند الناس محمود والجهل مذموم للإعتبارات التالية[٧]:

أ ـ إن العلم حياة ونور، والجهل موت وظلمة، والشر كله سببه عدم الحياة والنور، والخير كله سببه النور.

ب ـ إن الله سبحانه وتعالى جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرم

---

(١) أبو داود (٤/٥٧-٥٨) برقم (٣٦٤١) واللفظ له. وابن ماجة (١/٨١) برقم (٢٢٣) والترمذي (٥/٤٧) برقم (٢٦٨٢).

(٢) سورة المجادلة: آية رقم (١١).

(٣) سورة آل عمران: آية رقم (١٨).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٧).

(٥) سورة فاطر: آية رقم (٢٨).

(٦) عبد الرحمن السعدي، تفسير الكريم الرحمن (٤/٢١٦).

(٧) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة.

أكلها، وأباح صيد الكلب المُعَلَّم، وهذا من شرف العلم.

ج - إن الله تعالى وصف أهل النار بالجهل، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[١].

د - إن حاجة العباد إلى العلم كحاجتهم إلى المطر، بل أعظم، وإنهم إذا فقدوا العلم فهم بمنزلة الأرض التي فقدت الغيث، قال ﷺ: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، واصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تُمسك ماء ولا تُنبت كلأ. فذلك مَثَلُ من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به)[٢].

هـ - العلم من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وعلى المسلم أن يبحث عن أفضل العلوم وأشرفها وأجلها وهو ما قربك من خالقك، وأعانك على رضاه، وأبعدك عن معصيته.

وبذلك يتضح أهمية العلم وأهمية بذل الجهد في طلبه، وأنه أفضل ما يسعى إليه الإنسان، وأنه جدير بكل مسلم أن يأخذ حظه من العلم الذي يقربه إلى الله تعالى، وأن على من اشتغل بالعلوم العامة النافعة للأمة أن لا ينسى حظه من علم الفقه في الدين.

---

(١) سورة الملك: آية رقم (١٠).

(٢) البخاري (١/ ٤٥) برقم (٧٩) ومسلم (٤/ ١٧٨٧) برقم (١٥-٢٢٨٢).

المبحث الثاني

التعليم والتعلم

أولاً: المفهوم:

العلم: نقيض الجهل[1]:

والعلم هو إدراك الشيء بحقيقته إدراكاً جازماً.

التعليم: اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم.

الإعلام: اختص بما كان بإخبار سريع[2].

التعلم: هو اكتساب معلومات أو مهارات بجهد ذاتي يبذله المتعلم، أو بمساعدة خارجية كالمعلم.

توضيح:

بما أن العلم هو إدراك الشيء على ماهو عليه أو بحقيقته، إدراكاً جازماً، فخرج بقولنا: إدراك الشيء عدم الإدراك بالكلية ،ويسمى (الجهل البسيط) مثل أن يُسأل شخص عن موقع مدينة من المدن؟ فيقول: لا أدري.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (١/٤١٧).

(٢) الاصفهاني، المفردات، ص (٣٤٣).

وخرج بقولنا: بحقيقته، إدراكه على وجه يخالف ما هو عليه، ويسمى (الجهل المركب) مثل أن يسأل عن موقع جبل أحد فيقول: في مدينة مكة المكرمة. وخرج بقولنا: إدراكاً جازماً، إدراك الشيء إدراكاً غير جازم ، بحيث يحتمل عنده أن يكون على غير الوجه الذي أدركه ، فلا يسمى ذلك علماً، ثم إن ترجح عنده أحد الاحتمالين ، فالراجح ظن، والمرجوح وهم، وإن تساوى الأمران فهو شك. وبهذا يكون إدراك الأشياء كالآتي:

١ ـ **علم**: وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

٢ ـ **جهل بسيط**: وهو عدم الإدراك بالكلية.

٣ ـ **جهل مركب**: وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ماهو عليه.

٤ ـ **ظن**: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

٥ ـ **وهم**: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.

٦ ـ **شك**: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مساو[١].

أولاً: شروط العملية التعليمية:

مما سبق يمكن استنتاج الشروط التالية للعملية التعليمية:

١ ـ أن تكون المادة العلمية صحيحة.

وهذا الشرط يتطلب أن يتأكد المعلم من صحة المعلومات التي يقدمها وأن يطهر المنهج من جميع المخالفات، فيتأكد من صحة ما يقدمه مثل:

- صحة الاستنباطات والاستنتاجات التي يستخرجها.
- صحة التفسيرات والتحليلات مثل: الوقائع والحوادث التاريخية.
- صحة وسلامة الفهم لمقاصد الشريعة.
- سلامة المعلومات من عدم تعارضها مع ما قررته الشريعة.

---

(١) ابن عثيمين، الأصول من علم الأصول، ص (١٣).

وذلك لحجم المسؤولية المترتبة على ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[١] ولا شك أن هذه مسؤولية تربوية عظيمة تتطلب من المعلم أو المربي أن يبذل ما فى وسعه من جهد، وأن يسبر غور العلوم المفيدة ويُخرج أحسن ما فيها. وقد أشار بدر الدين بن جماعة إلى أهمية اقتصار المعلم على ما يتقن حتى يقدم مادة علمية صحيحة، فقال: وهذا كله إذا كان الشيخ عارفاً بتلك الفنون وإلا فلا يتعرض لها بل يقتصر على ما يتقنه منها[٢].

٢ - أن يلتزم المتعلم بتعلم المسائل العلمية على الوجه الصحيح، دون تأويل فاسد:

فكما أن على المربي مسؤولية يلتزم بأدائها بتحري الصدق فيما يقدم من توجيهات، فإن المتعلم أو المتربي عليه الإلتزام بآداب حلية طالب العلم، ومنها حسن الإستماع، والتلقي، وحسن الفهم، لأن سوء الفهم يؤدي إلى جهل مركب، فيعادي القول الصحيح والعلم الصحيح بفهمه السقيم كما قال الشاعر:

وكم من عائب قولاً صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ولذلك يجب حمل كلام الناطقين على مرادهم مهما أمكن[٣] ويجب تقييد اللفظ بملحقاته من وصف، أو شرط، أو استثناء، أو غيرها من القيود[٤].

ولذلك ينبغي للمتعلم أن يتجه للدرس وقلبه فارغ من الشواغل، وذهنه صافٍ، لا فى حال نعاسٍ، أو غضبٍ، أو جوعٍ شديدٍ، أو عطشٍ، أو نحو ذلك، لينشرح صدره لما يُقال، ويعي ما يسمعه[٥].

---

(١) سورة الإسراء: آية رقم (٣٦).

(٢) بدر الدين بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم.

(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القواعد والأصول الجامعة، ص (٨٤).

(٤) المرجع السابق، ص (٥٧).

(٥) بدر الدين، ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم.

٣ ـ أن يكون التعليم قائماً على اعادة وتكرير موضوع الدرس.

فقد كان ﷺ إذا تكلم أعاد ليُفهم عنه، فعن أنس أن النبي ﷺ: (أنه كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه)[١].

ويستفاد من هذا أن على المعلم أن يُعيد لكي يُفهم عنه. وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله تعالى: باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه[٢].

وأما إذا لم يعد فللمتعلم أن يطلب الإعادة، قال ابن حجر: فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة إذا استعاد، ولاعذر للمفيد إذا لم يعد، بل الإعادة عليه آكد من الإبتداء. وقال ابن التين: فيه أن الثلاث غاية ما يقع به الاعتذار والبيان.

لكن هل الثلاث شرط؟ قال ابن التين: ليس شرطاً بل المراد التفهم فإذا حصل بدونها أجزء[٣].

٤ ـ أن يكون التعليم قائماً على إيضاح جوانب موضوع الدرس.

وهذا يتطلب عدم الاقتصار على المختصرات بل ينطلق منها إلى كل مايتعلق بجزئياتها إيضاحاً وتصويراً لمسائلها، وضرب الأمثلة التي تسهل للطالب الفهم، وتعينه على أن يقيس عليها.

ولهذا فإن المعلم يبدأ بتصوير المسائل ثم يوضحها بالأمثلة وذكر الدلائل، ويقتصر على تصوير المسألة وتمثيلها لمن لم يتأهل لفهم مآخذها ودليلها، ويذكر الأدلة والمآخذ لمحتملها، ويبين له معاني أسرار حكمها وعللها، وما يتعلق بتلك المسألة من فروع وأصل، ومن وهم فيها؛ في حكم أو تخريج أو نقل، بعبارة حسنة الأداء ، بعيدة عن تنقيص أحد من العلماء[٤].

---

(١) البخاري (١/ ٥١) برقم (٩٥).

(٢) المرجع السابق (١/ ٥١).

(٣) ابن حجر، فتح الباري (١/ ١٨٩).

(٤) بدر الدين ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص (٥٢).

٥ ـ أن يكون للتعليم أثر في نفس المتعلم.

إن التعليم وسيلة لتهذيب سلوك الإنسان ومقاصده في معاملاته وعلاقاته بربه وبنفسه وبسائر خلق الله سبحانه وتعالى، وإذا افتقر التعليم وخلا من ذلك، فإنه لا قيمة له، بل قد يكون مدمراً للإنسان، وحجة عليه. ومن هنا وجب على المعلم أن يجعل التعليم وسيلة للتأثير على سلوك المتعلمين، وذلك بتذكيرهم بإخلاص النية، وحاجة الأمة، وحاجة المتعلمين وافتقارهم إلى ما يصلح سلوكهم، قال ابن جماعة: كان العلماء الزهاد يختمون الدروس بدرس رقائق يفيدون به الحاضرين، ولتطهير الباطن، ونحو ذلك من عظة ورقة وزهد وصبر"[(١)].

ولكن قد يقول قائل هذا في العلوم الشرعية، فكيف في العلوم العامة مثل الفيزياء والرياضيات ونحو ذلك؟

والجواب متيسر والحمد لله، وهو أن يثير ويغرس في نفوسهم أن يطلبوا بهذا العلم سد ثغرة من ثغرات المسلمين، وأن يقصدوا بهذا العلم رفع مستوى الأمة، والذود عن هذا الدين بما يقدمونه من جهد في مجال تخصصاتهم، ويبيِّن المعلم للمتعلمين عظمة الله تعالى التي تظهر فيما يعلمهم، من قدرات وضعها الله تعالى في عقول البشر للتوصل إلى هذه المخترعات، كمعرفة القوانين الفيزيائية والكيميائية، ونحو ذلك. وأيضاً ما يظهر لهم من إبداع الخالق في مخلوقاته، من دقة في التكوين وإبداع في النسق والتناسق دون خلل أو عيب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[(٣)] وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[(٤)].

---

(١) بدرالدين بن جماعة تذكرة السامع والمتكلم، ص (٣٧).
(٢) سورة الملك: الآيتان رقم (٣ ـ ٤).
(٣) سورة التين: آية رقم (٤).
(٤) سورة فصلت: آية رقم (٥٣).

ثانياً: مهمة التربية التعليمية:

لكي تكون العملية التربوية مثمرة ناجحة، لابد أن تتضمن النقاط التالية:

١ ـ إزالة الإنحرافات العقدية والتعبدية والسلوكية، والإدراكات والتصورات الخاطئة.

٢ ـ غرس العقيدة والعبادات والآداب الإسلامية، وكل ما ينفع الإنسان.

٣ ـ المحافظة على تلك الجوانب الصحيحة من الإنحراف.

٤ ـ تنمية جميع جوانب الشخصية نحو صلاحها.

ثالثاً: معوقات تحصيل المنافع:

إن معوقات تحصيل المنافع من علم ونحوه عديدة في عددها، ولكن يمكن إجمالها فيما يأتي:

١ ـ الجهل:

إن عدم سلوك طريق العلم النافع الذى يحقق له سعادة الدارين في الدنيا والآخرة، هو جهله بذلك الطريق، أو فساد تصوره عنه، بسبب ما يلي:

أ ـ الجهل البسيط:

فكثير من الناس غلط في معرفة تحصيل العلم النافع لجهله به، والجاهل بالعلم النافع والطريق المؤدي إليه، تتم معرفته بالعلم نفسه، وهذا يتوقف على جهد العلماء والدعاة والمربين والمعلمين والوالدين.

ب ـ الجهل المركب:

وهو أن يتصور الشيء على غير حقيقته، فهذا لديه جهل مركب، أي أنه تصور الشيء على غير مراده الصحيح، كمن يفهم أن الصوم هو الإمساك عن الأكل والشرب فقط، وينسى صيام الجوارح، وأداء الصلوات: قال ﷺ:

(من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[1] أو كفساد تصور الصوفية والمعتزلة وغيرهم من المبتدعة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2].

قال ابن كثير: "هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية، يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود"[3].

فالجاهل بالعلم وبطريقه أهون في التعليم من صاحب التصور الفاسد، لأن الأول جاهل بما ينفعه، وبالطريق الموصل إليه، أما الثاني فأدركه على غير وجهه الصحيح فاحتاج إلى إزالة الافكار الخاطئة، ودحضها باقامة الحجة عليه، وعلى اعتقاده حتى يقتنع، ويبيَّن له الطريق الصحيح.

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: "ولكن أكثر الناس غلط في تحصيل هذا المطلوب النافع: إمافي عدم تصوره ومعرفته، وإما في عدم معرفته الطريق الموصلة إليه، فهذان غلطان سببهما الجهل، ويتخلص منهما بالعلم"[4].

٢ ـ سيطرة الشهوات والهوى:

إن الشهوات إذا سيطرت على الإنسان قد تعمي بصيرته، فيكون الراجح ما تميل إليه نفسه وهواه وإن كان فيه حتفه، وأن المرجوح في مقاييسه هو: ما لا تشتهيه نفسه ولا تميل إليه، وإن كان فيه نجاته وسعادته، لأن الإنسان "قد يتحصل له العلم بالمطلوب، والعلم بطريقه،ولكن في قلبه

---

(١) البخاري (٢/ ٣١) كتاب: الصوم ٣٠، باب: من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ٨، برقم (١٩٠٣).

(٢) سورة الكهف: الآيتان رقم (١٠٣-١٠٤).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣ / ١١٢-١١٣).

(٤) ابن قيم الجوزية، رسالة إلى كل مسلم، ص (٢٦).

إرادات وشهوات تحول بينه وبين قصد هذا المطلوب النافع وسلوك طريقه، فكلما أراده اعترضته تلك الشهوات والإرادات، وحالت بينه وبين القصد المطلوب النافع، ولايمكن تركها وتقديم النافع إلا بأحد أمرين: حب مقلق، وخوف مزعج "[١].

أ ـ **حب مقلق**: فيكون الله ورسوله والدار الآخرة والجنة ونعيمها أحب إليه من هذه الشهوات، ويعلم أنه لايمكن الجمع بينهما، فيؤثر أعلى المحبوبين على أدناهما.

فيوسف عليه السلام عندما راودته التي هو في بيتها، ترجح عنده حب الله تعالى وطاعته وخوفه من مغبة تلك اللذة الزائلة، قال تعالى: على لسانه: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾[٢].

وكذلك مصعب بن عمير رضي الله عنه، عندما ترك زينة المال وبهجته وآثر عليه حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم[٣].

وكذلك سلمان الفارسي آثر الإسلام على وطنه فارس فتحمل المشاق في سبيل ذلك[٤].

ب ـ **خوف مزعج**: بأن يحصل له علم يترتب على إيثار هذه الشهوات من المخاوف والآلام، التي هي أشد من ألم فوات هذه الشهوات وأبقى.

٣ ـ الحسد والكبرياء:

إن الحسد والكبرياء يمنعان المتعلم من كسب النافع، لأن المتعلم المتكبر يتعالم على بعض المعلمين، أو يحكم على بعضهم قبل معرفته بهم، وسماعه منهم، قال أحد العلماء "واستنكافك عمن يفيدك ممن هو دونك كبرياء، وتطاولك على معلمك كبرياء"[٥] وهذا الإستعلاء يحرمه من الاستفادة.

---

(١) المرجع السابق، ص (٦).

(٢) سورة يوسف: آية رقم (٣٣).

(٣) انظر قصة مصعب بن عمير، في سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ١٤٥-١٤٨).

(٤) انظر قصة إسلام سلمان الفارسي، في سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٥٠٥-٥٥٧).

(٥) بكر عبد الله ابو زيد، حلية طالب العلم ص (١٠).

قال الشاعر:

فالعلم حرب للفتى المتعالي   كالسيل حرب للمكان العالي

وإما أن يحسد المتعلم أحد المعلمين أو بعضهم، فيدفعه ذلك إلى عدم الأخذ عنهم والإستفادة منهم.

وما منع أبا جهل عن الإسلام إلا حسده للرسول ﷺ فقد قال الأخنس ابن قيس لأبي جهل ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذبنا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولانصدقه[1].

٤ ـ ازدحام العلم في السمع:

قد يسلم المرء من كل ماسبق، لكنه يخطئ في كيفية استيعاب العلم النافع.

فالإهتمام بعدد من العلوم في وقت واحد وزمن واحد قصير، يفوت على المتعلم الإلمام بها جميعاً، لأن «من رام العلم جملة ذهب عنه جملة، وقيل أيضاً: ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم»[2].

وهذا يتطلب التدرج مع المتعلم في التعليم، يقول بدرالدين بن جماعة: ولايُمكن الطالب من الاشتغال في فنين أو أكثر إذا لم يضبطها، بل يقدم الأهم فالأهم"[3].

٥ ـ عدم التعود على الحفظ:

إن الحفظ أساس العلم، ويحتاج إلى مران واعتياد حتى يصبح

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، (١/ ٣٣٧-٣٣٨).

(٢) بكر أبو زيد، حلية طالب العلم ص (١٨).

(٣) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص (٥٧).

ميسوراً، قال أبو هلال العسكري: «كان الحفظ يتعذر عليَّ حين ابتدأت أرومه، ثم عودته نفسي إلى أن حفظت قصيدة في ليلة واحدة، وهي قريب من مائتي بيت»[1].

وقال ابن الجوزي: «ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير، وكان أبو إسحاق الشيرازي يعيد الدرس مائة مرة»[2].

ثم لابد من إظهار ما تعلمه، بتعليمه للآخرين، لأنه سبب رئيس في حفظ العلم، قال ابراهيم النخعي: «من سره أن يحفظ الحديث، فليحدث به، ولو أن يحدث به من لايشتهيه، فإنه إذا فعل ذلك كان كالكتاب في صدره"[3].

رابعاً: أسس تحصيل المنافع:

إن الإنسان في تحصيل المنافع لراغب، وعنها يبحث ويجاهد، ولكنه يخطئ الطريق أحياناً، فتأتيه المفاسد بدل المنافع، ولذلك كان لابد من معرفة طُرق تحصيل المنافع، وهي ستة أمور:[4]

١ ـ معرفة الشيء النافع للعبد.

٢ ـ معرفة الطريق الموصلة إلى ذلك.

٣ ـ سلوك تلك الطريق.

٤ ـ معرفة الضار المؤذي.

٥ ـ معرفة الطريق التي إذا سلكها أفضت به إلى ذلك.

٦ ـ تجنب سلوكها.

وتحصل معرفة هذه الأمور الستة بالعلم النافع للإنسان في دنياه وآخرته، والتي هي مصادر التربية الإسلامية السابق بيانها.

---

(١) عادل عبد الله السعدي، إيقاظ الهمة لطالب علم الكتاب والسُّنَّة، ص (٤٨).

(٢) ابن الجوزي، الحث على حفظ العلم.

(٣) عادل عبد الله السعدي، ايقاظ الهمة لطلب علم الكتاب والسُّنَّة، ص (٤٨).

(٤) ابن قيم الجوزي، رسالة إلى كل مسلم، ص (٢٥).

المبحث الثالث

العوامل المساعدة على التعلم

لكي تتم عملية التعلم على الوجه المطلوب، وتؤتي ثمارها بإذن الله تعالى، بأقل وقت وجهد، لابد من مراعاة ما يلي:

١ ـ العوامل الداخلية.

٢ ـ العوامل الخارجية.

أولاً: العوامل الداخلية:

ويقصد بها: تلك الاستجابة أو الاستجابات النابعة من نفس المتعلم، مثل:

١ ـ الدوافع:

إذاً لا يمكن للمرء أن يتعلم بدون دافع يدفعه لتحصيل العلم، لذلك ينبغي للمعلم أن يستثير المتعلمين بمقدمة، أو بأسئلة تشحذ هممهم وتثير اهتمامهم، وتشوقهم لمعرفة ما يريد أن يقوله، فضلاً عن تذكيرهم بالآيات والأحاديث التي تبيِّن فضل العلم والعلماء، يقول ابن الجوزي «ثم يتفاوت الصبيان بعد ذلك فمنهم من يحتاج إلى محرض، وهم الأكثر، ومنهم من تنبه بأيسر تنبيه، ومنهم من يتعب معه الرائض»[١].

---

(١) ابن الجوزي، الحث على طلب العلم، ص (١٧).

وقد ابتدأ الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ كتاب العلم في صحيحه بباب فضل العلم، ليكون في ذلك تشويق للمتعلم بأن يتابع ما بعده، من خلال ما عرفه عن فضل العلم، قال القاضي ابو بكر العربي: «بدأ المصنف بالنظر في فضل العلم قبل النظر في حقيقته وذلك لاعتقاده أنه في نهاية الوضوح فلا يحتاج الى تعريف .... (ثم قال) بل هو جار على أساليب العرب القديمة، فإنهم يبدأون بفضيلة المطلوب للتشويق إليه، إذا كانت حقيقته مكشوفة معلومة»[١].

٢ ـ وضوح الهدف:

من الضروري وجود هدف واضح، أو قصد محدد من التعلم، ليكون حافزاً للمتعلم على طلب العلم، لأن المتعلم يكون في صورة أكفأ كلما تحدد له هدف مقصود، وهذا الهدف يدفع المتعلم نحو مزيد من التحسن[٢].

ولابد أن يكون الهدف التعليمي مبنياً على الإخلاص لله تعالى، وعلى ضوء ما ذكر في هذا الفصل تحت عنوان أهمية العلم.

٣ ـ الثواب والعقاب:

لشدة الثواب أهمية في المعدل الكمي للتعلم، لأنها تقوي دافع التحصيل عند المتعلم، وكذلك العقاب له أهمية في تحفيز المتعلم على التعلم، وتحسين أدائه، ولكن ذلك يختلف باختلاف الطبائع الفردية، فمن الناس من يحسن له الثواب والتشجيع، مثل: كلمات الشكر ونحوها، والبعض يصلح له العقاب[٣].

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، (١/ ١٤٠/ ١٤١).

(٢) عبد المجيد سيد أحمد منصور، مذكرة علم النفس التربوي، ص (٤١).

(٣) المرجع السابق، ص (٤١).

٤ ـ النضج:

وهو أن يصل المرء إلى السن والمقدرة والنضج الذي يؤهله لاكتساب المعرفه المراد تعليمها له، أي بلوغ الفرد درجة من النضج العقلي التي تتيح له تحصيل المعلومات[١].

وهذا يختلف باختلاف السن أولاً، وبحسب اختلاف النضج العقلي ثانياً، وبحسب تدرجه في العلم، فلا يستطيع من لم يتأهل سناً وعقلاً وتدرجاً علمياً أن يتعلم أصول الفقه، وهو لم يتعلم ما ينبغي أن يكون مقدمات له، يقول ابن جماعة: فلا يلقى إليه ما لم يتأهل له، لأن ذلك يبدد ذهنه ويفرق فهمه»[٢] كما ينبغي للمعلم «أن لايشير عليه بشيء حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله"[٣] ويقول ابن الجوزي «ومتى اعتدل المزاج وتكامل العقل أوجب ذلك يقظة الصبي»[٤].

٥ ـ الجنس:

إن ما يصلح للإناث قد لايصلح للذكور، من علوم ومعارف، فمن العلوم ما تصلح للجميع ، فاذا كلفت المرأة بما لا تحتاج إليه لا تتقنه، وكذلك الذكور، فالمرأة تحتاج إلى التدبير المنزلي وإلى تطبيب الأطفال والعناية بمأكلهم ومشربهم والخياطة وما شابه ذلك، وقد لا يحتاجه الرجل إلى حد ما، في حين أن المرأة لا تحتاج أن تتعلم الهندسة المعمارية والمدنية. وما شابه ذلك، فمن هنا وجب أن تراعي المناهج في العالم الإسلامي ذلك، حتى تحفظ للجميع أوقاتهم، وإن كان ذلك قد لا يحصل للرجل، لكنه يحصل للنساء ، فتجد الطالبة تضيع جزءاً كبيراً من وقتها في تعلم ما لا تحتاج إليه.

---

(١) نبيل السملوطي، الإسلام وقضايا علم النفس، ص (١٤٣).

(٢) بدر الدين بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم.

(٣) المرجع السابق، ص (٥٦).

(٤) ابن الجوزي، الحث على حفظ العلم، ص (١٧).

ثانياً: العوامل الخارجية:

وهي العوامل التي تنبعث من خارج نفس المتعلم، وتؤثر على قدرته العلمية، مثل:

١ ـ حجم المادة العلمية:

وهي الكمية التي يستطيع المتعلم أن يتعلمها في وقت واحد، فكلما زادت كمية المادة وقل الوقت لتعلمها ،كانت العملية التعليمية ضعيفة، وكلما كانت المادة المُتعلمة موافقة للمدة الزمنية للتعلم، سهلت العملية التعليمية[١].

٢ ـ الترابط الإيجابي:

وهي العلاقة بين المادة العلمية السابقة واللاحقة، فإذا كانت العلاقة بينهما قوية ومتسلسلة ترابطت المعلومات وسهل التعلم، وإذا كانت متباينة ومتباعدة صعب التعلم.

٣ ـ الاسلوب اللفظي:

وهو الصياغة الفنية في عرض المعلومات، فإذا كانت واضحة الفكرة والأُسلوب واللفظ، سهل التعلم، وأما الصياغة التي تفوق مستوى المتعلمين لفظاً وفكرة تكون عائقاً في طريق التعلم، وباعثة على صعوبة التذكر، والسآمة.

٤ ـ توزيع الحفظ:

وهو تجزئة المادة المحفوظة كمية ووقتاً بما يتناسب مع المستوى الإدراكي للمتعلم. فكلما كان توزيع المادة العلمية المراد حفظها توزيعاً يلائم قدرات المتعلم، في الفهم وسرعة الحفظ، والإستيعاب تحسن مستوى

---

(١) عبد المجيد سيد منصور، مذكرة علم النفس التربوي، ص (٤٢).

الحفظ لديه، وكلما زاد معدل الحفظ عن القدرة المستطاعة لدى المتعلم، تعذر حسن الحفظ، وقاده ذلك إلى الملل، فيفقد المتعلم مستوى التحسن.

والحفظ يكون بالمران، قال أبو هلال العسكري كان الحفظ يتعذر عليَّ حين ابتدأت أرومه (يعني أطلبه) ثم عودته نفسي إلى أن حفظت قصيدة في ليلة،وهي قريب من مائتي بيت[١].

ثم لا بد بعد ذلك أن يقوم المتعلم بتعليم ما تعلمه لغيره، فذلك يساعد على رسوخه في الذهن، فالعلم يزداد ثبوتاً بالعطاء.

ولشرف العلم فإنه يزيد بكثرة الإنفاق، وينقص مع الإشفاق، وآفته الكتمان[٢].

وكلما تعود الفرد على الحفظ نمت لديه ملكة الحفظ قال الزهري: «إن الرجل ليطلب وقلبه شعب من الشعاب، ثم لايلبث أن يصير وادياً لا يوضع فيه شيء إلا التهمه»[٣].

كما أنه ليست هناك قاعدة حاسمة في التعلم الكمي، فالأمر يعتمد على طبيعة المادة التعليمية، فالتعلم الكلي يستفاد منه في تعليم الموضوعات ذات الاستمرارية، وذات العلاقة المترابطة. ويستفاد من التعلم المجزء في الأعمال غير المرتبطة مع بعضها البعض.

وأحسن الطرق في التعلم التي تمر على النص المحفوظ أو المدروس كله، لالتقاط المعنى، ثم الإستمرارية في ذلك لكي تُكتشف الأجزاء الصعبة[٤].

---

(١) أبو هلال العسكري، الحث على طلب العلم.
(٢) بكر بن عبد الله ابو زيد، حلية طالب العلم، ص (٥٢).
(٣) أبو هلال العسكري، الحث على طلب العلم.
(٤) عبد المجيد سيد أحمد منصور، مذكرة علم النفس التربوي، ص (٤٤).

المبحث الرابع
التذكر والنسيان

التذكر: هو استرجاع ذهني لما سبق أن تعلمه الفرد واحتفظ به[1].

النسيان: هو عدم قدرة الفرد على استرجاع ما تعلمه، أو بعضه.

أسباب النسيان:

للنسيان أسباب عديدة يمكن إرجاعها للعوامل التالية:[2]

١ ـ المعاصي:

مما يورث النسيان: المعاصي وكثرة الذنوب والهموم والأحزان في أمور الدنيا، وكثرة الأشغال والعلائق[3].

٢ ـ التداخل والتعطيل الرجعي:

إن تعاقب المعلومات وتواليها، يؤدي إلى تداخلها، فينسى الإنسان جزءً منها أو بعضها، لذلك فعليه أن «يحذر في ابتداء طلبه من تفاريق المصنفات، فإنه يضيع زمانه ويفرق ذهنه، بل يعطي الكتاب الذي يقرؤه أو

---

(١) السملوطي، الاسلام وقضايا علم النفس الحديث، ص (١٥٢).

(٢) انظر السملوطي، الإسلام وقضايا علم النفس، ص (١٥١)، عبد المجيد سيد أحمد منصور، مذكرة علم النفس التربوي، ص (٤١ ـ ٤٨). فؤاد أبو حطب وآمال صادق، علم النفس التربوي، ص (٣١٣-٣٢٩).

(٣) برهان الدين الزرنوجي، تعليم المتعلم في طريق التعلم.

الفن الذي يأخذه كليته حتى يتقنه، وكذلك يحذر التنقل من كتاب إلى كتاب من غير موجب فإنه علامة الضجر وعدم الافلاح»[١].

إن المعلومات اللاحقة لمعلومات سابقة مباشرة، تسهم في نسيان بعض التعليم السابق، كالطالب الذي يستذكر موضوعاً لمدة ساعة ثم يردفه بتعلم موضوع آخر، دون أخذ فترة من الراحة، فإنه بذلك يعرض الدرس الأول أو جزءً منه للنسيان.

وقد أكدت الدراسات السلوكية لعمليات التعلم أن الحفظ يكون أضعف حين يُقحم تعلم آخر عقب التعلم الأصلي، بحيث يسبق قياس حفظ التعلم الأصلي[٢] ولهذا ينبغي مراجعة الدرس مراجعة سريعة بعد الإنتهاء منه، والتأكد من فهمه، ومن ثم التهيؤ للدرس اللاحق.

٣ ـ التعطيل البعدي:

وهو بعكس التعطيل الرجعي، أي أن المعلومات السابقة تعيق تذكر المعلومات اللاحقة، كالذي يتعلم لغة ثم يعقبها تعلم لغة أخرى، فعندما يسترجع إحداها قد يخلط بين بعض كلماتهما بسبب التعلم المتداخل المتلاحق، فالطالب الذي قرأ، أو حفظ نصاً حفظاً خاطئاً من حيث نطق بنية الكلمة، فإنه إذا أراد بعد ذلك أن يصحح تلك الكلمات وينطقها نطقاً سليماً، حصل تداخل بينهما، فإنه عادة ما يخلط بين النطق القديم الخاطئ وبين صوابه، وبالتالي يحدث تعطيل رجعي، فبهذا ينبغي أن لا نجعل المتعلم للقرآن الكريم أن يتعلمه ممن لايتقن قراءة القرآن قراءة صحيحة، وكذلك مقررات اللغة العربية.

٤ ـ الترك وعدم الاستعمال:

إن ترك المعلومات والمهارات التي سبق تعلمها، يضعف حفظها،

---

(١) بدر الدين بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص (١١٧-١١٨).

(٢) د. فؤاد أبو حطب، د. آمال صادق، علم النفس التربوي، ص (٣٢٨).

ويعرضها للنسيان، لذلك لا بد من مراجعتها، فإن تعاهد المحفوظ أو المعلوم بالمذاكره المستمرة يسهل سرعة الاسترجاع، وقد نبه إلى ذلك أهل العلم «بأنه ينبغي أن يتذاكر مواظبو مجلس الشيخ ما وقع فيه من الفوائد والضوابط والقواعد، وغير ذلك، وأن يعيدوا كلام الشيخ فيما بينهم، فإن في المذاكرة نفعاً عظيماً»[1] وقيل: المذاكرة حياة العلم[2].

العوامل المساعدة على الإسترجاع:

١ ـ تقوى الله عز وجل، فهو سبيل للتعلم، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[3].

٢ ـ كثرة الإستغفار، فإنه أحد أسباب الخير، قال تعالى: على لسان نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[4].

٣ ـ الدعاء، بأن يسأل الله تعالى أن يذكره ما نسي.

٤ ـ الترديد والتكرار.

إذا حفظ المتعلم فعليه أن لا يطمس ما حفظه بعدم عودته إليه، معتمداً على ذاكرته، بل عليه أن يكرر «ما حفظه تكراراً جيداً، ثم يتعاهده في أوقات يقررها لتكرار مواضيه"[5].

فكلما تكررت المعلومات ورددها المتعلم سهل استرجاعها، وقد كان اسحاق الشيرازي يعيد الدرس مائة مرة[6].

---

(١) بدر الدين بن جماعة، تذكرة السامع و المتكلم، ص (١٤٣).

(٢) ابو هلال العسكري، الحث على طلب العلم، ص (٦٧).

(٣) سورة البقرة، آية، رقم (٢٨٢).

(٤) سورة نوح، الآيتان، رقم (١٠ ـ ١١).

(٥) بدر الدين بن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص (١٢٢).

(٦) ابن الجوزي، الحث على حفظ العلم، ص (٢١).

٥ ـ البعد الزمني:

كلما كانت الفترة ما بين التعلم والاسترجاع قصيرة، سهل استرجاع المعلومات، وكلما طالت المدة صعب تذكرها.

وقد أجريت دراسات تجريبية، أكدت أن الفاصل الزمني الطويل يعيق عملية التذكر[١].

٦ ـ الاستعداد الذهني والراحة النفسية:

أي أن يكون لدى الفرد استعداداً للإسترجاع، وتهيوء لذلك، والسلامة من الإضطرابات التي تشتت الذهن، وتشغله عن المعلومات المراد استذكارها. قال ابن الجوزي: «ومتى رأى نفسه مشغول القلب ترك التحفظ»[٢].

٧ ـ الإرتباط التعليمي:

إن ارتباط المعلومات بحدث أو موقف أو شكل معين يساعد على رسوخها في الذهن، ولذلك تستخدم الوسائل التعليمية لترتبط المعلومات بشكل الوسيلة التي عُرضت بها، وبالموقع المكاني، والموقف.

ومن خلال هذا الفصل يتبين أن العلم له أهمية عظيمة في التربية الإسلامية، كما أن العملية التعليمية ليست أمراً عشوائياً، بل لها قواعد وأسس ينبغي مراعاتها حتى تُؤتي التربية ثمارها، وأن التعلم له معوقات تحول بين المتعلم والعلم الذي يطلبه، لذلك ينبغي على المتعلم أن يتنبه إليها.

واتضح من خلال هذا الفصل أن هناك أسباباً تؤدي إلى النسيان الذي يعاني منه بعض المتعلمين وربما حد من نشاطهم ومثابرتهم على التعلم، ولكن هناك علاجاً لذلك تضمنه هذا الفصل.

---

(١) د. فؤاد أبو حطب، د. آمال صادق، علم النفس التربوي، ص (٣٢٢-٣٢٣).

(٢) ابن الجوزي، الحث على حفظ العلم، ص (٢٢).

الفصل الثاني
البناء العقـدي

المبحث الأول : المـفـهـوم والأهمية

المبحث الثاني : الآثار التـربوية للإيمان



المبحث الأول

المفهوم والأهمية

مفهوم العقيدة:

العقد نقيض الحل، واعتقد الشيء: صلب واشتد.

والمعاقدة: المعاهدة والميثاق والإيمان.

والعقد: العهد، وعاقده: عاهده، وتعاقد القوم: تعاهدوا[١].

العقيدة هي: ما يعقد عليه المرء قلبه، تقول: أعتقد كذا ـ أي عقدت عليه القلب والضمير ـ وأصله مأخوذ من عقد الحبل إذا ربطه، ثم استعمل في عقيدة القلب، وتصميمه الجازم[٢].

وبذلك يمكن القول بأن العقيدة هي: ما صلب واشتد عليه القلب وأصبح يقيناً لا يساوره الشك.

والعقيدة الإسلامية أساسها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

والإيمان هو: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان[٣].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٣/٢٩٦-٢٩٩).

(٢) صالح بن فوزان الفوزان، العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ص (٩).

(٣) أبو جعفر الطحاوي، العقيدة الطحاوية، ص (٣٣٢).

أهمية الإيمان:

تبرز أهمية العقيدة الإسلامية في حياة البشرية من أوجه متعددة، يتأكد بها أهمية العناية بتربية النشء عليها، والتي يمكن إيضاح بعض جوانبها فيما يلي:

١ ـ قبول العمل:

إن أبرز ما يؤكد أهمية الإيمان أن التربية التي لا تركز عليها إنما هي تربية تهوي بالمتربين إلى الهاوية، لأن كل جهد وعمل لا يُقبل من الإنسان ما لم يكن قائماً على الإيمان الصحيح، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[١].

٢ ـ الثبات الخُلُقي:

إن ثبوت المبادئ والأخلاق وعموم تصرفات الناس تتفاوت بينهم بحسب قوة الإيمان الذي لديهم، فالبعض يظهر عليه التحلي بالأخلاق الإسلامية، ولكنها سرعان ما تتوارى في المواقف التي تطغى شهواته عليه، وصنف من الناس يتحلى ببعض الفضائل الخُلُقية إذا أحس أنها تحقق له مطالب ومنافع دنيوية عاجلة، ويتنازل عنها في غير ذلك، متحلياً بأضدادها إذا توهم أنها تحقق له بعض المطالب والمكاسب. وصنف آخر من الناس يتمسك بكل ما يستطيع من الأخلاق الإسلامية، في جميع الأحوال والظروف.

والمتأمل في سبب ذلك يجد أن التفاوت المشار إليه إنما هو نابع من تفاوت القوة الإيمانية التي يحملها الإنسان بين جوانحه.

لذلك فالإيمان الصحيح أساس متين لتربية ثابتة، مضمونة النتائج، بعكس التربية التي لا تقوم على ترسيخ الإيمان، فإنها تربية عشوائية غير

---

(١) سورة الزمر: آية رقم (٦٥).

صحيحة[1] يقول ابن القيم: فالأساس لبناء الأعمال كالقوة لبدن الإنسان، فإذا كانت القوة قوية حملت البدن، ودفعت عنه كثيراً من الآفات، وإذا كانت القوة ضعيفة؛ ضعف حملها للبدن، وكانت الآفات إليه أسرع شيء، فاحمل بنيانك على قوة أساس الإيمان.[2].

والمتأمل في تدرج التشريع الإسلامي يجد أنه أول ما ركز في بداية الدعوة على قضية الإيمان وتصحيح المعتقدات، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (. . .إنما نزل أول ما نزل سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل لا تزنوا، لقالوا لا ندع الزنا أبداً. . .)[3] فأشارت أم المؤمنين إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن الكريم الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك نزلت الأحكـــام، وذلك لما طُبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف[4].

٣ ـ الإستخلاف والتمكين للمؤمنين:

قـال تـعـالـى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[5].

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أُصول التربية الإسلامية، ص (٦٩-٧٠).

(٢) ابن القيم، الفوائد، ص (١٧٥).

(٣) البخاري (٣/ ٣٤٠) برقم (٤٩٩٣).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (٩/ ٤٠).

(٥) سورة النور: آية رقم (٥٥).

٤ ـ ولاية الله وهدايته للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾[١].

٥ ـ العزة والرفعة:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

٦ ـ النصر:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾[٤].

٧ ـ الأمن والطمأنينة:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة: آية رقم (٢٥٧).

(٢) سورة المنافقون: آية رقم (٨).

(٣) سورة الروم: آية رقم (٤٧).

(٤) سورة الحج: آية رقم (٣٨).

(٥) سورة الأنعام: آية رقم (٨٢).

المبحث الثاني

الآثار التربوية للإيمان

إن للإيمان آثاراً تربوية على حياة وسلوك الإنسان، وتكون هذه الآثار بحسب القوة الإيمانية التي يحملها الفرد بين جوانحه، ويمكن إبراز بعضها فيما يلي:

١ ـ ضابط للقلق النفسي:

إن القلق النفسي الذي قد يصيب الإنسان ويؤرقه، لهو من الأمور الطبيعية، إذا لم يتجاوز حدوده المألوفة، لأن الإنسان بفطرته يتألم إذا ادلهمت به النوائب كموت قريب، أو وقع في خسارة مالية، وقد يصيبه القلق لمنافع يطمع في تحقيقها.

ولو لم يوجد عند الإنسان مثل هذه الهموم لتبلد إحساسه، وهذا أمر طبيعي، ولكن المشكلة تكمن في تطور هذه الهموم وارتفاع حدتها إلى درجة تجعل حياة الإنسان آلاماً وأحزاناً، وتتكالب عليه الخواطر والوساوس إلى درجة قد تجلب له المرض النفسي.

والأسباب التي تؤدي إلى تفاقم القلق النفسي، وتجاوزه لحدوده أمور متعددة، يمكن حصرها فيما يلي:

خلو القلب من الإيمان:

إن من أهم أسباب القلق والاضطرابات النفسية خلو القلب من الإيمان، لأن القلب البشري لابد له من الإنشغال، إما بالحق أو بالباطل،

فإذا كان قلب المرء خالياً من الإيمان استحوذ على صاحبه الشيطان، فعاث فيه فسادا، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] أي سلطانهم عليهم، يزيدون في غيهم[2] فغير المؤمن يستحوذ عليه الشيطان، فيُشغل قلب صاحبه بما يجلب له القلق بإثارة الهموم والأحزان والمخاوف، وهذه من أبرز مثيرات الاضطرابات النفسية، وقد بيَّن الله تعالى أن الشياطين لا تَعِد الإنسان إلا بما يجلب له القلق والمصائب، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3] أي يخوفكم الفقر لكي تمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله، ويأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاَّق[4].

وإن من أسباب القلق النفسي عند الإنسان الخوف من الفقر والطمع في الدنيا.

٢ ـ ضعف الإيمان:

قد لا يكون قلب المرء خالياً من الإيمان ولكن لديه ضعف في إيمانه، وبقدر هذا الضعف يتعلق قلب المرء بالدنيا وزينتها، وكلما تعلق القلب بالدنيا انشغل بها، وأحبها وآثرها على الآخرة، ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث: هم لازم، وتعب دائم، وحسرة لا تنقطع، وذلك أن محبها لا ينال منها شيئاً إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه[5] فجلبت له الأحزان والمخاوف، أما القلب المطمئن بالإيمان فالقلق لديه طبيعي لا يتجاوز به إلى الأمراض والاضطرابات النفسية، لأن المؤمن يؤمن بأن جميع الأمور بيد الله تعالى، ومنها الأعمار والأرزاق وتقلب الأحوال، ويستقر في نفسه

---

(١) سورة الأعراف: آية رقم (٢٧).
(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٢٥).
(٣) سورة البقرة: آية رقم (٢٦٨).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢٩).
(٥) ابن القيم، إغاثة اللهفان.

معاني الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تجلب له الرضا بالمكتوب والقناعة بالموجود، والطمع فيما عند المعبود، ومن تلك الأحاديث الجالبة للمؤمن الراحة النفسية ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف)[١].

الأعلجة الإيمانية للقلق النفسي:

- العلم والإيمان بأن هذه الدنيا دار ابتلاء وفناء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ * وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٣].

فجميع ما على الأرض من مآكل ، ومشارب لذيذة، وملابس طيبة، وأشجار وأنهار، وزروع، وثمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة، وأصوات شجية وصور مليحة، وذهب وفضة، وخيل وإبل ونحوها، جعلها الله زينة لهذه الدار، وفتنةً واختباراً لهم، ومع ذلك سيجعل الله تعالى جميع هذه المذكورات فانية، مضمحلة، وزائلة مُنْقَضِيَة، وستعود الأرض صعيدا جرزاً[٤].

- **معرفة أهمية الصبر**: فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس بار الجسم،[٥] وقد جمع الله تعالى للصابرين ثلاثة

(١) الترمذي (٤/ ٥٧٥-٥٧٦) برقم (٢٥١٦).
(٢) سورة البقرة: الآيتان رقم (١٥٥-١٥٦).
(٣) سورة الكهف: آية رقم (٧).
(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٣/ ١٤٢).
(٥) ابن القيم، عدة الصابرين.

أمور لم يجمعها لغيرهم، وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم[1]، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[2].

وينبغي أن يشتمل الصبر على الإيمان التام بأن ما قضاه الله تعالى على الإنسان هو عين العدل.

- **البعد عن كلمة لو**: فإن مما يجلب القلق والإضطراب للإنسان، قول المرء في أموره التي انتهى منها: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، أو لو أنني لم أفعل ذلك لما حصل كذا وكذا، وهذا يجعل الإنسان في حسرة لا تنقطع طالما هو يردد هذه الكلمة، وقد نهانا ﷺ في الحديث عن قول كلمة لو، وعلمنا كيف نعالج ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: (المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، إحرص على ما يَنْفَعُكَ واستعن بالله ولا تَعْجَز. وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أنّي فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ اللهِ وما شاء فعل، فإن لو تفتحُ عمل الشيطان)[3].

- **العلم بأن المحبوب قد يأتي بالمكروه، والمكروه قد يأتي بالمحبوب**: قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[4] ففي هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة، لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لم يعلمه العبد، وأوجب له ذلك

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة البقرة: الآيات رقم (١٥٥ ـ ١٥٧).

(٣) مسلم (٤/٢٠٥٢) برقم (٣٤-٢٦٦٤).

(٤) سورة البقرة: آية رقم (٢١٦).

أموراً، منها: أنه لا أنفع له من امتثال الأمر وإن شق عليه في الابتداء، لأن عواقبه كلها مسرات ولذات وأفراح، وإن كرهته نفسه، فهو خير له وأنفع، وكذلك لا شيء أضر عليه من من ارتكاب النهي، وإن مالت إليه نفسه، فإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب.[1].

- **الصلاة والدعاء**: فإن لهما أثر عظيم على سلوك الإنسان وعواطفه واستقراره النفسي، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[2].

وكان من دعائه ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال)[3].

٢ ـ ضابط للدوافع النفسية:

إن مبدأ السيئات عند الإنسان من الغضب والشهوات، فإن الغضب قد يؤدي بالإنسان إلى الضرب والقتل والسب واللعن والظلم والبطر، وغير ذلك من المعاصي.

والشهوات تأتي منها المعاصي الطلبية، كالزنى والغش والسرقة والسكر، والتعالي، وغير ذلك من المعاصي.

وكلما كان إيمان الفرد قوياً كان أتقى لله تعالى لأن الإيمان كله تقوى الله"[4] وتَغَلُّبُه على ذلك بقدر تقواه على تلك الدوافع، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[5] قال سعيد بن جبير: هوالرجل يغضب الغضبة فيذكر الله فيكظم الغيظ. وقال

---

(١) ابن القيم، الفوائد، ص (١٥٣).

(٢) سورة البقرة: آية رقم (٤٥).

(٣) البخاري، برقم (٢٨٩٣).

(٤) ابن تيمية، الفتاوى (١٠/ ٢٣٥).

(٥) سورة الأعراف: آية رقم (٢٠١).

الليث عن مجاهد: هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه، والشهوات والغضب مبدأ السيئات.

إذاً فالإيمان له تأثير قوي على الدوافع التي تؤثر على سلوك الإنسان وتصرفاته، فيوجه الإيمان أخلاق الإنسان للخير. بعكس ضعيف الإيمان فإنه عبد شهوته، ونزواته الشيطانية.

٣ ـ الثبات على المبدأ:

إن الإنسان ليتعرض لأمور صعاب جسام في دنياه، من فقر وقلة يد، واضطهاد، وعداوات، وتكالب من الأعداء، فمنهم من يصبر ويثبت على مبادئه الإسلامية، ومنهم من يضعف وينهار أمام تلك الأمور، فيقصر في دينه، وبقدر إيمان الفرد يحصل منه الثبات على الشدائد، والثبات على إحقاق الحق، وعلى مبدأ الصدق، والصبر على أداء العبادات، والثبات على كراهية أعداء الله تعالى، والثبات على إعطاء الحق من نفسه، وعلى كل خير، والبعد عن كل شر.

وخير من ثبت على مبادئهم الأنبياء عليهم السلام، ومنهم نبينا وقدوتنا إمام المتقين وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، فقد واجه من البلاء والمحن ما تهتز له القلوب وتنثني عنده العزائم، فصمد رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم أُوذي في مكة ويوم دمت قدماه عندما طردوه أهل الطائف وسلطوا صبيانهم عليه، وثبت يوم وضع مشركي قريش السلى عليه وهو يصلي عند الكعبة، وثبت يوم أن حُصر في الشعب، فقوطع اجتماعياً واقتصادياً، وحورب حتى هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وثبت في الحروب والمعارك، ومنها يوم حنين، ويوم أُحد ويوم الأحزاب.

وقد ثبت ممن تربى على يديه، الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ومن تلك الصور ثباتهم يوم غزوة الخندق، لما اشتد الكرب على المسلمين كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ

ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[1] .

أهل مكة والحجاز من فوقهم، وأهل نجد من أسفل منهم بمساندة اليهود الذين حول المدينة، فضِعَاف الإيمان بدأوا يتملصون ويتنصلون من الموقف، وينتحلون الأعذار، كذباً وبهتانا، قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[2] .

أما أهل الإيمان فماذا قالوا؟ ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[3] والوعد هو قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[4] .

٤ ـ تحقيق التآخي الاجتماعي:

إن العقيدة الإسلامية تحقق التآخي والتآلف بين أفراد المجتمع، وكلما كان المجتمع صحيحاً قوياً في اعتقاده حصل بين سلوك أفراده انسجام، لأن المصدر واحد والباعث واحد والهدف واحد، وكلما ضعف الجانب الإيماني تسلطت الأهواء والنزعات وظهرت العنصريات، فتأمل المجتمعات القائمة على تعدد الأحزاب، تجد أن كل حزب بما لديهم فرحون، وأن كل حزب يبغض الحزب الآخر ويكيد له كيداً.

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان رقم (١٠ ـ ١١).

(٢) سورة الأحزاب: الآيتان رقم (١٢-١٣).

(٣) سورة الأحزاب: آية (٢٢).

(٤) سورة البقرة: آية رقم (٢١٤) وانظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٤/ ١٤٤).

ومن الأمثلة التي تكشف قوة التآخي في ظل العقيدة الإسلامية، ما كان عليه الأوس والخزرج من مطاحنات وحروب، فجاء الإسلام وآخى بينهم، ثم آخى الإسلام بين قبائل متباينة من حيث البيئة الجغرافية المكانية، فآخى بين المهاجرين والأنصار، حتى بلغ بهم التواد والتراحم أنهم يؤثرون على أنفسهم ولوكانت الحاجة للشيء ماسة ملحة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١].

وحصلت الأُخوة الإسلامية بين من تباينت بهم الأعراق، فالصحابة من قريش إخوة لصهيب الرومي، وبلال بن رباح الحبشي وسلمان الفارسي.

وكلما قوي إيمان المسلمين ذابت الفوارق العرقية والمكانية بينهم، وكلما ضعف إيمانهم ضعفت العلاقة الأخوية. ويوضح ذلك قول المصطفى ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٢] فشبه النبي ﷺ الإيمان بالجسد، وأهله بالأعضاء، لأن الإيمان أصل، وفروعه التكاليف، فإذا أخل المرء بشيء من التكاليف شأن ذلك الإخلال الأصل، وكذلك الجسد أصل كالشجرة وأعضاؤه كالأغصان، فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها؛ كالشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها اهتزت الأغصان كلها بالتحرك والإضطراب[٣].

ومن خلال ما تضمنه هذا الفصل يتبين الأثر التربوي العظيم الذي يعكسه الجانب الإيماني على سلوك وحياة الإنسان فضلاً عن ما يجده الإنسان في آخرته من الثواب العظيم لقاء الإعتقاد الصحيح الذي هو شرط لقبول العمل.

---

(١) سورة الحشر: آية رقم (٩).

(٢) البخاري (٤/ ٩٣) برقم (٦٠١١) ومسلم (٤/ ١٩٩٩-٢٠٠٠) برقم (٦٦-٢٥٨٦) واللفظ له.

(٣) ابن حجر، فتح الباري (١٠/ ٤٣٩-٤٤٠).

ويعتبر سلوك الأفراد ثمرة ومظهراً من مظاهر عقيدتهم، فالإنسان المؤمن ترتقي أخلاقه بقدر تمكن العقيدة الإسلامية من قلبه، ويهبط سلوكه بقدر ضعف إيمانه، وقد ربط النبي ﷺ بين سلوك الإنسان وبين الإيمان، فقال ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً)[1].

(١) أبو داود (٥/ ٦٠) برقم (٤٦٨٢).



الفصل الثالث
البناء التعبدي

المبحث الأول : المفهوم والأهمية

المبحث الثاني : الآثار التربوية للعبادة



المبحث الأول

المفهوم والأهمية

مفهوم العبادة:

العبادة: إسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[1].

والعبادة لها أصلان، هما:

١ - الإخلاص لله تعالى: لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[2].

٢ - أن يُعْبَدَ الله تعالى بما أمر وشرع: وهذا يحتاج إلى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[3].

والمتابعة تحتاج إلى محبة أيضا» وإنما يغلط في هذه من حيث يتوهمون أن العبودية مجرد ذل وخضوع فقط لا محبة"[4] وهذ يتطلب غرس محبة الله ورسوله مع الإتباع، حتى تؤتي التنشئة أُكلها بإذن ربها، وكذلك توسيع دائرة الفهم عند المجتمع للعبادة، لأن البعض يفهم العبادة على أنها الصلاة والزكاة والصيام والحج فقط، في حين أن العبادة شاملة للأقوال والأعمال

(١) ابن تيمية، العبودية، ص (٤).

(٢) سورة البينة: آية رقم (٥).

(٣) سورة الحشر: آية رقم (٧).

(٤) ابن تيمية، العبودية، ص (٣٧).

الظاهرة والباطنة إذا ابتغي بها وجه الله تعالى: «فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر وأمثال ذلك.....هي من العبادة"[1].

أهمية العبادة:

إن الله سبحانه وتعالى ما خلق الإنسان إلا ليقوم بعبادته، وطاعته والإخلاص له سبحانه وتعالى، وعدم صرف شيء من العبادات لغيره، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[3] أي إنما خلقتهم لآمرهم لعبادتي لا لاحتياجي إليهم[4].

ولكن بعض الناس تناسوا هذه الغاية التي خلقهم الله تعالى من أجل القيام بها، وانشغلوا بالملذات العاجلة عن أداء العبادات، فانحرف سلوكهم، وانحرفت أخلاقهم، وهذا الإنحراف يتفاوت بقدر بُعد الفرد والجماعة عن أداء العبادات على الوجه المأمور به، فكلما تهاون الفرد والمجتمع فيها، زاد الإنحراف، وكلما تمسكوا بها وحافظوا عليها استقام السلوك، فالعلاقة بين العبادة وسلوك الإنسان علاقة طردية.

ومما يدل على أهمية العبادات أن الحق تبارك وتعالى جعلها الركائز التي يقوم عليها بناء الإسلام، قال ﷺ: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان)[5].

---

(١) المرجع السابق، ص (٤).

(٢) سورة البينة: آية رقم (٥).

(٣) سورة الذاريات: آية رقم (٥٦).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٥٥).

(٥) البخاري (١/ ٢٠) برقم (٨) ومسلم (١/ ٤٥) برقم (٢١-٦١) واللفظ له.

المبحث الثاني
الآثار التربوية للعبادة

إن للعبادات آثاراً تربوية عظيمة، تنعكس على سلوك الإنسان، فأكثر الناس التزاماً بأداء العبادات على الوجه المشروع، أقربهم للسمو الخُلُقي، وأن أقلهم عبادة، أبعدهم عن الإنضباط الخُلُقي. وهذا يؤكد العلاقة القوية بين العبادات وسلوك الإنسان مع نفسه ومع الآخرين. ويمكن إبراز أهم الاثار التربوية للعبادات في النقاط التالية:

١ ـ المجاهدة وقوة الإرادة:

إن للعبادات تأثيراً قوياً على تكوين الإرادة الجازمة التي تجعله يقف عند حدود الله تعالى، ويصمد مع الحق أمام الباطل، ومع الفضيلة أمام الرذيلة، لأنها تذكره بالله تعالى وبمسؤوليته أمامه، وبلذة الحياة الآخرة، وبفناء لذة الدنيا الفانية،وأنه محاسب أمام الله تعالى، وأنه ما خُلِقَ إلا لتحقيق العبودية لله تعالى.

فالصيام مثلاً وثيق الصلة بمجاهدة النفس وإخضاع الإرادة للسلوك الحسن، قال ﷺ: (من لم يدع قول الزور[*] والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[١] والمراد رد الصوم المتلبس بالزور، وقبول الصوم السالم منه، والنهي عن ذلك في كل الأوقات، وإنما زاد قبحها في الصوم على غيرها[٢] وفي هذا التوجيه تربية للإرادة على ترك الرذيلة والأخذ

(*) الزور: الكذب، والباطل، والتهمة. النهاية (٢/٣١٨).

(١) البخاري (٢/٣١) برقم (١٩٠٣).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٤/١١٧).

بالفضيلة، وأن على الفرد أن يبذل مزيد جهد في الصيام للتخلي عن ما آلفه من السلوك السيء خاصة وأن قوى الإنسان تكون أكثر خضوعاً في الصيام، قال البيضاوي: ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة[١].

وقال ابن القيم: فالصوم يحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها، وكل قوة عن جماحه، وتُلجم بلجامه، فهو لجام المتقين ورياضة الأبرار والمقربين[٢].

وفي التوقيت الزماني لأوقات الصلوات إذا حافظ عليها العبد تربية لإرادته على الإنقياد للطاعة، فلا يجد بعد برهة من الزمن معاناة من أدائها بل يجد سروراً ولذة، في حين أن من لم يحافظ عليها في أوقاتها يجد أن إرادته ضعيفة أمام كبح شهوات النفس، واسترسالها في المكروهات وربما في المحرمات، ويجد صعوبة في ترك مألوفه.

وفي مجال الصدقة نجد أن الإنسان الصحيح أكثر تعلقاً بالدنيا، وأضعف إرادة في العطاء من المريض الذي أحس بأن الموت قريب منه.

والتوجيه الإسلامي أرشد إلى أن أعظم حالات الصدقة هي التي تأتي من الإنسان الصحيح، فعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان)[٣].

ففي هذا الحديث توجيه للإنسان المسلم بابتغاء الخير وتدريب إرادته

---

(١) المرجع السابق (٤/١١٧).

(٢) ابن القيم، زاد المعاد (٢/٢٨-٢٩).

(٣) البخاري (١/٤٣٨) برقم (١٤١٩) واللفظ له. ومسلم (٢/٧١٦) برقم (٩٢-١٠٣٢).

على الإنفاق والعطاء، وهو في حالة الصحة التي يكون فيها الإنسان طامعاً في الغنى، خائفاً من الفقر، قال ابن بطال: ولما كان الشح غالباً في الصحة فالسماح منه بالصدقة أصدق في النية، وأعظم للأجر، بخلاف من يئس من الحياة، ورأى مصير المال لغيره[1] وهذا يتطلب مجاهدة النفس وتعويدها على ذلك، وهما من أبرز الأمور التي تؤدي إلى تقوية الإرادة، وتدريبها على فعل الخيرات، يقول ابن حجر: ولما كانت مجاهدة النفس على إخراج المال مع قيام مانع الشح دالاً على صحة القصد، وقوة الرغبة في القربى، كان ذلك أفضل من غيره، وليس المراد نفس الشح هو السبب في هذه الأفضلية، والله تعالى أعلم[2].

ومن هذا يتبين أن بعض العبادات ترتبط بأزمنة معينة وبهيئة مخصوصة مما يتطلب مجاهدة المرء نفسه على الإلتزام بذلك، فإذا حافظ المسلم على هذه العبادات في أوقاتها وبالهيئة المطلوبة، وجاهد نفسه على ذلك فإن هذا يؤدي إلى تقوية إرادة المسلم على التزام الطاعات واجتناب المنهيات، فيسهل عليه تطبيق أوامر الله تعالى أكثر من غيره.

والمتأمل في أحوال الناس يجد أن أكثرهم قدرة على غض البصر وأبعدهم عن الرذائل السلوكية هم الملتزمون بأداء العبادات في أوقاتها، وبالهيئة المأمور بها، وأن أقرب الناس اقترافاً للرذائل السلوكية هم أولئك الذين لا يُقيمون وزناً للعبادة، بل يجدون صُعوبة في مفارقة ما ألفوه من الرذائل، والخلاصة أن الذي ليس لديه إرادة جازمة على النهوض لأداء العبادات فمن باب أولى أن ليس لديه إرادة جازمة في التمسك بالفضائل وترك الرذائل.

وبهذا يتضح الأثر الكبير للعبادات في تقوية الإرادة البشرية على أداء الطاعات، واجتناب المنهيات.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (٣/ ٢٨٥).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٣/ ٢٨٥).

٢ ـ تربية التعاون والترابط:

إن العبادات الشرعية تحقق بين أفراد الأمة الإسلامية التعارف والترابط والتعاون، ويثبت هذه الروح الإسلامية لدى الفرد كثرة اللقاءات وتكرار المشاهدة، وهذا يتم من خلال الاجتماع اليومي لأداء الصلوات، وأسبوعياً لأداء صلاة الجمعة، وسنوياً لأداء فريضة الحج.

فالصلاة تعلم الأمة وتربيها على أن كل واحد منهم في أمس الحاجة إلى الآخر، لأن «المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعض في الأعمال التي يشتركون فيها، كالصلاة في جماعة، فإن كل واحد منهم تضاعف صلاته إلى سبع وعشرين ضعفاً، لمشاركة غيره له في الصلاة، فعمل غيره كان سبباً لزيادة أجره، كما أن عمله سبب لزيادة أجر الآخرين، بل قد قيل: إن الصلاة يُضاعف ثوابها بعدد المصلين"[(١)].

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال: (صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ[(*)] بسبع وعشرين درجة)[(٢)].

وكذلك الزكاة فإنها لا تتم إلا بين اثنين فأكثر، فالذي يدفع الزكاة في أمس الحاجة إلى مسلم مُستحق للزكاة، كما أن إعطاء الزكاة لمستحقيها تُولد الألفة والمحبة، وتُعلم الإنسان التعاون، وتعلمه كيف يبحث عن أحوال إخوانه المستحقين لها، وكيف يتلمس ويتفقد حاجاتهم، في حين نجد مظاهر العداوة والبغضاء تتفاقم بين الأغنياء والفقراء في المجتمعات غير الإسلامية، وفي المجتمعات التي تتهاون في إخراج الزكاة، فانتشرت السرقة والسطو، والغش والخداع، وقطع الطريق، وغير ذلك من الرذائل الخُلُقية، لكن الزكاة والصدقات والكفارات في الشريعة الإسلامية تَصُب في قلوب المحتاجين فيضاً من الألفة والمحبة والتعاون، وتنزع عنهم حالة البؤس التي قد تجر إلى الانحراف. ومن ناحية اخرى تَصُبُّ هذه الصدقات

---

(١) ابن قيم الجوزية، كتاب الروح، ص (١٢٨).

(*) الفذ: الواحد الفرد. المجموع المغيث (٢/ ٦٠١).

(٢) البخاري (١/ ٢١٦) برقم (٦٤٥) ومسلم (١/ ٤٥٠) برقم (٢٤٩-٦٥٠) واللفظ له.

في ميزان الأغنياء الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

وفي الصيام شُعور بالجوع والظمأ، مما يُذكر الغافل بالأكباد الجائعة المتعطشة، وبحرارة الجوع وألم الفاقة التي يتألم منها الفقراء والمساكين، فيحن عليهم ويعطف، ولا يبطر، أو يفسق بما أنعم الله تعالى عليه من نعيم المأكل والمشرب ونحوها. وربما لولا هذا الصيام لما تَعَرَّفَ بعض الناس على ما يعانيه الجائعون من شظف العيش وندرته. وقد أشار ابن القيم إلى نحو ذلك عن أثر الصيام، فقال: ويُذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين[2].

فالمجتمع الذي يحافظ على الشعائر التعبدية يجعل غنيهم يشعر ببعض ما يشعر به الفقراء والمساكين، فيسدي إليهم العون والمساعدة بما يدفع عنهم غائلة الجوع، وفي هذا تربية للنفس الإنسانية على التعاطف والتعاون والتراحم، فتراهم كما قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ﴾[3].

وفي الحج تتجلى الوحدة في المظهر، والهدف، من خلال التلبية، وفي الاتجاه لمعبود واحد، والإنتقال من مشعرٍ إلى آخر في وقت واحد، وهنا "يتجردون من صفة الدنيا وألوانها ومظاهر طبقاتها، وتفاوتها، ويعودون بأنفسهم إلى وحدة المظهر يحاكون بها وحدة العقيدة، ولا يكون أمام أبصارهم إلا الذي أضاء بفضله رحاب بصائرهم"[4].

وبهذا يكون الحج وسيلة لجمع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، إما بالحضور قلباً وقالباً، وإما بالقلوب والمشاركة الوجدانية العاطفية، لتمتلئ القلوب بمشاعر الوحدة والأخوة والمساواة، وتنصهر

---

(١) سورة البقرة: آية رقم (١١٠).

(٢) ابن القيم، زاد المعاد.

(٣) سورة الفتح: آية رقم (٢٩).

(٤) محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص (٣٩١).

وتتضاءل فيها العنصريات القبلية والجنسية والعرقية والإقليمية والمادية، وتبقى الوحدة الإسلامية والحب في الله والبغض في الله.

٣ ـ تربية الفضائل:

إن في العبادات انشراحاً وابتهاجاً للصدر، لأنها صلة ما بين العبد ومعبوده سبحانه وتعالى، فيستمد من مناجاته لربه القوة والمدد على إرادة الخير ومكارم الأخلاق.

فالعبادات تمد الإنسان بالصبر الذي هو قوة يتقوى القلب بها، فإذا تقوى القلب أصبح صابراً على طاعة الله تعالى، صابراً عن معصية الله تعالى، صابراً على أقدار الله تعالى، وقد أرشدنا الحق تبارك وتعالى إلى الإستعانة بالصبر والصلاة على الأمور، فقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[١] قال السعدي رحمه الله: وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يُستعان بها على كل أمر من الأمور[٢].

والمسلم إذا صلى ربط قوته بقوة الله تعالى سائلاً ربه عز وجل أن يُعينه ويمده بما يعينه على طاعته قائلاً في صلاته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣] قال ابن كثير: فالأول: تبرؤ من الشرك، والثاني: تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله عز وجل[٤] وهنا يقول الرب عز وجل: (هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل)[٥].

فمن كتنت استعانته بالله، فإن الله تعالى يعنه على البر والتقوى، ويوفقه لفضائل الأعمال ومكارم الأخلاق، لأنه كريم جواد، رؤوف رحيم، اتصف بكمال الصفات وأسماها وأحسنها.

---

(١) سورة البقرة: آية رقم (٤٥).
(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٥٧-٥٨).
(٣) سورة الفاتحة: آية رقم (٥).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/٢٧).
(٥) مسلم (١/٢٩٦) برقم (٣٨-٣٩٥).

وأما الصوم ففيه تدريب وتعويد على التخلق بمكارم الأخلاق، والصبر على الطاعات، فبالصوم يستطيع أن يحد من هيجان الغضب، ومن الرفث والصخب والسباب، ومنكرات الأخلاق، لأنه مأمور بذلك في كل حين، وعلى وجه الخصوص في الصيام، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: (قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنة(*) فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرُؤ صائم...)[١].

وفي هذا التوجيه النبوي الكريم إرشاد إلى الصبر عن الرذائل والتحلي بمحامد الأخلاق، وهذا يحقق انتصاراً لأثرة العطاء على الشح، والخير على الشر، والفضيلة على الرذيلة، وفطام للنفس عن الهوى، وفي التمسك بالأخلاق تظهر انتصار العفة والطهارة على الشهوات والغرائز.

وفي الزكاة تنشئة للفرد على العطاء والسخاء والبر والإحسان، وبالتالى يتربى المسلم على الكرم بدلاً من البخل، وعلى العطاء والإحسان، وهذا يدعم وينمي فضيلة التآخي، ويدعم روابط الألفة والمحبة، ويحافظ عليها. وقد ربط الحق تبارك وتعالى إعطاء الصدقة بالآداب والأخلاق الإسلامية، بأن لا يتبعها أذى من المُعطي للمُعطى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[٢].

وفي الآيات السابقات توجيه إلى التخلق بالأخلاق الحميدة عند إعطاء الصدقة، بأن لا يتبعها تعالٍ وتعظيم للنفس، وإعجاب يقود إلى التحدث بما أعطى (بالمن) وهو ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع

(*) الصوم جُنة: أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات. والجُنَّة: والوقاية. النهاية (١/٣٠٨).

(١) البخاري (٢/٢٩) برقم (١٧٤١) ومسلم (٢/٨٠٧) برقم (١٦٣-١١٥١) واللفظ له.

(٢) سورة البقرة: الآيات (٢٦٢ ـ ٢٦٤).

بها، مثل أن يقول: قد أحسنت إليك ونَعَشْتُكَ وشبهه، وقال بعضهم: (المن): التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المُعطي فيؤذيه[١].

وأما الأذى فهو السب والتشكي، وهو أعم من المن، لأن المن جزء من الأذى، لكنه نص عليه لكثرة وقوعه[٢].

فالمن والأذى من الصفات القبيحة التي حذر الإسلام منها لأنه يريد تربية المسلم على أفضل الفضائل وأحسنها، لئلا يجرح المُعْطِي شعور أخيه المسلم وكرامته بما أعطاه وتصدق به عليه، فإذا ما تعاهد المجتمع هذه الصفات بالتطبيق فإنه ينشأ مجتمعاً كريماً في أخلاقه، عظيماً في تعاونه وتعاطفه، وقد ربط الله تبارك وتعالى إبطال الصدقة بهاتين الخصلتين الذميمتين، قال ابن كثير: أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له وشهرته بالصفات الجميلة ليُشكر بين الناس، أو يُقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه[٣].

وفي الحج أيضا تنشئة على الفضائل الخُلُقية، لأنه يتطلب من المسلم أن يكف عن السلوك السيء أثناء حجه؛ إن كان في سلوكه اعوجاج. قال ﷺ: (من حج لله فلم يرفث[*] ولم يفسق[**] رجع كيوم ولدته أمه)[٤]

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣/ ٢٠٠).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٢٠٠).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢٦).

(*) الرفث: الجماع، ويطلق على التعريض به، وعلى الفحش في القول. وقال الأزهري: الرفث: جامع لكل ما يريده الرجل من المرأة، والجمهور على أن المراد به في الآية الجماع، والذي يظهر أن المراد به في الحديث ما هو أعم من ذلك، وإليه نحا القرطبي. فتح الباري (٣/ ٣٨٢).

(**) الفسوق: هي المعاصي. النووي، شرح مسلم (٩/ ١١٩) قال ابن حجر: ولفظ الفسق لم يُسمع في الجاهلية ولا في أشعارهم، وإنما هو إسلامي. الفتح (٣/ ٣٨٢).

(٤) البخاري (١/ ٤٧٠-٤٧١) برقم (١٥٢١) واللفظ له. ومسلم (٢/ ٩٨٣) برقم (٤٣٨-١٣٥٠).

وقال ﷺ: (... والحج المبرور(*) ليس له جزاء إلا الجنة)[1] قال النووي: وقيل من علامة القبول أن يرجع خيراً مما كان، ولا يُعاود المعاصي، وقيل هو الذي لا رياء فيه، وقيل الذي لا يعقبه معصية[2] وجميع المعاني التي ذكرها النووي هي من الرذائل الخُلُقية، ولكن في التزام الحاج بذلك التوجيه النبوي وابتعاده عن مساوئ الأخلاق يربي في نفسه حب الفضائل والتعود عليها، والإبتعاد عن مساوئ الأخلاق، إضافة إلى كون الإنسان يعود من حجه لا يعاود المعاصي، فإن في هذا فضل عظيم اكتسبه من الآثار العظيمة للحج.

والنظافة من الخُلُق الجميل والذوق الرفيع، وهو ما تُنشئه العبادة في المتعبدين، فإذا حافظ المجتمع على هذه العبادات ظهرت عليهم النظافة الحسية، والمعنوية، وتوارت عنهم الأمراض النفسية والجسدية، فالصلاة لا تُقبل إلا بطهور، قال ﷺ: (لا تُقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول)[3].

والإنسان يصلي في يومه خمس مرات، وهذا يعني أنه يتوضأ في يومه خمس مرات، والوضوء غُسل وطهارة ونظافة حسية ومعنوية، وفي الصلاة طهارة من الذنوب والخطايا كما قال ﷺ: (رأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه(**) شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا)[4].

وقد امتدح الله تعالى المتطهرين ومنحهم حبه، ومن يمنحه الله حبه

(*) المبرور: الذي لا يخالطه إثم. النووي، شرح مسلم (٩/ ١١٩).

(١) البخاري (١/ ٥٣٧) برقم (١٧٧٣) ومسلم (٢/ ٩٨٣) برقم (٤٣٧-١٣٤٩).

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (٩/ ١٩).

(٣) البخاري (١/ ٦٥) برقم (١٣٥) ومسلم (١/ ٢٠٤) برقم (٢٢٤).

(**)الدرن: الوسخ. المجموع المغيث (١/ ٦٥٢).

(٤) البخاري (١/ ١٨٤) برقم (٥٢٨) ومسلم (١/ ٤٦٢-٤٦٣) برقم (٢٨٣-٦٦٧) واللفظ له.

ينعكس ذلك في صفاء سلوكه، قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[1].

قال القرطبي: أثنى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على حب الطهارة، وأثر النظافة، وهي مروءة ووظيفة شرعية.[2]

فالعبادات تُكسب الإنسان نظافة معنوية، ونظافة حسية جسدية ظاهرية، تنعكس على نظافة بدنه وملبسه، وسلامة سلوكه من مساوئ الأخلاق ومذمومها.

٤ ـ وقاية من الإنحرافات:

فكما أن العبادات تُربي في النفس الإنسانية الفضائل الخُلُقية، فكذلك هي وقاية من الإنحرافات الخُلُقية، لما تبثه في القلب من خوف الله تعالى،وطلب رضاه، ورجاء رحمته، ولأن فيها تذكيراً مستمراً للإنسان بربه عز وجل من خلال ربطه بالعبادات.

والعبادات تشتمل على نهي وزجر عن القول والفعل الفاحش "وهو ما ظهر قبحها لكل أحد، واستفحشه كل ذي عقل سليم، ولهذا فُسرت بالزنى واللواط وسماها الله تعالى (فاحشة) لتناهي قبحها، وكذلك القبح من القول يسمى فحشاء، وهو ما ظهر قبحه جداً؛ من السب القبيح، والقذف ونحوه"[3].

والعبادات تنهى أيضاً عن كل فعل "تستنكره العقول والفطر، ونسبته إليها كنسبة الرائحة القبيحة إلى حاسة الشم، والمنظر القبيح إلى العين، والطعم المستكره إلى الذوق، والصوت المستنكر إلى الأذن، فما اشتد

---

(١) سورة التوبة: آية رقم (١٠٨).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٦٦).

(٣) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (١/ ٤٠٢).

إنكار العقول والفطر له فهو فاحشة، كما فَحُش إنكار الحواس له من هذه المدركات.[1].

والمواظبة على الصلاة بالهيئة المطلوبة تحمل صاحبها على ترك الفواحش والمنكرات، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾[2].

يعني أن الصلاة تشتمل على شيئين: على ترك الفواحش والمنكرات، أي مواظبتها تحمل على ترك ذلك[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الصلاة نفسها إذا فعلها كما أُمر فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما روى ابن مسعود وابن عباس: أن في الصلاة منهى ومزجر عن معاصي الله، ومن المعلوم أن من حافظ عليها بخشوعها الباطن وأعمالها الظاهرة، وكان يخشى الله تعالى الخشية التي أمر بها فإنه يأتي بالواجبات ولا يأتي كبيرة، ومن أتى الكبائر مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر، أو غير ذلك فلا بد أن يذهب ما في قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور منه عند فعل الكبيرة.

والذي يصلي بخشوع كلما كبر وركع وسجد استشعر عظمة الله تعالى، فسكنت جوارحه لبارئها عز وجل، فلا يستحسن ولا يستطيب له إلا ما ارتضاه خالقه تبارك وتعالى، فيبغض كل ما يبغضه الله عز وجل، وبذلك تكون صلاته وقاية له من الإنحدار في هاوية الرذائل.

ومن الرذائل التي تنهى عنها الصلاة الشح، "وهو البخل ومنع الفضل من المال عن الناس"[4].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٠٢).

(٢) سورة العنكبوت: آية رقم (٤٥).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٢٥).

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير.

قال ﷺ: (اتقو الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم)[1].

وقد امتدح الله تعالى الذين اتقوا الشح ووصفهم بالفلاح، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

فالشح هو المعوق عن كل خير، لأن الخير بذل في صور متعددة، بذل في المال، وبذل في العاطفة، وبذل في الجهد، وبذل في الحياء عند الإقتضاء[3]. وفي الصلاة منفعة عظيمة، وعلاج واقٍ شافٍ من شر ما يصاب به الإنسان في حياته الاجتماعية من الشح والجبن اللذين يقضيان على شخصية الإنسان[4] فإن الشح يزرع في النفس البشرية خوفاً متزايداً من نقص المال بالإنفاق، والعطاء، فيصبح الإنسان أسير قبضة اليد على المال، وقبضة النفس على الجاه، فَيُحْرَمُ من فضيلة العون والمساعدة والكرم، ولكن المؤمن المصلي يُوقَى شر هذا الهلع، والجشع، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[5].

فالهلع مرض نفسي يتسم صاحبه بالجزع الشديد من الشر، والمنع القوي من إنفاق الخير في وجوه الخير متى حصل عليه وظفر به، وقد ذكر الله تعالى في الآيات السابقة ما يعالج به هذا المرض من عبادات شرعية، بعضها فعل وبعضها ترك، من شأنها القضاء على هذا المرض الخطير[6] قال ابن كثير: إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق

---

(١) مسلم (٤/١٩٩٦) برقم (٥٦-٢٥٧٨).

(٢) سورة الحشر: آية رقم (٩).

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن (٦/٣٥٢٧).

(٤) عبد الرحمن الدوسري، تربية الإسلام وادعاءات التحرر، ص (٢١٣).

(٥) سورة المعارج: آية رقم (١٩-٢٥) واستكمل قراءة الآيات لتكتمل الأسباب المزيلة للهلع.

(٦) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (٤/ ٥٥١).

الله تعالى فيها، إلا من عصمه الله تعالى ووفقه وهداه إلى الخير، ويسر له أسبابه، وهم المصلون.[1].

أما الزكاة ففيها عطاء للمستحق وتربية للمُعْطِي وتعويد له على العطاء، وفي الوقت نفسه وقاية للمجتمع من الإنحراف، نتيجة الفاقة والعوز، لأن المجتمعات لا تخلو من فقير ومسكين، وعن عاجز مريض، لا يستطيعون الكدح والكسب، ولا يجدون ما يقيم أودهم، فإذا لم يجدوا أيد تمتد نحوهم لتسد فاقتهم فقد ينحرفون. وباغتنائهم يُغلق باب من الفساد في المجتمع، قال ﷺ: (واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم)[2].

وبالتالي فإن الزكاة والصدقة والكفارات تقضي على هذه الرذائل الخُلُقية ومثيلاتها، عن طريق إزالة مسبباتها.

وأما الصوم ففيه ترويض للنفس على لزوم الطاعات، وترك المنهيات، ووقاية من الرذيلة، لأن فيه ما يُلزم ترك المعاصي وهجرها، وفيه حد من أكل الطعام الذي يكسر حدة الشهوة، لذلك أرشد صلى الله عليه وسلم الشباب الذين لا يستطيعون الزواج بالصوم، فقال عليه الصلاة والسلام (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء)[3].

قال البيضاوي -رحمه الله-: ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة.[4] ويقول ابن القيم -رحمه الله-: فالصوم يحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها،

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٤٩-٤٥٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) البخاري (٣/ ٣٥٥) برقم (٥٠٦٦) ومسلم (٢/ ١٠١٩) برقم (٣-٠٠٠).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (٤/ ١١٧).

ويسكن كل عضو منها، وكل قوة عن جماحها، وتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين، وجنة المتحابين، ورياضة الأبرار، والمقربين[١].

أما كثرة الطعام فإنها باب للشر، قال ﷺ: (ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)[٢] فالشبع يقوي موارد الشهوة والصيام يقلل ويسكن مثيرات الشهوة لدى الإنسان، فيكون له وجاء ووقاية، بما يضفيه الصوم على جوارح الإنسان من هدوء وسكون، فالصوم من أنجع الوسائل لاجتناب الزنا ودواعيه، وكثير من الرذائل السلوكية.

يتبين من خلال هذا العرض أن العبادات الشرعية تسمو بأخلاق الإنسان وتصرفاته بما تجعله يتميز على غيره من البشر، فهو يتميز بقوة الإرادة والعزيمة في فعل الخيرات، واجتناب المحرمات، وذلك أن المواظبة على أداء العبادات قد ربت فيه هذه الخاصية.

كما أن العبادات تُوجِد بين المسلمين جواً من التعاون الذي يربي فيهم قدراً كبيراً من التواد والتعاطف والتلاحم من خلال الصلوات والزكاة والصدقة ونحو ذلك.

وهي بذلك تربي المسلم على أفضل الأخلاق وأحسنها، وتُبعده عن الإنحرافات السلوكية، حيث يُلاحظ أن أبعد الناس عن منكرات الأخلاق أكثرهم عبادة لله تعالى، وفي هذا بيان أن العبادات الشرعية لها أثر بالغ وعظيم على سلوك الإنسان.

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد (٢/ ٢٨-٢٩).

(٢) الترمذي (٤/ ٥٠٩-٥١٠) برقم (٢٣٨٠) وأحمد (٤/ ١٣٢) واللفظ له. وقال الالباني: صحيح، صحيح سنن الترمذي، برقم (١٩٣٩-٢٤٩٩).

الفصل الرابع

البناء الخُلُقي

المبحث الأول : مفهوم الأخلاق

المبحث الثاني : الضوابط الخُلُقية

المبحث الثالث : حدود الأخلاق

المبحث الرابع : أصول السلوك الخُلُقي

المبحث الخامس : أسس التربية الخُلُقية



المبحث الأول
مفهوم الأخلاق

تمهيد:

لقد حظيت الأخلاق في الإسلام بعناية فائقة، تضمنتها آيات القرآن الكريم ونصوص الأحاديث النبوية، ووضعت لها الضوابط التي إذا تمسك بها الأفراد والجماعات فازوا ونجوا من التيارات الهدامة، وتجنبوا ويلات الدمار الخُلُقي والصراع الاجتماعي والنفسي الذي تعاني منه بعض المجتمعات.

ولكن هناك مفاهيم تربوية خاطئة لمعنى الأخلاق عند الأفراد والجماعات، فالبعض يُدخل في الفضائل ما ليس منها، لسوء الفهم والبعد عن الينبوع الأصيل للتربية الخُلُقية، والبعض يُخرج من الأخلاق الإسلامية بعض خصالها بحجج ذوقية واهية، فأفرزت هذه المفاهيم الخاطئة سلوكيات لا تتوافق مع المنهج الإسلامي، بل إنها مناوئة للتربية الإسلامية، كالإختلاط والسفور والغش والخداع، والتقليد غير البصير للعادات والتقاليد الأجنبية التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وانعكس ذلك أيضاً على التأليف في ميادين العلوم المختلفة، نتيجة التيارات الثقافية الوافدة عن طريق وسائل نقل العلم والمعرفة السريعة، وترجمة الثقافات غير الإسلامية، والدعاية لها ولما تحمله من عادات وتقاليد، حتى أصبح التأثر في المأكل والمشرب والملبس والأعياد والإحتفالات، وهذا يؤكد أن هناك تحدياً يواجه الأمة الإسلامية من خلال الغزو الأخلاقي من قبل أعداء الإسلام.

وكما أن التربية الأخلاقية الإسلامية تهدف إلى الحفاظ على مفهوم الأخلاق الإسلامية من المؤثرات الخارجية، وتعمل على تطبيق ذلك في حياة الأفراد والجماعات، فإنه لا بد من إيضاح الأصول التربوية والضوابط الشرعية للسلوك الأخلاقي التي يوضحها هذا الفصل.

مفهوم الأخلاق

أ ـ الأخلاق في اللغة:

الخُلُق: بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخَلْقُ لصورة الإنسان الظاهرة، وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة(١).

ب ـ الأخلاق في الإصطلاح:

تُعرف الأخلاق بتعريفات عديدة، تؤكد معظمها أن الأخلاق فطرية ومكتسبة، ومحمودة ومذمومة، وهي أوصاف الإنسان التي يتعامل بها مع الغير، ولعل من أفضل ما وقفت عليه من التعريفات هو ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني نقلاً عن القرطبي بأن: "الأخلاق: أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك، فتنصف منها، ولا تنصف لها، وعلى التفصيل: العفو والحلم والجود والصبر، وتحمل الأذى، والرحمة، والشفقة، وقضاء الحوائج، والتواد ولين الجانب، ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك"(٢).

فيتأكد بذلك أن الأخلاق منها المحمود، ومنها المذموم، ويجمعها السلوك الخلقي للفرد، والتي يمكن تعريفها وإيضاحها فيما يلي:

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٨٦/١٠).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٤٥٦/١٠).

١ ـ **الأخلاق المحمودة**: هي كل صفة حسنة، بنية حسنة، وفق منهج الله تعالى.

شرح التعريف:

فالقول بأنها: كل صفة حسنة، يخرج منها كل صفة مذمومة.

بنية حسنة: احترازاً من أي خُلق محمود في ذاته، وصحبته نية محرمة أو مكروهة، مثل: الرياء والسمعة، وليقال: فلان كريم، وفلان شجاع، ونحو ذلك.

وفق منهج الله تعالى: احترازاً من كل سلوك يعود للذوق الفاسد، والفكر المنحرف، والتقليد المنكر.

ولذلك لابد أن يكون السلوك الخلقي صواباً وخالصاً. أما إذا كان الخُلُق صواباً ولم يكن خالصاً، فإن هذا السلوك يُعتبر محموداً في ذاته، لا في المتخلق به، إلا بحسب نيته، فالشجاعة الحربية من مكارم الأخلاق، ولكنها مرتبطة بباعثها، مفتقرة للنية، كما جاء في الحديث، أنه (جاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله ؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[1] وقال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته لله ورسوله فهجرته لله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[2].

فثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة، وإن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة، وقد تكون النية مباحة فيكون العمل مباحاً، فلا يحصل ثواب ولا عقاب، فالعمل في نفسه صلاحه وفساده، وإباحته بحسب النية الحاملة عليه، المقتضية لوجده[3].

---

(١) البخاري (٢/ ٣٠٩) برقم (٢٨١٠) ومسلم (٣/ ١٥١٢ـ١٥١٣) برقم (١٤٩ـ١٩٠٤).

(٢) البخاري (١/ ١٣) برقم (١) ومسلم (٣/ ١٥١٥-١٥١٦) برقم (١٥٥ـ١٩٠٧).

(٣) ابن رجب، جامع العلوم والحكم.

٢ ـ **الأخلاق المذمومة**: هي كل صفة على غير منهج الله تعالى.

شرح التعريف:

فالقول: بأنها كل صفة، شاملة للأخلاق المذمومة مطلقاً، وللأخلاق المحمودة إذا افتقرت للنية الصحيحة السليمة:

وفي القول: على غير منهج الله تعالى، يخرج بها كل صفة خُلُقية أقرها الشرع، أو أمر بها.

٣ ـ **السلوك الخلقي**: هو كل صفة اتصف بها الإنسان في نفسه، أو مع غيره، وأصبحت من سجاياه، وسواء كانت فطرية، أو مكتسبة، وحميدة أو ذميمة.

شرح التعريف:

فالقول: بأنه كل صفة اتصف بها الإنسان، وذلك احترازاً من الأخلاق التي يمارسها الفرد في سلوكه على وجه الندرة، فلا تعتبر في حقه سجية خُلُقية من سجاياه.

والقول: في نفسه، تأكيداً على أن بعض الصفات الخُلُقية، تكون ذاتية، ليس لها تأثير مباشر في التعامل مع الآخرين، مثل: زينة الملبس، ونوعيته، ونظافته، ونظافة بدنه.

والقول: أو مع غيره، تأكيداً على أن الصفات الخُلُقية ذات جانبين: جانب ذاتي، وجانب اجتماعي، وهي شاملة للنمطين معاً.

والقول: وأصبحت سجية من سجاياه، وذلك احترازاً من السلوك اليتيم النادر، فإنه لا يمكن أن يقال عنه أنه من سجايا الفرد الذي ندر منه ذلك السلوك، فالكريم مثلاً إذا حصل منه عكس ما اعتيد منه على وجه الندرة، فإنه لايسمى بخيلاً، وكذلك العكس.

والقول: وسواء كانت فطرية أو مكتسبة، تأكيداً على أن السلوك الخُلُقي منه ما هو فطري، ومنه ما هو مكتسب.

والقول: وحميدة أو ذميمة، إيضاحاً بأن السلوك الخُلُقي منه ما هو محمود، فيقال: ذو سلوك خلقي حميد، ومنه ما هو ذميم، فيقال: ذو سلوك ذميم.

وبهذا يتضح أن الأخلاق، منها ما هو مذموم، ومنها ما هو محمود، لذاتها، فإذا اتصف الإنسان بالمحمود منها، فإنه لا يكون السلوك في حقه محموداً حتى تقترن به النية الصالحة، وإذا اتصف الإنسان بالمذموم، على وجه الندرة لا يوصف بذلك الخُلُق لأنه ليس سجية من سجاياه، وإن كان يُلام، وقد يؤاخذ على ذلك، على ما سيأتي تفصيله.

المبحث الثاني
الضوابط الخُلُقية

تعريف الضابط:

الضبط: لزوم الشيء وحبسه، وضبط الشيء حفظه بالحزم[1].

فالضابط هو ما يحزم الشيء ويطوقه، ويجعله رهين قيوده.

وأما الضوابط الخُلُقية، فالمقصود بها مقيدات ومحددات السلوك الإنساني.

أقسام الضوابط:

إن من أهم ما ينبغي العناية به في هذا الموضوع وأمثاله ضبط مصادره، وأطرافه، وطريقة فهمه، حتى يبتعد قاصدوه عن متاهات قصور النظر، وبُنيات الطرق؛ فلا يُدخل في الأخلاق ما ليس منها، ويُخرج ما كان منها.

وهذا الأمر يحتاج إلى معرفة الضوابط التي يسير في كنفها، حتى لايضل ولا يشقى فيهلك، ويمكن تحديد هذه الضوابط في ثلاثة أصول:

١ ـ الضوابط الشرعية.

٢ ـ الضوابط العرفية.

٣ ـ الضوابط النفسية.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٧/ ٣٤٠).

أولاً: الضوابط الشرعية:

ويقصد بالضوابط الشرعية: الأدلة، أو نصوص الكتاب والسُّنَّة، التي كُلِّف المخاطب بمقتضاها، فعلاً، أو تركاً، عملياً، أو قولياً، وهي على خمسة أوجه:[1]

١ ـ أخلاقيات محرمة:

وهي كل سلوك قولي أو عملي نهى عنه الشارع على وجه التحريم، كعقوق الوالدين، بالقول أو الفعل، أو كالكذب، والجور والظلم.

ويدخل في هذا فعل ضد ما أمر به الشارع الحكيم، أو عدم فعل ما أمر به الشارع الحكيم على وجه الوجوب.

٢ ـ اخلاقيات مكروهة:

وهي كل سلوك قولي أو فعلي نهى عنه الشارع على وجه الكراهية "وهو ما تركه خير من فعله، وقد يطلق ذلك على المحظور، وعلى ما نُهي عنه نهي تنزيه، فلا يتعلق بفعله عقاب"[2] مثل: الأخذ بالشمال، والإعطاء بها.

٣ ـ أخلاقيات واجبة:

وهي كل سلوك فعلي أو قولي أمر به الشارع على وجه الوجوب، مثل: بر الوالدين، والصدق، والصبر على أداء الواجبات، وأداء الأمانات، وصلة الأرحام.

---

(١) هذه التقسيمات على نمط ما جاءت في كتب أصول الفقه، عن الأحكام التكليفية، أنظر على سبيل المثال: الورقات للجويني، ص (٨) والكوكب المنير، للفتوحي ص (١٠٥ - ١٣٤) ومذكرة أصول الفقه لمحمد الأمين الشنقيطي، ص (١١) والأصول من علم الأصول لابن عثيمين ص (٩).

(٢) محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة في أصول الفقه، ص (٢٥).

٤ ـ أخلاقيات مستحبة:

وهي كل سلوك فعلي أو قولي أمر به الشارع على وجه الندب، فلم يتعلق على تركه عقاب، وتعلق على فعله امتثالاً ثواب، مثل: الأخذ باليمين.

٥ ـ أخلاقيات مباحة:

وهي كل سلوك فعلي أو قولي لم يتعلق به أمر ولا نهي لذاته، مثل: طريقة تقديم الطعام للأضياف، ونوعية ما يقدم.

فإذا تعلق وترتب على فعل المباح حرام أو مكروه، فهو بحسبه، مثل أن يترتب على طريقة الضيافة أمر محرم أو مكروه، كالإسراف، أو ترتب على فعل المباحات واجبات ومندوبات، فهو بحسبها، مثل الجلوس في الطريق يترتب عليه غض البصر وكف الأذى ورد السلام.

ثانياً: الضوابط العرفية:

يقصد بالضوابط العرفية، ما تعارف الناس على فعله أو تركه من المباحات، على وجه يرون مخالفته بالترك أو الفعل إخلالاً بالآداب العامة.

والعرف له أصل في الشرع، منه ما جاء في الحديث (فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء)[١].

واعتبار العادة والعرف رُجع إليه في الفقه، في مسائل كثيرة، منها ما له علاقة بالجانب الأخلاقي، مثل: ما تعارف عليه الصناع في العمل، والأكل من الطعام المقدم ضيافة بلا لفظ، وفي المسابقة، والمناضلة، وتناول الثمار الساقطة، وما يتعلق بالشرب وسقي الدواب من الجداول والأنهار المملوكة، ففيه اعتبار إقامة الإذن اللفظي له[٢].

---

(١) أحمد (١/٣٧٩).

(٢) السيوطي، الأشباه والنظائر، ص (٩٠).

ومثل: تعارف الناس على أن يعقب السلام عند التقاء المعارف والأصدقاء السؤال عن الصحة، والدعوة إلى الدار، إن كان المقام يتطلب ذلك . ومثل: أن يدعو الجيران ضيف جارهم إكراماً لجارهم وللضيف. أو مثل الآداب الخاصة بقيادة السيارات، الغير مُلزمة، إلا من باب الأدب، ولا يترتب على تركها ضرر.

والآداب العرفية تكون "بحسب الحقل الذي تنظمه، ولذلك نجد أنواعاً من العرف مثل: عرف دولي، وعرف تجاري، وعرف إداري، وعرف عمالي، وعرف عائلي، وهذه الأنواع المتعدده المختلفة لم تفرضها سلطة رسمية، ولكنها فرضت نفسها بالممارسة العملية"[1].

والعرف ليس سلوكاً خُلُقياً ملزماً على اطلاقه، بل لا بد له من قيود، وإلا دخل في الأخلاق الإسلامية ما يتنافى معها تحت مظلة العرف، ويمكن تلخيص قيود العرف فيما يلي:[2].

١ ـ أن تكون العادة والعرف مطردة أو غالبة:

٢ ـ أن يكون العرف المراد تحكيمه في التصرفات قائماً، بأن يكون حدوث العرف سابقاً على وقت التصرف، ثم يستمر إلى زمانه، فيقارنه، سواء أكان التصرف قولاً أو فعلاً.

٣ ـ أن لايكون في العرف تعطيل لنص ثابت، أو لأصل قطعي في الشريعة، أي لا يخالف نصاً شرعياً ولا إجماعاً فقهياً.

٤ ـ أن لا يعارض العرف تصريح بخلافه، أي أن العرف لا يعتبر، ولا يكون حجة إذا كان هناك ما يدل على خلاف ما تعارف الناس عليه.

---

(١) عبد الرحمن عبد العزيز القاسم، نظرية العرف كمصدر للأحكام، ص (١٧).

(٢) المرجع السابق ص (٣٨-٣٩).

ثبوت وتغير العادات:

العادات من حيث ثبوتها وتغيرها تنقسم إلى قسمين: ومع ذلك فهي أسباب لأحكام تترتب عليها[1].

١ ـ عادات ثابتة:

وهي تلك لعادات الغير قابلة للتغير والتعديل، كوجود شهوة الطعام والشراب والوقاع والنظر والكلام والبطش والمشي، وأشباه ذلك. فإذا كانت أسباباً لمسببات حكم بها الشارع، فلا إشكال في اعتبارها والبناء عليها، والحكم على وفقها، مثل: نهي الشارع الحكيم عن المشي في خيلاء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2] فنهى الشارع عن مشي الخيلاء، فهو سبباً لبغض الله على المتفاخر.

٢ ـ عادات متبدلة:

وهي العادات المتغيرة، ومنها ما يكون متبدلاً من حسن إلى قبيح، ومنها ما يكون متبدلاً من قبيح إلى حسن، والقبح مرفوض لأنه يتعارض مع الشرع الحنيف، والعقل السليم.

ومن جانب آخر فقد تكون العادة عند قوم من الأقوام أخلاقاً حسنة، وعند غيرهم ليست من المروءة، قال الشاطبي: مثل كشف الرأس فإنه يختلف بحسب البقاع في الواقع، فهو لذوي المروءات قبيح في البلاد المشرقية، وغير قبيح في البلاد المغربية، فيكون عند أهل المشرق قادحاً في العدالة، وعند أهل المغرب غير قادح[3].

وقد يختلف حسنها وقبحها بحسب الزمان، فالملابس المستحسنة

---

(١) الشاطبي، الموافقات، (٢/١٩٨).

(٢) سورة لقمان: آية رقم (١٨).

(٣) الشاطبي، الموافقات (٢/١٩٨).

اليوم في غالب الجزيرة العربية ـ الثوب والعمامة ـ ومخالفتها من قبل أهلها غير مستحسنة عندهم، وربما يعتبر ذلك قدحاً في عدالة المخالف.

ثالثاً: الضوابط النفسية:

هي الأحاسيس النفسية الداخلية بالرد أو القبول نحو التصرفات الفعلية والقولية للإنسان، فيما لم يرد فيه نص، قال ﷺ: (البر حسن الخُلُق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس)[١]. وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه، قال: (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: جئت تسأل عن البر والإثم؟ قلت: نعم، قال: استفت قلبك: البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ماحاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك)[٢].

وفي هذين الحديثين ما يدل على أن الله تعالى فطر عباده على محبة الحق والسكون إليه وقبوله، وركز في الطباع محبة ذلك، والنفور عن ضده[٣]. قال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة)[٤]. وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: (خلقت عبادي كلهم حنفاء، فاجتالتهم الشياطين)[٥]. قال ابن تيمية: فَعُلِم أن في فطرة الإنسان قوة تقتضي اعتقاد الحق، وإرادات النافع[٦]. وقال أيضاً: في النفس ما يوجب ترجيح الحق على الباطل في الإعتقادات والإرادات، وهذا كافي في كونها ولدت على الفطرة[٧]. فالمؤمن كيس فطن، يدرك بفطرته السليمة ونشأته المستقيمة ما لا يدركه الفاسق» فالحق والباطل لا

---

(١) مسلم (٤/ ١٩٨٠) برقم (١٤ـ٢٥٥٣).

(٢) أحمد (٤/ ٢٢٨) والدارمي (٢/ ٢٤٥ـ٢٤٦) وأبو يعلى (١٥٨٦) والطبراني في الكبير (٢٢/ ٤٠٣).

(٣) انظر، ابن رجب، جامع العلوم والحكم.

(٤) البخاري (١/ ٤٢٤) برقم (١٣٨٥) ، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧) برقم (٢٢ ـ ٢٦٥٨).

(٥) مسلم (٤/ ٢١٩٧) برقم (١٣ـ٢٨٦٥).

(٦) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل.

(٧) المرجع السابق.

يلتبس أمرهما على المؤمن البصير، بل يعرف الحق بالنور الذي عليه، فيقبله قلبه، وينفر عن الباطل، فينكره ولا يعرفه"[1].

والمؤمن حيال ما يواجهه في حياته من أمور، فإنه يكون على الصور التالية:

١ - ما ورد فيه نص شرعي أو إجماع، فليس للمؤمن إلا طاعة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[2] فينبغي عليه أن يتلقى ذلك بانشراح صدر ورضا.

٢ - وأما ما ليس فيه نص من الله تعالى ولا رسوله ﷺ ولا عمن يُقتدى بقوله من الصحابة وسلف الأمة، فإذا وقع في نفس المؤمن المطمئن قلبه بالإيمان المنشرح صدره بنور المعرفة واليقين منه شيء، وحاك في صدره بشبهة موجودة، ولم يجد من يفتي فيه بالرخصة إلا من يخبر عن رأيه، وهو ممن لا يوثق بعلمه وبدينه، بل هو معروف باتباع الهوى، فهنا يرجع المؤمن إلى ما حاك في صدره، وإن أفتاه هؤلاء المفتون، وقد نص الإمام أحمد على مثل هذا أيضاً.[3].

وفي هذه الحالة ينظر المؤمن لما حاك في صدره "أي تحرك فيه وتردد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشك وخوف الذنب"[4] فهنا يتركه، وهذا الترك ليس بنص شرعي، ولكن لما تردد، وحصل في القلب منه شك، وانتابه الخوف من الذنب، فهذا ضابط خُلُقي لتصرفات المسلم.

قال ابن رجب: فدل حديث وابصة وما في معناه على الرجوع

---

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم.

(٢) سورة الأحزاب: آية رقم (٣٦).

(٣) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص (٢٤٠).

(٤) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١١١).

للقلوب عند الإشتباه مما سكن إليه القلب، وانشرح إليه الصدر، فهو البر والحلال، وما كان خلاف ذلك فهو الإثم[1].

وهذا ليس فيما ذهبت إليه الصوفية من الوساوس والخواطر، حيث أن كلامهم في ذلك لا يستند إلى دليل شرعي، بل مجرد رأي، وذوق، فأما الرجوع إلى الأمور المشتبهة إلى حوز القلوب، فقد دلت عليه النصوص النبوية وفتاوي الصحابة[2].

وثمة أمر آخر، وهو كراهية أن يطلع الناس على ما حاك في الصدر، فيما لو تُرجم إلى فعل أو قول. لأن المسلمين لا يجمعون على استحسان القبيح، أو استقباح الحسن، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ (ما رآه المؤمنون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحاً، فهو عند الله قبيح)[3].

فهذا ضابط نفسي آخر، وبذلك يمكن القول: بأن الضابط النفسي يتحدد في أمرين:

١ ـ ما حاك في الصدر، ولم ينشرح له القلب، وحصل منه شك وخوف من الذنب.

٢ ـ كراهية أن يطلع الناس على هذا الأمر، خوفاً وخجلاً.

---

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص (٢٤٠).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٤١).

(٣) أحمد، (١/٣٧٩) ، والطبراني في الكبير (٨٥٨٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، رواه أحمد والبزار، والطبراني في الكبير، ورجاله موثقون، (١/١٧٧ ـ ١٧٨) وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص (٣/٧٨-٧٩).

المبحث الثالث
حدود الأخلاق

مفهوم حدود الأخلاق:

الحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره[1].

وحدود الأخلاق: الوصف الذي يحيط بالعمل الأخلاقي فيميزه عن غيره، من حيث الحسن والقبح. ومثال ذلك الشجاعة، فهي فضيلة خُلُقية سامية، فإذا خرج صاحبها عن محيط الشجاعة، وتجاوز حدها ارتفاعاً كان ذلك تهوراً، وإذا تجاوز حدها نزولاً، وتوارى صاحبها وانزوى عما يجب عليه، سمي ذلك جبناً.

فالوصف الذي يحيط بتجاوز الحد في الشجاعة يسمى تهوراً، والوصف الذي يحيط بالقصور عن حد الشجاعة يسمى جبناً، وإن كان في حدود الوصف المحيط بالشجاعة سمي شجاعة، ويُقاس على ذلك ما شابه ذلك.

أهمية حدود الأخلاق:

تبرز أهمية حدود الأخلاق من زاويتين، هما: علم حدود الأخلاق في ذاته، وأهمية معرفة هذه الحدود، والتي يمكن إيضاحها فيما يلي:

---

(١) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن ص (١٠٩).

أ ـ إن من أهم العلوم التي ينبغي إدراكها إدراكاً جيداً، علم حدود شرع الله تعالى، المأمور بها والمنهي عنها، بداية ونهاية، حتى لا يتعداها، ولا يقصر عن حدها، وقد نهى سبحانه وتعالى عن تعدي حدوده، ونهى في موضع آخر اقترابها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[١] وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ﴾[٢].

فنهى عن تعديها في آية، وعن قربانها في آية، وهذا لأن حدوده سبحانه وتعالى هي النهايات الفاصلة بين الحلال والحرام، ونهاية الشيء تارة تدخل فيه فتكون منه، وتارة لا تكون داخلة فيه فتكون لها حكم المقابلة، فالإعتبار الأول: نهى عن تعديها، وبالإعتبار الثاني: نهى عن قربانها[٣].

والأخلاق هي الترجمة الحقيقية لصورة الإنسان الباطنة، وما يحمله من تقوى وإيمان وورع، أو ضعف وجهل، وهي جديرة بأن يتعرف الإنسان على حدودها فلا يقصر عنها، ولا يتجاوزها إلى ضدها.

ب ـ إن من أشرف العلوم وأنفعها، علم الحدود، ولا سيما حدود المشروع، المأمور والمنهي. فأعلم الناس، أعلمهم بتلك الحدود، حتى لا يُدخل فيها ما ليس منها، ولا يُخرج منها ما هو داخل فيها، فأعدل الناس، من قام بحدود الأخلاق والأعمال والمشروعات، معرفة وفعلاً.[٤].

وحدود الأخلاق تنقسم إلى قسمين:

---

(١) سورة البقرة: آية رقم (٢٢٩).

(٢) سورة البقرة: آية رقم (١٨٧).

(٣) ابن قيم الجوزية، زاد المهاجر، ص (٣٧).

(٤) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٥٨).

أقسام حدود الأخلاق:

١ ـ الحدود العامة:

ويُقصد بها الأوصاف والضوابط العامة التي يمكن تطبيقها والقياس عليها في جميع الأقوال والأفعال الخُلُقية، أي هي: القواعد الكلية التي تضبط مساحة الفضائل والرذائل الخُلُقية، وهي على أربع قواعد:

القاعدة الأولى:

أن لا يُدخل في مسمى الفضائل الخُلُقية ما ليس منها، فيحكم لها بحكم الأخلاق الفاضلة، مثل: أن يُدخل المداهنة في باب المداراة، على أنها من فضائل التعامل الأخلاقي، في حين أن المداهنة كما "فسرها العلماء: بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضى بما هو فيه، من غير إنكار عليه"[1].

القاعدة الثانية:

أن لا يُخرج من مسمى الفضائل الخُلُقية بعض أفرادها فيسلب عنها حكمها الأصلي، بحكم مضاد، مثل: أن يخرج من الحياء بعض أصنافه، كمصافحة المرأة للرجل الأجنبي، والحكم بأنه لايتعارض مع الحياء، بل إنه من شيم الأخلاق، فهنا أخرج بعض أصنافه، فسلب عنه الحكم الأصلي، وأعطاه حكم الجواز.

القاعدة الثالثة:

أن لا يُدخل في مسمى رذائل الأخلاق ما ليس منها، فيحكم لها بحكم الرذائل الخُلُقية، مثل: أن يُدخل في مسمى رذائل الأخلاق المداراة، على أنها من الرذائل الخُلُقية، وأن صاحبها مداهن.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (١٠/٥٢٨).

في حين أن المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الأُلفة. والمداراة مندوب إليها، وهي: الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه، حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، لاسيما إذا أُحتيج إلى تأَلُّفِه، ونحو ذلك[١].

القاعدة الرابعة:

أن لا يُخرج من مسمى الرذائل الخُلُقية بعض أفرادها، فيسلب عنها حكمها الأصلي، بحكم مضاد، مثل: أن يعتبر الإختلاط بين الرجال والنساء ليس من الرذائل الخُلُقية، فيسلبه حكم عدم الجواز، بحكم مضاد، وهو الجواز، ويعتبره من الرقي الأخلاقي، فهنا سلب الإختلاط من الرذائل الخُلُقية، وأضفى عليه لباس الفضيلة، وتبعاً لذلك سلب عنه الحكم الأصلي بحكم مضاد.

٢ ـ الحدود الخاصة:

يقصد بها الأوصاف والضوابط الأُحادية، لكل فضيلة، أي هي مجموعة القواعد الخاصة التي تضبط مساحة آحاد الفضائل الخُلُقية.

وكما أن لكل فضيلة خُلُقية مساحة محدودة معينة، إذا تجاوزها الإنسان أو قصر عنها، أخل بها، وكما أن الفضائل كثيرة ومتعددة فيمكن أخذ أمثلة عليها، ويقاس غيرها عليها.

فقد أشار ابن قيم الجوزية لعدد من ذلك وهي:[٢].

الغضب: للغضب حد، وهي الشجاعة المحمودة، والأنفة من الرذائل

---

(١) المرجع السابق (١٠/٥٢٨-٥٢٩).

(٢) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٥٦ ـ ١٥٨).

والنقائص، وهذا كماله، فإذا جاوز حده، تعدى صاحبه وجار، وإن نقص عنه جبن، ولم يأنف من الرذائل.

الحرص: وللحرص حد، وهي الكفاية في أمور الدنيا، وحصول البلاغ منها، فمتى نقص عن ذلك كان مهانة، وإضاعة، ومتى زاد عليه كان شرهاً ورغبة فيما لا تُحمد الرغبة فيه.

الحسد: وللحسد حد، وهو المنافسة في طلب الكمال، والأنفة من أن يتقدم عليه نظيره، فمتى تعدى ذلك صار بغياً وظلماً، يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود، ويحرص على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همة، وصغر نفس.

الشهوة: وللشهوة حد، وهو راحة القلب والعقل من كد الطاعة، واكتساب الفضائل، والإستعانة بقضائها على ذلك، فمتى زادت عن ذلك صارت نهمة وشبقاً، والتحق صاحبها بدرجة الحيوانات، ومتى نقصت عنه ولم يكن فراغاً في طلب الكمال والفضل كانت ضعفاً وعجزاً ومهانة.

الراحة: وللراحة حد، وهو إجمام النفس، والقوى المدركة، للإستعداد للطاعة.

واكتساب الفضائل، فمتى زاد عن ذلك أصبح توانياً وكسلاً وإضاعة وقت، ومتى نقص عنه صار مضراً بالقوى؛ موهناً لها.

الجود: والجود له حد بين طرفين، فمتى جاوز حده صار إسرافاً وتبذيراً، ومتى نقص عنه كان بخلاً وتقصيراً.

الشجاعة: وللشجاعة حد، إذا جاوزته صارت تهوراً، ومتى نقصت عنه صارت جبناً وخوراً، وحدها الإقدام في مواضع الإقدام، والإحجام في مواضع الإحجام.

الغيرة: وللغيرة حد، إذا جاوزته صارت تهمة، وظناً سيئاً بالبرئ، وإذا قصرت عنه كانت تغافلاً ومبادئ دياثة.

التواضع: وللتواضع حد إذا جاوزه كان ذلاً ومهانة، ومن قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر.

العـز: وللعز حد إذا جاوزه كان كبراً وخُلُقاً ذميماً، وإن قصر عنه انحرف إلى الذل والمهانة.

وقد ذكر ابن حزم حدوداً لبعض فضائل الأخلاق، منها ما يلي:[1]

العفة: وحد العفة غض البصر وجميع الجوارح عن ما لا يحل، وتجاوز ذلك عهر، وما نقص عن ذلك حتى يُمسك عن ما أحل الله تعالى فهو ضعف وعجز.

العدل: وحد العدل أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه، وحد الجور أن تأخذه ولا تعطيه، وحد الكرم أن تعطي من نفسك الحق طائعاً، وتتجافى عن حقك لغيرك قادراً.

---

(١) ابن حزم، الأخلاق والسير، ص (٣١ ـ ٣٢).

المبحث الرابع
أصول السلوك الخُلُقي

ويقصد بأصول السلوك الخُلُقي: الأسس التي ينبني عليها سلوك الإنسان المحمود، وهي تشمل البذل والكف والاحتمال، كما عرفها حسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ بأنها: بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى[1] وقال ابن قيم الجوزية: هو بذل الندى وكف الأذى واحتمال الأذى[2].

فسلوك الإنسان يكون منه لغيره بالعطاء، فذلك هو البذل، ويكون باحتمال ما يصدر عنهم من زلات، فذلك هو احتمال الأذى، ويكون بإمساك ضرره عنهم، فذلك هو كف الأذى. وهذه هي أصول محاسن الأخلاق وبيانها كالتالي:

أولاً: بذل الندى:

بذل الندى: أي الكرم والجود، ويأتي ذلك على ضربين[3] هما: إسقاط وإعطاء.

١ ـ الإسقاط: وهو على ضربين:

أ ـ أن تتسامح فيما هو لك عند غيرك من حقوق في جميعها، أو جُلِّها،

---

(١) الترمذي (٤/٣١٩) برقم (٢٠٠٥).

(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٢/٣٢٠).

(٣) ابن عثيمين، محاضرة عامة.

أو بعضها. وقد جاء في الحديث: (كان رجل يداين الناس، فيقول لفتاه إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه)[1] وهذا من باب التسامح عن الحقوق التي عند الغير.

ب ـ الزهد عما في أيدي الناس، بأن تزهد فيما في أيديهم، فلا تطلبه منهم، وتستغني بما هو عندك. وهذا النوع هو أفضل من سخاء البذل كما قال عبد الله بن المبارك:

سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل[2].

ولكن هذا ليس مطلقاً، فإذا كان يترتب على السخاء عن بعض ما في أيدي الناس مضرة، في الدين أو في الجسم، أو على المجتمع، فتقدر بقدرها، وهنا يكون عدم السخاء عما في أيدي الناس أفضل، مثل: حاجة الإنسان المريض الفقير لمن يعينه على الحصول على الدواء، فإذا كان في عدم التداوي هلكته، وجب عليه الإستعانة بغيره. ومثل: حاجة الجائع لمن يعينه على سد رمقه، فإذا كان في استعفافه هلكته، فينبغي عليه الإستعانة بغيره. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[3].

٢ ـ **العطاء**: وهو الجود بالبذل. ومصادر هذا النوع ما يلي:

أ ـ النفس.

ب ـ المال.

ج ـ الجاه.

د ـ العلم.

وبيانه كالتالي:

---

(١) البخاري (٢/ ٨٢) برقم (٢٠٧٨) ومسلم (٣/ ١١٩٦) برقم (١٣ـ١٥٦٢).

(٢) انظر مراتب الجود، مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (٢/ ٣٠٣).

(٣) سورة المائدة: آية رقم (٢).

أ ـ الجود بالنفس: وهو على ضربين:

١ ـ **الجود بالروح**: وهو أن يبذل الإنسان روحه مخاطراً بها في مصلحة راجحة مثل الجهاد، والدفاع عن أعراض المسلمين بالنفس، وإنقاذ الغريق، والحريق، وهذا النوع من أعلى مراتب الجود[١].

يجود بالنفس إذا ضَنَّ البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ومن أمثلة ذلك: استشهاد حنظلة بن أبي عامر الذي جاد بنفسه في غزوة أُحد، وكان عروساً ليلة أُحد، فسمع النداء بالخروج، فخرج ولم يغتسل، فقال رسول اله صلى الله عليه وسلم: (إن صاحبكم لتغسله الملائكة)[٢].

٢ ـ **الجود بالمال**: وهو بذل المال في وجوه البر، كإعانة ذوي الحاجات، بالصدقة والإقراض، والهبة، والهدية، وإكرام الضيف، والجار.

وهذا الجود محمود ومطلوب، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، قال ﷺ: (لا تحاسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فهو يقول: لو أُوتيت مثل ما أُوتي هذا لفعلت كما يفعل، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في حقه، فيقول: لو أُوتيت مثل ما أُوتي، عملت فيه مثل ما يعمل)[٣].

وسمي حسداً من باب الإستعارة[٤] وقد سابق عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق رضي الله عنهما في التصدق[٥].

٣ ـ **الجود بالجاه**: وهو بذل العون للناس بالمنزلة الاجتماعية التي للفرد

---

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٢/ ٣٠٥).
(٢) الحاكم (٣/ ٢٠٤).
(٣) البخاري (٤/ ٤١١) برقم (٧٥٢٨).
(٤) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص (٣٠٩).
(٥) الترمذي (٥/ ٥٧٤) برقم (٣٦٧٥).

عند الناس، مثل: الشفاعة لذوي الحاجات، وللمظلومين بالسعي في استرجاع مظالمهم وحاجاتهم، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾[1].

قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم: هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم، فمن يشفع لينفع؛ له نصيب، ومن يشفع ليضر؛ فله كفل[2].

٤ - **الجود بالعلم للناس**: ويكون على ضربين:[3].

أ - بأن يُجيب السائل بأكثر مما تستوجب الإجابة، ويتوسع له بما يفيده، وقد كان ذلك من خُلُقه صلى الله عليه وسلم، فلما سُئل عن ماء البحر، جاد على السائل بأكثر من ذلك، فقال ﷺ: (هو الطهور ماؤه، الحل ميتته)[4].

ب - أن يطرح العلم طرحاً للناس دون ما سؤال، وقد كان ذلك من كريم خُلُقه صلى الله عليه وسلم، ومن أمثلة ذلك قوله: (اتدرون من المفلس...)[5] وقوله لعبد الله بن العباس رضي الله عنهما: (يا غلام إني أُعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك..)[6].

٥ - **الجود بنفع البدن**: كإعانة الرجل لأخيه بأن يحمل معه متاعاً، أو يصلح له في داره بما يعرف، ونحو ذلك، قال ﷺ: (كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس؛ يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل في دابته، فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط

---

(١) سورة النساء: آية رقم (٨٥).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٥/ ١٩٠) وانظر كتاب السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٣٧٩).

(٣) انظر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٢/ ٣٠٥-٣٠٧).

(٤) ابو داود (١/ ٦٤) برقم (٨٣).

(٥) مسلم (٤/ ١٩٩٧) برقم (٥٩-٢٥٨١).

(٦) الترمذي (٤/ ٥٧٥-٥٧٦) برقم (٢٥١٦) وأحمد (١/ ٢٩٣).

الأذى عن الطريق صدقة)[1].

٦ ـ **الجود بالوقت والراحة**: ومن ذلك أن يجود براحة نفسه للناس، فيؤثر غيره على راحته، كالسهر مع المريض، وإدخال السرور عليه، وقد قيل:

متيم بالندى لو قال سائله   هب لي جميع كرى عينيك لم ينم

ثانياً: كف الأذى:

أي أن يمنع الإنسان مصادر أذاه عن مواطن الأذى عند غيره. ومصادر الأذى من حيث الشكل تنقسم إلى قسمين:

١ ـ قولية: وتكون بالبيان: اللسان، والقلم.

٢ ـ فعلية: وتكون بجوارح الإنسان المختلفة، كاليد والعين والأذن والأجفان، وبالإشارة.

ومصادر الأذى التي يقع عليها الفعل أو القول ويتأذى بها الإنسان هي: الدين والمال والعرض والنفس والعقل. وسيتم تفصيل مصادر ومواطن الأذى فيما يلي:

أولاً: مصادر الأذى:

أ ـ المصادر القولية:

وهو كل أذى كان مصدره البيان، سواء كان نطقاً باللسان، أو كتابة بالبنان، أو بهما معاً، واللسان مصدر قوي في الأذى، إذا سلطه صاحبه على الناس، وقد أكد ﷺ خطورة اللسان، وأنه مما يورد الإنسان المهالك، فقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضي الله عنه موضحاً له ذلك: (ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)[2]

---

(١) البخاري (٢/٣٥٥ـ ٣٥٦) برقم (٢٩٨٩) ومسلم (٢/٦٩٩) برقم (٥٦ ـ ١٠٠٩).

وقال ﷺ: (إن العبد ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم)[1] وقال ﷺ: (من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة)[2].

ومن صفات المسلم أن يكف أذى لسانه عن المسلمين، قال ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[3].

قال ابن حجر: وخص اللسان بالذكر لأنه المعبر عما في النفس، وهكذا اليد لأن أكثر الأفعال بهما، والحديث عام بالنسبة الى اللسان دون اليد، لأن اللسان يمكنه القول في الماضين والموجودين والحادثين بعد، بخلاف اليد، والتي يمكن أن تشارك اللسان في ذلك بالكتابة، وإن أثرها في ذلك لعظيم[4]، فدل التشريع الإسلامي على خطورة الأذى من اللسان، فلم يبق إلا تربية الإنسان لنفسه ولمن هو مسؤول عنهم.

ب ـ المصادر الفعلية:

وهو كل أذى جاء من جوارح الإنسان، كاليد والعين والأذن، ونحوذلك.

١ ـ **اليد**: إن ضرر اليد عظيم، وخطرها جسيم، حيث أنها أداة للقتل، والضرب والسرقة، ونحو ذلك، وقد بين ﷺ خطورة هذه اليد إذا استخدمت في غير ما خُلقت له، فجعل سلامة استخدامها علامة المسلم، فقال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[5].

---

(١) أحمد (٥/ ٢٣٦) والخرائطي (١/ ٤٦٣).
(٢) البخاري (٤/ ١٨٧) برقم (٦٤٧٨).
(٣) البخاري (٤/ ١٨٦ـ١٨٧) برقم (٦٤٧٤).
(٤) البخاري (١/ ٢٠ـ٢١) برقم (١٠) ومسلم (١/ ٦٥) برقم (٦٥ـ٤١).
(٥) ابن حجر، فتح الباري.
(٦) سبق تخريجه.

٢ ـ **العين**: وهي من مصادر الأذى، إذا جاء من العين غمز بها، للاحتقار والتنقص والإستهزاء، أو استخدمت في النظر المحرم، كالنظر إلى عورات البيوت، قال ﷺ: للذي اطلع من جُحر في حِجْرِ النبي صلى الله عليه وسلم، وكان في يده عليه الصلاة والسلام مِدْرى يحك به رأسه، فقال: (لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنما جُعل الإستئذان من أجل البصر)[1].

والإنسان مسؤول عن بصره كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2].

٣ ـ **الإشارة**: وهو أن يشير إلى أخيه المسلم بجفنه أو بحركة جسمه تنقصاً، واستحقاراً واستهزاءً، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[3].

الهمَّاز: هو الذي يُعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز الذي يُعيبهم بقوله.[4].

٤ ـ **الأذن**: ويحدث الأذى من الأُذن بأن يسترق الإنسان السمع، ويتنصَّت بأذنيه على غيره، فيؤذيهم بذلك، سواء كان التأذي يصل إليهم مباشرة برؤيته، أو يصل إليهم لاحقاً بنقل وإشاعة ما سمعه. والإنسان مسؤول عن هذه الآلة العظيمة، وعن سوء استخدامها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[5].

ثانياً: مواطن التأذي:

هي كل ما يتأذى بها الإنسان سواء في دينه أو ماله أو عرضه أو نفسه

---

(١) البخاري (٤/١٣٨) برقم (٦٢٤١).

(٢) سورة الإسراء: آية رقم (٣٦).

(٣) سورة الهُمَزة: آية رقم (١).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/ ٤٥٥).

(٥) سورة الإسراء: آية رقم (٣٦).

أو عقله، وهي ما تسمى في الفقه بالضروريات الخمس، والتي يمكن إيضاحها فيما يلي:

١ ـ **الدين**: ويحصل الأذى في الدين، بأن تتعدى على الإنسان بمنعه أو إعاقته عن أداء لوازم الدين، مثل: منع الإنسان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يُستهزء بما يتمسك به من واجبات أو سنن، مثل: تقصير الثوب، وإطلاق اللحية، قال الشاطبي: فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود كالإيمان والنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، وما أشبه ذلك[١].

٢ ـ **المال**: ويكون الإعتداء على أموال الآخرين بأوجه متعددة: كالسرقة والغش، والخداع، وقبول الرشوة، أو بغير ذلك من صور الإعتداء على المال، وقد صان الإسلام الأموال، وحرم الإعتداء عليها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢] والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق، فيدخل في هذا: القمار والخداع والغصوب وجحد الحقوق، ومالا تطيب به نفس مالكه، أو حرمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه، كمهر البغي وحُلْوان الكاهن[*] وأثمان الخمور والخنازير وغير ذلك[٣].

وقال ﷺ: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه)[٤].

---

(١) الشاطبي، الموافقات (٢/ ٤).

(٢) سورة البقرة: آية رقم (١٨٨).

(*) حلوان الكاهن: أُجرة الكاهن. لسان العرب (١٤/ ١٩٣-١٩٤).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٢٥).

(٤) البخاري.(١/ ٤١) برقم (٦٧) ومسلم (٣/ ١٣٠٦) برقم (٣٠-١٦٧٩).

٣ ـ **العقل**: ويكون الإعتداء على العقل بأحد ثلاثة أمور، أو بهما جميعاً:

أ ـ الإعتداء عليه بالضرب، في الأماكن التي يحصل بها اختلال توازن القوة العاقلة، وتعطله عن القيام بدوره.

ب ـ الإعتداء عليه من خلال ترويج وبيع ما يفسد العقل من الماديات، كالكحول والأفيون، وكافة أنواع المخدرات، لما تقوم به من إفساد القوة العاقلة التي يعقل بها الإنسان، فتحجبه عن مصالحه في دار معاشه ومعاده، وتعتم عليه الأمور حتى لا يدري خيرها من شرها، وبالتالي ينحرف بتصرفاته عن مواصفات الرجل العاقل اللبيب.

والمخدرات تصد الإنسان عن ذكر الله تعالى، ولذلك فإن الشيطان يزينها للإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1].

ج ـ مفسدات ثقافية: حيث يتم الإعتداء على عقل الإنسان بترويج الأفكار الضالة المضللة، وإشاعة الشبه بين الناس، وتزيين الإنحراف في جميع صوره عن طريق الكتابات الفكرية الضالة، والأدبية المثيرة.

٤ ـ **النفس**: وتكون صورة الإعتداء على النفس بالقتل، أو بالضرب، ونحو ذلك، وقد حرم الإسلام الإعتداء على النفس ظلماً وعدواناً، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[2].

وقال ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني

---

(١) سورة المائدة: آية رقم (٩١).

(٢) سورة النساء: آية رقم (٩٣).

رسول الله إلا باحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)[1].

٥ ـ **العرض**: العرض بكسر العين، موضع المدح والذم من الإنسان، سواء كان في نفسه، أو في سلفه[2] كالإعتداء بإلقاء التهمة عليه في عرضه، وقد نهى الإسلام عن جميع صور الإعتداء على العرض، قال ﷺ: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام)[3].

ثالثاً: احتمال الأذى:

إن احتمال الأذى يكون بعدم مقابلة الإساءة بمثلها،، وإنما يكون بأحد وجهين:

١ ـ مقابلة الإساءة بالعفو والإعراض عنها، وقد رغب الله تعالى في العفو، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4] فشرَّع تعالى العدل وهو القصاص، وندب إلى الفضل وهو العفو، ولا يضيع ذلك عند الله[5] وقال ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه)[6].

وقد منع أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما كان يتصدق به على مسطح ابن اثاثة، ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنهم، عندما خاض في حادثة الإفك، ثم عفا عنه، وأعاد ما كان يعطيه عندما سمع قوله[7]

---

(١) البخاري (٤/ ٢٦٨) برقم (٦٨٧٨). ومسلم (٣/ ١٣٠٢-١٣٠٣) برقم (٢٥-١٦٧٦).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١/ ١٥٩).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة الشورى: آية رقم (٤٠).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٢٨).

(٦) مسلم (٤/ ٢٠٠١) برقم (٦٩-٢٥٨٨).

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٨٦).

تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

والعفو ليس محموداً على الإطلاق، بل يكون أفضل إذا لم يترتب عليه مفسدة، فإن كان عاقبته تُؤدي إلى مفسدة، فعدم العفو أفضل، فمن عُرف عنه ظلم الناس، فربما العفو عنه يشجعه على التمادي في ذلك، أما إذا لم يترتب على العفو مفسدة، أو أنه يجر إلى الإصلاح فإنه أفضل.

٢ ـ مقابلة الإساءة بالحسنة، وقد رغب الإسلام في ذلك وحث عليه، فقد جاء في الحديث، أن النبي ﷺ قال: (يا عقبة بن عامر: صل من قطعك، واعط من حرمك، واعف عمن ظلمك)(٢).

وصلة القاطع تكون بالسلام والإكرام، والدعاء له، والإستغفار له، والثناء عليه، والزيارة له، وأما أن تعطي من حرمك، فيكون بالتعليم والمنفعة والمال، وأما العفو عمن ظلمك، فيكون في دم أو عرض، وبعض هذا واجب وبعضه مستحب(٣) والواجب مثل أن تصل من قطعك من الأرحام(*) والمستحب مثل: أن تعفو عمن ظلمك.

رابعاً: طلاقة الوجه:

وهي ضد العبوس، وتعني الإنبساط للإخوان ببشاشة الوجه، وهو مصدر للألفة والمحبة، وهي أحد مصادر الحسنات، قال ﷺ: (لا تحقرن

(١) سورة النور: آية رقم (٢٢).

(٢) أحمد (٤/١٥٨).

(٣) ابن تيمية، مجموع الرسائل الكبرى.

(*) قال صلى الله عليه وسلم: (ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها) البخاري (٤/ ٩٠) برقم (٥٩٩١).

من المعروف شيئا، ولو إن تلقى أخاك بوجه طلق)[1].

كما أن طلاقة الوجه من وسائل كسب المحامد، كما قال محمد بن حازم:

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق

---

(١) مسلم (٤/٢٠٢٦) برقم (١٤٤-٢٦٢٦).

المبحث الخامس
أسس التربية الخُلُقية والحكم الأخلاقي

يتطلب الحديث عن أسس التربية الخُلُقية الوقوف على جانبين: أحدهما يتعلق بالحكم الأخلاقي، لأنه يمثل جانباً مهماً من جوانب التعامل التربوي بين الأفراد، وله انعكاس على العملية التربوية.

والثاني يتعلق بأسس التربية الخُلُقية. وبيان ذلك كالتالي:

أولاً: الحكم الأخلاقي:

المقصود بالحكم الأخلاقي، ما يطلقه الناس على بعضهم البعض من وصف محمود، أو وصف مذموم.

حيث يتفاوت الناس فيما يصدرونه من أحكام على بعضهم البعض، فترى من يُصنع له المعروف على وجه معهود مستمر، وحين يُخْفَقُ معه مرة يرميك بآخر ما حصل، ويتناسى ما عهد منك من أخلاق، وترى بعض الناس يصف أهل الفضل بما يندر منهم، عن زلة لسان، أو بيان، أو في فعل من الأفعال، وربما رماهم بنقيض فضلهم وشمائلهم الخُلُقية المعهودة منهم.

ولهذا فإن للحكم الأخلاقي اعتبار في سِيَرِ الناس، وفي معاملاتهم، وفي الترابط والتنافر، والتقارب والتباعد، وفي التباغض والتآلف، ومن هنا لزم التأصيل في ذلك على وجه ما جاء به الشرع الحكيم.

فإذا كان السلوك الخُلُقي هو: كل صفة اتصف بها الإنسان في نفسه أو مع غيره، وأصبحت من سجاياه، فإنه بذلك يُستبعد كل تصرف طارئ

ليس سجية تطبع بها الإنسان، أو فطر عليها الفرد، لأن الشخص الذي اعتاد الناسُ منه البخل، حين يظهر عليه الكرم فجأة ابتغاء منفعة فإنه لا يستحق بهذه الفعلة اليتيمة أن يُطلق عليه رجل كريم، لأن هذه الفضيلة وأمثالها تزول بزوال الباعث لها، كما أن الشخص الذي من عادته الكرم إذا فقد هذه الصفة في أحد المواقف لطارئ طرأ عليه، قد يكون مادياً، أو غير ذلك، فلا يُحكم عليه بالبخل، لأن في ذلك الحكم جور عليه، وقد جاء في صحيح البخاري قوله ﷺ عن ناقته القصواء: (ما خلأت[*] القصواء وما ذاك لها بخُلُق)[1].

قال ابن حجر: فيه جواز الحكم على الشيء بما عُرف من عادته، وإن جاز أن يطرأ عليه غيره، فإذا وقع من شخص هفوة لا يُعهد منه مثلها لا يُنسب إليها[2] فالخطأ يُنسب إليه ولا يُنسب هو للخطأ.

وبهذا فلا يُوصف الإنسان بما يطرأ على تصرفاته من سلوك حميد أو ذميم، وإنما العمدة على ما أصبح له سجية وطبعاً وعادة عُرف بها. وإن كان الخطأ يُنسب إليه، ولا يوصف به على أنه طبيعة له.

وأما ما يتعلق بتطبيق العقوبات الشرعية والحكم القضائي، فيأخذ مجراه وفق شريعة الله تعالى.

ثانياً: أسس التربية الخُلُقية:

تقوم عملية التربية الخُلُقية أثناء تدريسها أو تنشئتها في أذهان المتربين على ما يأتي:

١ ـ تحليل الفضائل الخُلُقية، ببيان ثوابها وفوائدها على الفرد والمجتمع.

(*) خلأت الناقة خلاءً إذا حرنت، والحران أن يقف ولا يتحرك وإن ضُرب. غريب الحديث للحربي (٢/ ٤).

(١) البخاري (٢/٢٧٩) برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٥/ ٣٣٥).

٢ ـ تحليل الرذائل الخُلُقية، ببيان عقابها ومضارها الوخيمة على الفرد والمجتمع.

٣ ـ دعم تلك التوجيهات بالحجج والبراهين الواردة في القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية، والآثار الواردة عن الصحابة وعلماء الأمة.

٤ ـ ربط تلك التوجيهات بما يُشاهد ويُسمع من تدني في سلوك المجتمعات التي لا تعطي اهتماماً للجانب الأخلاقي. ويكون ذلك باستخدام القصص وضرب الأمثال، وأخذ العبرة من الأحداث والمصائب والكوارث التي تصيب الفاسدين المفسدين.

فإن مراعاة هذه الخطوات أثناء العملية التربوية تُحدث أثراً بالغاً في نفس المتربي، لأنها اشتملت على بيان وتحليل ودعم الأقوال بالحجج والبراهين، مع ربط ذلك بالواقع المشاهد، أو المسموع عنه.

وبهذا تتضح أهمية هذا الأصل الإسلامي العظيم الذي يُترجم طوية الإنسان وما تحمله من صفات، وتنعكس في سلوكه وتصرفاته مع نفسه ومع الآخرين، وقد اهتم الإسلام بهذا الأصل اهتماماً عظيماً، فكان هدفاً من أهداف البعثة النبوية التي جاءت لإتمام مكارم الأخلاق.

ولكن بعض الناس يفهمون هذا الأصل على غير مراده وحدوده ومنهجه، فاختلفت الموازين والأحكام بين الناس، ولذلك تضمن هذا الفصل حدوداً وضوابط منهجية لفهم الأخلاق وتطبيقها.

كما أنه يتحتم الأخذ بأسس التربية الخُلُقية حتى يحصل المراد المطلوب.

الفصل الخامس
البناء المهني

المبحث الأول : مفهوم العمل والمهنة

المبحث الثاني : فضل العمل وأهميته

المبحث الثالث : أهمية تعلم العمل

المبحث الرابع : أخلاقيات العمل



المبحث الأول
مفهوم العمل والمهنة

تمهيد:

لقد شرَّف الله تعالى عباده بهذا الدين القيم، الذي تناول شؤونهم الدنيوية، والأخروية، بشمولية ليس لها نظير ولا مكافئ، ومن ذلك، الكسب المعيشي، حيث حددت الشريعة الإسلامية المهن والأعمال المحرمة، وبينت أهمية العمل وحثت عليه، ونظمت العلاقة بين أرباب المهن، وبين العاملين، تنظيماً يكفل لهما علاقة أخلاقية تبادلية كريمة، وأضفت على ذلك أخلاقيات، تجعل الفرد المؤمن يعمل في مهنته وهو يشعر بمسؤوليته تجاه ربه عن حقوق هذا العمل.

والجانب العملي له أهمية كبيرة في حياة الأفراد والأمم، فعليه ينبني اقتصاد المجتمعات، وبه تتقدم الأمم في المجال الصناعي والزراعي والتجاري، وفي غيرها من مجالات الحياة، ولذلك اهتمت الشعوب بالأعمال الفنية والمهنية، وأنشأت لها المعاهد والمدارس والمراكز والجامعات، ووظفت لها طاقات بشرية مكثفة، وإمكانات مالية ومادية ضخمة التقديرات.

وكما أن الإسلام اهتم بجانب العمل اهتماماً كبيراً، في جوانبه المتعددة، فإنه يقع على كاهل التربية، والمؤسسات التربوية أن تبرز ذلك، وتبينه وتؤكده، لنقل ذلك من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي.

وهذا الفصل يتناول بعض قضايا العمل من المنظور الإسلامي،

فتضمنت محاوره: بيان مفهوم العمل والمهنة، مع الإشارة إلى الفرق بين المهن البسيطة والمركبة، والعلاقة بينهما.

ثم بيان فضل العمل في الإسلام، وما ترتب على ذلك من الأجر والثواب، الذي يعتبر حافزاً قوياً للفرد على العمل، والبعد عن أسباب البطالة.

وتناول البحث أيضاً أهمية العمل في الإسلام، حيث أولته الشريعة عناية عظيمة، وذلك لما يترتب عليه من سد حاجة الأمة، ولأنه وسيلة لكف النفس عن المسألة.

وتضمن المحور الثالث بيان اهتمام الأنبياء بالعمل ومزاولتهم للمهن، وكذلك الصحابة كنموذج ثانٍ، ثم العلماء كنموذج ثالث.

وكما أن هناك علاقة بين التعليم والعمل، فقد تضمن المحور الرابع بيان ذلك، من خلال إبراز أهمية التعليم الفني في التنمية العامة، وكذلك في تنمية الطاقات البشرية على وجه الخصوص،وكذا بيان أهميته في تكوين الإستعدادات النفسية لتقبل العمل المهني والفني.

ثم تضمن المحور الخامس: بعض أخلاقيات العمل التي ينبغي أن يتخلق بها الإنسان في مهنته.

مفهوم العمل والمهنة:

العامل: هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله، وملكه، وعمله، ومنه قيل للذي يستخرج الزكاة عامل[١].

العمل: المهنة والفعل، والجمع أعمال، وقيل: العمل لغيره، والاعمال لنفسه[٢].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (١١/ ١٧٤).

(٢) المرجع السابق (١١/ ٤٧٥).

المهنة: المَهْنَة، والمِهْنَة، والَمَهَنَة، والمَهِنَة، كله الحذق بالخدمة والعمل ونحوه.

الماهن: العبد، والخادم. والأُنثى ماهنة[1].

والعمل المهني: هو الجهد البدني الفكري الذي يبذله الشخص لتحقيق منفعة.

وقد عبَّر عنها ابن خلدون بقوله: اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، والعملي هو الجسماني.

والعمل المهني ينقسم إلى قسمين: بسيط ومركب، ويُعبر عنها عند الأقدمين بالصنائع، يقول ابن خلدون: والصنائع منها البسيط، ومنها المركب، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات، والمركب هو الذي يكون للكماليات، والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولاً، ولأنه يختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله، فيكون سابقاً في التعليم.

وبهذا فإن المهن البسيطة هي المقدمات للمهن المتقدمة، وهي التي لاغنى للمركب عنها، فأصبحت ضرورية له.

ولا شك أن هذا المفهوم للعمل والمهنة يؤكد أهمية هذا الميدان، لأنه من ضروريات الصناعات المتقدمة، ولا تتقدم الصناعات إلا بتوفر التعليم المهني والفني، وتقدمه من حيث العنصر البشري، والعنصر التقني الذي يعتمد في تقدمه على العنصر الأول.

---

(١) المرجع السابق (١٣/ ٤٢٤).

المبحث الثاني

فضل العمل وأهميته

أولاً: فضل العمل:

لقد رفع الإسلام مكانة العمل، من خلال رفع مكانة العامل، وبيان فضله على العامل الكسول، وبيان فضل وثواب الجهد العملي، في تحصيل لقمة العيش، التي تعفه وتغنيه عن المسألة، وعن تكفف الناس، كما يتضح مما يلي:

١ ـ ثناء الشريعة على العمل باليد:

إن أفضل الكسب، كسب المرء بجهده الذاتي، الذي يبذله في صنعة من الصنائع فيتحقق له المردود المادي، فيقتات بذلك، وينفق على من وجبت عليه نفقتهم، كالزوجة والأولاد، وقد أثنى المصطفى ﷺ على المتكسبين بأيديهم، فقال: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)[١].

وفي الحديث فضل العمل باليد، وتقديم مباشرة الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره[٢] وقد بوب البخاري: "باب كسب الرجل وعمله بيده"[٣] وهذا التبويب يدل على عناية العلماء واهتمامهم بهذا الجانب، ولهذا ينبغي

---

(١) البخاري (٢/ ٨٠) برقم (٢٠٧٢).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٤/ ٣٠٦).

(٣) البخاري (٢/ ٨٠) رقم الباب ١٥.

على أرباب المهن أن يشرفوا على أعمالهم بأنفسهم ما أمكن ذلك، ويجعل الواحد منهم لنفسه نصيباً يقوم بمزاولته، حتى لا تضعف خبرته في مزاولة المهنة، فلا يدري عن مغبة الأيام، فقد يحتاج إلى ممارستها بنفسه، كما أن في مباشرة العمل حفظ للأموال، ووقاية للعمالة من الوقوع فيما يضر.

٢ ـ اليد العليا افضل من السفلى:

ومن فضل الكسب باليد أنه يرفع من مكانة العامل، ويعينه على التعفف، وعلى الإنفاق، وهي صفات اليد العليا التي أثنى النبي ﷺ عليها، فقال: (اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقه، والسفلى السائلة)[١].

فالمنفقة أعلى من السائلة، والمتعففة أعلى من السائلة، وفي هذا الحديث الحث على الإنفاق في وجوه الطاعات، وفيه دليل لمذهب الجمهور أن اليد العليا هي المنفقة، والمراد بالعلو، علو الفضل والمجد ونيل الثواب[٢].

وفي هذا تأكيد على فضل العمل، لأن الإنفاق والتعفف مرتبط بممارسة مهنة من المهن، ولا يتأتى ذلك لعاطل عن العمل.

٣ ـ الإشتغال بالأمر المباح عن البطالة:

من فضل العمل باليد، أن يشتغل الإنسان بالأمر المباح عن البطالة، واللهو. والتعفف عن ذلة السؤال، والحاجة للغير[٣] وقد قال ﷺ: (لَأَن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً، فيعطيه أو يمنعه)[٤].

---

(١) مسلم (٢/ ٧١٧) برقم (١٠٣٣.٩٤).

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ١٢٥).

(٣) ابن حجر، فتح الباري (٤/ ٣٠٤).

(٤) البخاري (٢/ ٨١) برقم (٢٠٧٤).

٤ـ فضل النفقة على العيال:

يأتي فضل العمل من باب فضل النفقة على النفس وعلى العيال، وإثم من ضيعهم، قال صلى الله عليه وسلم: (أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله، قال أبو قلابة: وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار، يعفهم، أو ينفعهم الله به ويغنيهم)(١).

وقد بوب الإمام مسلم: "باب: فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم، أو حبس نفقتهم عنهم"(٢).

والمقصود الحث على العيال، وبيان عظم الثواب فيه، لأن منهم من تجب نفقته بالقرابة، ومنهم من تكون مندوبة، وتكون صدقة وصلة، ومنهم من تكون واجبة(٣).

فإذا فرط الإنسان في اكتساب مهنة تعود عليه بالكسب الحلال، فإنه قد فرط في مسؤولية الرعاية والإنفاق المناطة به، والتي لاتنفك عنه إلا إذا أدى الذي عليه فيها، أو كان عاجزاً عجزاً ترتفع به المسؤولية. فجاء فضل العمل من فضل النفقة على النفس وعلى العيال.

أهمية العمل:

إن العمل والكسب المعيشي، أمر حتمي على كل قادر على أداء صنعة من الصنائع، لأنه لا تستقيم أمور حياته، ولا إشباع رغباته الفطرية من مأكل ومشرب ومسكن إلا بمزاولة مهنة من المهن المشروعة.

وقد أشار الله تعالى إلى السعي في مناكب الأرض في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ

---

(١) مسلم (٢/ ٦٩١.٦٩٢) برقم (٣٨ ـ ٩٩٤).

(٢) مسلم (٢/ ٦٩١).

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ٨١).

﴿ٱلنُّشُورُ﴾[1] أي هو الذي سخر لكم الأرض وذللها لتدركوا كل ما تعلقت به حاجتكم من غرس وبناء وحرث طرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية، والبلدان الشاسعة[2].

قال ابن كثير: أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات[3].

ومن حكمة الله تعالى أن أباح البيع والشراء الذي يمثل التسويق والتبادل التجاري النافع بين الأفراد والجماعات "وأجمع المسلمون على جواز البيع، والحكمة تقتضيه لأن حاجة الإنسان تتعلق بما في يد صاحبه غالباً، وصاحبه قد لايبذله له، ففي تشريع البيع وسيلة إلى بلوغ الغرض من غير حرج"[4].

كما أن الإنسان قد لايستطيع أن يحقق لنفسه منفعة من المنافع إلا عن طريق فرد أو أفراد آخرين، كبناء مسكن أو شراء سلعة مما يعجز عن صنعها أو إنتاجها، فلزمه أن يدفع للطرف الآخر منفعة نقدية أو عينية مقابل الحصول على ما يحتاج إليه من خدمات ومنافع.

وبهذا يتأكد أهمية العمل بصفة عامة، ومنها العمل المهني والفني، ويتأكد أيضاً أهمية لازمة، وهو التعليم والتنشئة التربوية على ذلك، وتزداد الأهمية وضوحاً مما يلي:

١ ـ سد حاجة الأمة:

إن للأمة حاجات تجارية وصناعية وطبية وزراعية، وغيرها من الحاجات، وهي لا تخلو في الغالب من قسمين: مبادىء: وهي الأعمال الفنية والمهنية، ومتقدمة: وهي الأعمال التقنية المتطورة التي تعتمد على

---

(١) سورة الملك: آية رقم (١٥).

(٢) السعدي، تفسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان (٤/ ٢٧٩).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٢٤).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (٤/ ٢٨٧).

سابقتها (المبادىء) والمجتمعات الإسلامية في حاجة إلى ذلك، كي تسد حاجاتها، وتغتني بنفسها، ويكون ذلك قوة لاقتصادها، الذي ينعكس على قوة الأمة، فتكون أمة رائدة في هداية الأمم وفي سائر الجوانب الأخرى.

وقد اهتم المسلمون الأوائل بتلك المِهَن والصناعات، فبوب البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ أبواباً بأسماء بعض الصناعات أو المهن التي كانت في عهد النبي ـ ﷺ ـ مثل: باب الخياط، وباب النُّسَّاج، وباب النجار،[1] وقد تحدث ابن خلدون في مقدمته عن عدد من المهن كصناعة الفلاحة، وصناعة البناء، والحياكة، والخياطة، وغيرها من المهن[2].

والتربية الإسلامية تدعو إلى العمل والإهتمام به، حيث حاجة الأمة لذلك، ولما يترتب على العمل من النمو الإقتصادي، كما أن دائرة العمل في ضوء التربية الإسلامية تتسع لكل علم ومهنة نافعة للأمة، فعلوم الكون الـــتي تسمى العلوم العصرية وأعمالها، وأنواع المخترعات النافعة للناس في أمور دينهم ودنياهم، أنها داخلة فيما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ ومما يحبه الله ورسوله[3].

٢ ـ المهنة وسيلة لدفع الفقر:

إن الفقير المُعدَم قد يدفعه فقره وحرمانه إلى سلوك ما لا تحمد عقباه، ما لم يكن لديه وازع ديني قوي يردعه عن سلوك ما لا يُرضي، ولذلك فإن من وسائل دفع الفقر العمل بأن يكتسب الإنسان مهنة تَسُد حاجاته ومطالبه.

وقد كان ﷺ كثيراً ما يتعوذ من الفقر، كما جاء في الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر)[4].

كما أن الفقر قد يؤدي بالإنسان الى المغرم، والمغرم قد يجر إلى

---

(١) البخاري (٢/٨٦-٩٠).

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص (٤٠٦.٤٢١).

(٣) السعدي، القواعد والأصول الجامعة، ص (٩).

(٤) النسائي (٣/٧٣ ـ ٧٤) برقم (١٣٤٧). وأحمد (٥/٢٦،٣٩،٤٢).

الكذب، وإخلاف الوعد، وهي مفاسد خُلُقية، يمكن دفعها بالعمل، وقد كان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يتعوذ من المغرم، فيقول: (اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم، فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ قال: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف)[1] ويستفاد من هذا الحديث سد الذرائع، لأنه استعاذ من الدين لأنه في الغالب ذريعة إلى الكذب في الحديث، والخلف في الوعد، مع ما لصاحب الدين عليه من المقال[2] وفي المهنة سد للفقر بإذن الله تعالى.

٣ ـ كف النفس عن المسألة:

لقد وجَّهنا الله تعالى إلى ابتغاء فضله، الذي منه التكسب بالعمل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[3] ويؤخذ من هذه الآية مشروعية البيع عن طريق عموم ابتغاء الفضل، لأنه يشمل التجارة وأنواع التكسب، واختلف في الأمر المذكور، فالأكثر على أنه للإباحة، وقال الداودي: هو على الإباحة لمن له كفاف ولمن لايطيق التكسب، وعلى الوجوب للقادر الذي لاشيء عنده، لئلا يحتاج إلى السؤال، وهو محرم عليه مع القدرة على التكسب[4].

فلما بينت وحثت الشريعة الإسلامية على التكسب، نهت أن يعيش الإنسان عالة على الغير، وهو صحيح قادر على الكسب، حيث قال ﷺ: (لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره، فيتصدق به ويستغني به من الناس، خير له من أن يسأل رجلا، أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى. وابدأ بمن تعول)[5].

---

(١) البخاري (١/٢٦٨) برقم (٨٣٢).
(٢) ابن حجر، فتح الباري (٥/٦١).
(٣) سورة الجمعة: آية رقم (١٠).
(٤) ابن حجر، فتح الباري (٤/٢٨٨ ـ ٢٨٩).
(٥) مسلم (٢/٧٢١) برقم (١٠٦ـ١٠٤٢).

وقد اتفق العلماء على النهي عن السؤال إذا لم تكن ضرورة لذلك[1] وبوب الإمام مسلم، باب: النهي عن المسألة.

وفيما سبق تأكيد من التربية الإسلامية على تنشئة الإنسان المسلم على الحياة الكريمة، وعمارة الكون بما يرضي الله تعالى، وحثه على الجد والعمل في التكسب.

ولنا في الأنبياء وفي أصحاب رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وكذلك في العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وهو ما يوضحه العنوان التالي:

اهتمام الأنبياء بالعمل:

لقد مارس الرُسُل عليهم السلام الجانب المهني، كل بحسب ما هُيِّئ له، فقد "كان داود زراداً، وكان آدم حراثاً، وكان نوح نجاراً، وكان إدريس خياطاً، وكان موسى راعياً"[2] وقد قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾[3] قال بعض السلف: أمره الله تعالى أن يغرز الخشب ويقطعه وييبسه، فكان ذلك في مائة سنة، ونجرها في مائة سنة أخرى، وقيل في أربعين سنة، والله أعلم[4].

ويستفاد من ذلك صبر نوح عليه السلام على طول الفترة الزمنية في هذه المهنة دون تضجر، وأن هذه المهنة ليست من المهن الوضيعة كما يتصورها بعض الناس، ولو كانت كذلك لما وفق الله تعالى لها نبيه نوح عليه السلام.

وقد رعى بعض الأنبياء الغنم مثل موسى عليه السلام، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، (٧/ ١٢٧).
(٢) ابن حجر فتح الباري (٤/ ٣٠٧).
(٣) سورة هود: آية رقم (٣٧).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٦٠).

اهتمام الصحابة بالعمل:

لقد كان الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ يعملون ويكدحون، وقد وصفت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ حالتهم العملية، فقالت: (كان أصحاب رسول الله ﷺ عمال أنفسهم)[١].

وكان عبد الرحمن بن عوف يتاجر بنفسه، فكان عظيم التجارة، وذو حظ عظيم فيها، قيل إنه دخل على أم سلمة فقال: يا أمه، قد خِفت أن يُهلكني كثرة مالي، قالت: يابني انفق، وقد تصدق على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة الآف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله تعالى، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله تعالى، وكان عامة ماله من التجارة[٢].

وبالرغم من اشتغال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلا أنه لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى، قال قتادة: كان القوم يتبايعون ويتجرون، ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله تعالى، لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى، حتى يؤدوه إلى الله تعالى[٣].

اهتمام العلماء بالعمل:

لقد اهتم علماء المسلمين قديماً وحديثاً بمجال العمل، وذلك لأهميته في تلبية مطالب وحاجات الإنسان، ذكر اسحاق بن راهويه: أن الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ يعمل التكك ويبيعها، ويتقوت بها[٤].

وكان الإمام أبي حنيفة يتجر في الخز، وكان ماهراً فيه، وله دكان في الكوفة، وشركاه يسافرون له في شراء ذلك وبيعه، مستغنياً بنفسه[٥].

---

(١) البخاري (٢/ ٨٠) برقم (٢٠٧١).

(٢) ابن الأثير، أُسد الغابة (٣/ ٤٨٣).

(٣) ابن حجر، فتح الباري (٤/ ٢٩٧).

(٤) الذهبي، أعلام النبلاء (١١/ ١٩٣).

(٥) شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي المكي، الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة، ص (٨٣).

فتلك نماذج تمثل خيرة البشرية، قد اهتمت بالعمل، ومارسته كما يمارسه أي فرد من الأفراد، فقد مارسه الأنبياء الذين هم أفضل البشر، ومارسه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مارسه العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، فحري بأمة الإسلام اليوم أن تهتم بالعمل، متأسين بمن قبلهم من الأنبياء والصحابة وعلماء المسلمين، فليسوا بأفضل منهم.

المبحث الثالث

أهمية تعلم العمل

إن أهمية العمل التي سبق بيانها، لتؤكد الأهمية البالغة للتعليم الفني والمهني، حيث أنه المفتاح الرئيس في عالم اليوم، لاكتساب مهنة طيبة، تلبي حاجة الفرد والمجتمع، وهذا ما توضحه النقاط التالية:

١ ـ أهمية التعليم الفني في التنمية:

إن البرنامج المتكامل للتنمية الاقتصادية يتطلب وجود نوع من العمل الموجه المنظم الذي يستثمر الإمكانات المادية المتاحة، وهذا يتوقف على كفاءة القوى البشرية العاملة.

كما أن استمرارية التنمية تتطلب استخدام الأسلوب العلمي في تقدير الإحتياجات وحُسن استخدام الإمكانات المتاحة، واستغلالها وتطويرها[١] وهذا يحتاج إلى قوى بشرية مدربة ومؤهلة، وهذا من مهام التعليم التقني والفني والمهني، وبالتالي تتأكد أهمية هذا النوع من التعليم، وأنه من الأُسس الرئيسة في تكوين قاعدة العمل الصحيحة.

كما أن التعليم يلعب دوراً فاعلاً في تشكيل اتجاهات المتعلمين، نحو حب العمل الذي يمارسونه، والقناعة به، ولهذا فإن له دوراً بارزاً في القضاء على البطالة الناتجة عن عزوف بعض الشباب عن الأعمال الفنية والمهنية[٢].

---

(١) انظر، عبد الله السيد عبد الجواد، الوظائف الاقتصادية والاجتماعية للتربية والتخطيط لإنجاحها، ص (١٨ـ١٩).

(٢) المرجع السابق، ص (٣٨).

فلا بد للتعليم من التأكيد على أهمية الأعمال الفنية والمهنية، وأنه لابد من وجود من يعمل فيها، "فلو نفرت الجماعة كلها من الأعمال اليدوية، ما قام عمران، ولاشيد بنيان، وما انتظمت صناعات"[1] ولأصبحت الأمة عالة على المجتمعات الأخرى، وهذا ما لا يرضاه المسلمون لأمتهم، لذلك فإنه من الأهمية بمكان إبراز أهمية العمل من خلال التعليم.

٢ ـ أهمية التعليم في تكوين الإستعدادات:

إن التعليم الفني والمهني ضروري للأفراد باعتبار ميولهم واستعداداتهم، فالبعض ليس لديه القدرة على المواصلة الدراسية، كما أن البعض لديه ميول نحو الأعمال الفنية، ويستطيع أن يبدع فيها، ويشق طريقه العملي من خلالها، فَتَوفر مثل هذه الدراسات والتخصصات ضرورية لهذا الإعتبار، فضلاً عن الاعتبار الآخر وهو حاجة الأمة إليها.

فالتعليم الفني يفجر طاقات الإبداع والإبتكار لدى الدارسين، كما أنه يمكن من خلال هذا التعليم إرشاد المتعلمين وتوجيههم بالأساليب التربوية السليمة، وتهيئة الجو العلمي الصالح الذي يساعدهم على تنمية طاقاتهم[2].

كما أنه يحصل من هذا النوع من التعليم تقوية الملكات الفنية، يقول ابن خلدون: والصنائع يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة[3] فتكون لدى الدارس للأعمال المهنية والفنية ملكة معرفية تُسهم في تطوير العمل، وتنمية الجانب الإبداعي لديه، فيستطيع أن يتعرف ويكتشف أسهل الطرق للانتاج، وبأقل جهد وبأعلى كفاءة، وتنمو هذه الملكة المعرفية مع مزيد الخبرة والتعليم.

---

(١) أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص (٣٨).
(٢) عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السُّنَّة النبوية، ص (٥٣٨).
(٣) ابن خلدون، المقدمة.

٣ ـ أهمية التعليم الفني في تنمية الطاقات البشرية:

إن للتعليم الفني أهمية كبيرة في تنمية الطاقات البشرية، وزيادة معدل إنتاجها، وحُسن تطويرها للعمل، وذلك من خلال الأنشطة التطبيقية للأعمال الفنية والمهنية مما يزيد في حصيلته المعرفية والتنفيذية للأعمال.

كما أن التعليم الفني يُوقف المتعلم على الأخطاء التي تنجم عن سوء استخدام آليات العمل، فَيُحْدِثُ ذلك عنده نمواً معرفياً، ينعكس على أدائه الوظيفي.

كما أن للجانب التعليمي الأثر الفاعل في غرس القناعة بالمهنة، وبمزاولتها، والإعتزاز بها، مما يزيد ذلك في نشاطه الإنتاجي.

المبحث الرابع
أخلاقيات العمل

إن للعمل أخلاقاً لابد من الإتصاف بها، والتخلق بها، وإلا أصبح العمل مرتعاً للتهاون، وتبديد الأموال، وتضييع الإقتصاد، ولأصبح بؤرة للغش والخداع، والإسلام وضع للمسلم أخلاقاً يتخلق بها ويتصف بها في جميع شؤونه، التي منها العمل، ومن تلك الأخلاقيات ما يلي:

١ ـ الإخلاص:

إن كلمة الإخلاص: تدل على الصفاء والنقاء، والتنزه من الأخلاط والأوشاب، والشيء الخالص هو الصافي الذي ليس به شائبة مادية، أو معنوية[١].

وما شاع الإخلاص بين قوم في شؤون الدين والدنيا إلا عمهم الخير، وزهق بينهم الباطل، وكانوا في الأولى والآخرة من السعداء.

والإخلاص من أهم الصفات الخُلُقية التي ينبغي على المرء أن يتصف بها، وله أهمية كبيرة في مجال العمل، إذ بالإخلاص يرتفع مستوى الأعمال، وينمو الإنتاج، ويتحسن الإقتصاد، وبالإهمال يتدنى مستوى الإنتاج، وتفسد الأعمال، وتنشق العلاقة بين أرباب الأعمال والعمال، وتحدث الفرقة بدل الأُلفة.

وقد بين ﷺ فضل الإخلاص في العمل، بقوله: (خير الكسب كسب

---

(١) أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن (٢/ ١٧٣).

يد العامل إذا نصح)[1] والنصح ثمرة من ثمار الإخلاص، وفي هذا البيان النبوي الكريم، إيضاح لأهمية الإخلاص الذي سيؤول بصاحبه إلى خيرية الكسب وأفضله.

٢ ـ الأمانة:

إن الأمانة نقيض الخيانة، ومؤتمن القوم: الذي يثقون به، ويتخذونه أميناً حافظاً، والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة[2].

والأمانة واسعة الدلالة، متعددة الجوانب، فهي الأمانة في حفظ الودائع، والأمانة في حفظ سر الكلمة، وبذل تمام الجهد فيما يوكل للإنسان من أعمال. وهي شاملة لكل ما استرعى الله تعالى الإنسان من أعمال، وأداء للحقوق، وتكون فيما منحه الله تعالى للإنسان من جوارح.

وأداء الأمانة واجب شرعي، يتحتم على كل مسلم أن يحفظ أمانته، ولا يخون حتى من خانه، لقوله ﷺ: (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك)[3].

وقال ﷺ: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)[4].

ونقيض الأمانة الخيانة، التي هي سبب الأزمات والغش والخديعة، إذ يرتبط بفقدانها قلة الإنتاج في الأعمال، وضعف المستوى في الأداء، في مختلف الحرف والأعمال، وبفقدانها تكسد التجارة وتتعثر بين الناس لانعدام الثقة في المعاملات.

---

(١) أحمد (٢/ ٣٣٤).

(٢) ابن منظور، لسان العرب (١٣/ ٢٢).

(٣) أبو داود (٣/ ٨٠٤-٨٠٥) برقم (٣٥٣٤)، والترمذي (٣/ ٥٦٤) برقم (١٢٦٤)، وأحمد (٣/ ٤١٤).

(٤) البخاري (١/ ٢٨٤-٢٨٥) برقم (٨٩٣)، ومسلم (٣/ ١٤٥٩) برقم (٢٠-١٨٢٩).

٣ ـ الكسب الحلال:

لقد اهتم الإسلام بالكسب المعيشي اهتماماً كبيراً، فبين المهن والمكاسب المحرمة التي ينبغي صد جميع الوسائل المفضية إليها، فقد حرم الإسلام صناعة وتعاطي الخمور والمخدرات، والأعمال الربوية، وغيرها من المحرمات التي بينتها كتب الفقه الإسلامية.

كما ينبغي تجنب المكاسب المبنية على الخداع والغش والحلف الكاذب، وغيرها من الرذائل السلوكية، وقد حذر ﷺ من فتنة المال التي قد تؤدي بالإنسان إلى عدم المبالاة بمكسبه، قال عليه الصلاة والسلام: (يأتي على الناس زمان لايبالي المرء ما أَخذ منه، أمن حلال أم من حرام)[(١)].

قال ابن التين: أخبر النبي ﷺ بهذا تحذيراً من فتنة المال، وهو من بعض دلائل نبوته، لإخباره بالأمور التي لم تكن في زمنه، ووجه الذم من جهة التسوية بين الأمرين، وإلا فأخذ المال من الحلال ليس مذموماً من حيث هو، والله أعلم[(٢)].

فينبغي على العامل المسلم أن يتحرى في كسبه الأعمال المشروعة أولاً، ثم يتحرى سلامة الكسب، من الغش والخداع وسائر الرذائل، وأن يتحرى فيه الصدق والأمانة والإخلاص، فقد قال ﷺ: (لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عُمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)[(٣)].

فهذه بعض من أخلاقيات العمل التي ينبغي أن لايغفل عنها مسلم، وأن توليها المؤسسات التربوية اهتمامها الكبير، عن طريق الأنشطة التربوية والمناهج الدراسية.

وبهذا يتضح لنا اهتمام الإسلام بالعمل المهني لأنه أُس لكثير من

---

(١) البخاري (٢/٧٦-٧٧) برقم (٢٠٥٩).
(٢) ابن حجر، فتح الباري (٤/٢٩٧).
(٣) الترمذي (٤/٥٢٩) برقم (٢٤١٧).

أُمور الحياة، التي لا تقوم إلا به كالنفقة على النفس والعيال، وسد حاجات أفراد المجتمع.

وتبين لنا أن الإسلام لا يحقر العمل المهني بل يرفع من قيمته ويُثني على أهله لأنه يُبعدهم عن المسألة التي حرمها الإسلام، ويتأكد بهذا أن الإسلام دين عمل وليس كما يدعي بعض أعداء الإسلام من أن التربية الإسلامية لا تهتم بالمهن، أو ما يحصل من بعض المتقاعسين عن العمل المهني، حتى حاد بهم تقاعسهم إلى المسألة، أو إلى الإنحراف.

ولذلك فإنه ينبغي على الأوساط التربوية أن تُولي في مناهجها التعليمية ما يُربي في أبناء المسلمين حُب العمل وعدم تحقيره، أو تحقير أهل المهن الحرفية الأولية، ويقع على عاتقها مسؤولية تربوية كبيرة عليها أن تقوم بها.



الفصل السادس
البناء الجسمي

المبحث الأول : المفهوم والأهداف

المبحث الثاني : أحكام الألعاب الرياضية

المبحث الثالث : ضوابط التربية الجسمية

المبحث الرابع : وسائل التربية الجسمية

المبحث الأول
المفهوم والأهداف

تمهيد:

لقد اهتم الإسلام ببناء جميع جوانب الإنسان، روحاً وعقلاً وخُلُقاً وجسماً، واهتم به كفرد له حقوقه، ومشاعره، وحاجاته، وقدراته الخاصه، كما اهتم به أيضاً كعضو في جماعة المسلمين، فوجهه الإسلام في كل جانب من تلك الجوانب الإنسانية، بما يجلب له سعادة الدارين.

ومن تلك الجوانب التي بصددها الدراسة الجانب الجسمي، الذي اهتم به الإسلام وقاية وإنماءً وعلاجاً، وجعل الإهتمام به وسيلة لغاية، وليس غاية لذاتها.

والمرء ينشط لكل عمل يقوم به إذا كان لهدف وغاية، حيث أن البواعث تدفعه من خلال تصور ذلك الهدف، وبالتالي يجمع نشاطه لتحصيله وابتغائه، فيصبح عمله مبنياً على تصور وباعث وهدف ووسيلة، وهذه الامور تحتاج الى ضبطها بضابط الشرع، وإلا أصبح الناس فيها سواء، مؤمنهم وكافرهم.

وكما أن المجتمعات المعاصرة اعتنت بالتربية الجسمية عناية كبيرة على نمط لايتوافق في كثير من صوره وأهدافه ووسائله مع المنهج الاسلامي، جاءت الحاجة ملحة في الكتابة عن هذا الجانب، لبيان التصور الصحيح للتربية الجسمية.

وهناك نقطة مهمة ينبغي بيانها وهي أن البناء الجسمي، أو التربية

البدنية، لاينحصر مفهومها في التربية الرياضية فقط، وإنما يدخل في ذلك الجانب العلاجي، والجانب الوقائي، والغذائي وهو ما سوف يوضحه هذا البحث إن شاء اللـه تعالى.

أولاً: مفهوم التربية الجسمية:

التربية الجسمية، أو التربية البدنية: هي عملية حفظ، وتنمية الجانب الجسمي، ليقوم بدوره على أحسن ما يكون.

وجميع المجتمعات يمكن أن تتفق على هذا المفهوم، ولكنها تختلف وتتباين في مفهومها لجزئية من التعريف، ألا وهي (ليقوم بدوره).

فدور الجسم في المجتمعات الغربية يقتصر على تحقيق السعادة في الحياة الدنيا، حيث إن هذا هو مطلب التربية بصفة عامة كما قال أحد مفكريهم، وهو (هربرت سبنسر): إن التربية هي الإعداد للحياة[1] ويؤكد آخر وهو (جون لوك) أن التربية لها أغراض ثلاثة:

١ ـ تقوية الأبدان، وتنشيط الأجسام.

٢ ـ تزويد العقول بأنواع المعارف والعلوم.

٣ ـ غرس الفضيلة في النفوس[2].

وهنا نلاحظ حصر أهداف التربية في أمور دنيوية، ولم يتعرض (جون ديوي) للجانب العقدي أو التعبدي، أو بشكل عام للجانب الأخروي.

وأما عند المجتمعات البوذية، فإن التربية الجسمية، هي التخلص من الغرائز الجسدية، لتحصل السعادة للإنسان[3] على حد زعمهم.

وعند غلاة الصوفية نجد أنهم: "زعموا أن الطريق في ذلك (أي

---

(١) صالح عبد العزيز، د.عبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس، (١/ ٣٨).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٧ ـ ٣٨).

(٣) حنا الفاخوري، وخليل الجر،تاريخ الفلسفة العربية (١/ ٣٠).

طريق السلوك) بالإنقطاع عن علائق الدنيا بالكلية، وتفريغ القلب منها، وبقطع الهمة عن المال والولد والوطن..... "[1].

والإنقطاع عن المال والولد والوطن والدنيا بأسرها، يعني التوقف عن العمل، وعن الإهتمام بتهذيب وتنمية الجانب الجسمي.

وقد اتضح مما سبق أن التربية الجسمية عند بعض المجتمعات المنحرفة، بالغت في التربية الجسمية، كما هو مشاهد وملموس عند العالم الغربي، والماديين بصفة عامة، وبعضها أهملت التربية الجسمية، كما هو مشاهد عند الطرف الآخر المنحرف، كالبوذية، وغلاة الصوفية، وعلى الشباب أن يتنبه إلى ذلك، ولا يكونوا إمعة، بل ينظرون إلى نشاطهم الجسمي من خلال المنهج الإسلامي، ويعملون في ضوئه.

أما مفهوم التربية الجسمية في ضوء التربية الإسلامية، فهي عملية حفظ وتنمية الجانب البدني، ليقوم بدوره الذي خُلِق من أجله، والمتمثل في:

تحقيق العبودية لله تعالى، وما يتفرع عن ذلك من الإستعانة بهذا البدن على أداء العبادات، كالصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله، وما قد يتطلبه من تعلم بعض المهارات البدنية، للدفاع عن الضروريات التي هي الدين والمال والنفس والعرض والعقل.

ومن هذا المنطلق يمكن صياغة أهداف التربية الجسمية على النحو التالي:

ثانياً: أهداف التربية الجسمية:

إن التربية الجسمية أمر مطلوب لأهداف عديدة في ضوء التربية الإسلامية، وسواء كانت بالتنمية الغذائية والحركية، أو بالعلاج والوقاية، فهي تختلف في أهدافها عن التربيات المخالفة للمنهج الإسلامي، حيث تهدف التربية الإسلامية إلى ما يأتـــي:

---

(١) انظر الغزالي، إحياء علوم الدين (٣/ ٢١).

١ ـ لأداء الواجبات:

من أبرز أهداف البناء الجسمي، ليكون قادراً على أداء الواجبات، والمستحبات الشرعية، مثل: أداء الصلوات والصيام والحج والجهاد في سبيل الله تعالى، والدفاع عن النفس والدين والمال والعرض.

فطلب الصحة يكون لأداء العبادات، والتقوى على ذلك، وكسب العيش وعمارة الكون، وقد علمنا المصطفى صلى الله عليه وسلم أن ندعو للمريض بالصحة إذا زرناه، حتى يعبد الله تعالى، فقال عليه الصلاة والسلام: (إذا جاء الرجل يعود مريضاً قال: اللهم اشف عبدك، ينكأ لك عدواً ويمشي لك إلى الصلاة)(١).

فطلب السلامة والصحة للمريض ليقوم بعبادة الله تعالى، ولايمنع من التمتع بالطيبات وبنعمة العافية، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٢).

ولكن المنهى عنه أن ينحرف الفرد عن هذا الهدف النبيل التعبدي، فيربي جسمه ليكون قادراً على انتهاك محارم الله تعالى، كالسطو على أموال الناس، أو الفتك بأعراضهم، أو ليباهي بجسمه وقوته الناس.

إن تربية الجسم وسيلة لغاية، قد تكون واجبة أو مستحبة أو محرمة أو مكروهة أو مباحة، فتأخذ الوسيلة حكم الهدف والغاية، لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

ولهذا فان الممارسات الرياضية النافعة كالسباحة والرماية وركوب الخيل، وما في حكمها، إذا كان باعثها شرعياً حَسُن الهدف، فهي مطلوبة، قال الشوكاني رحمه الله: "واللعب بالحراب ليس لعباً مجرداً، بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب، والاستعداد للعدو"(٣).

---

(١) أحمد (٢/ ١٧٢).

(٢) سورة الأعراف: آية (٣٢).

(٣) الشوكاني، نيل الأوطار.

٢ ـ لمقاومة الأمراض:

إن الجسم الضعيف أكثر عرضة للأمراض، لعدم قدرته على مقاومتها لأن الأمراض التي تلحق البدن"إما من سوء المزاج، بخروجه عن الاعتدال، وإما من فساد العضو، وقد يكون من ضعف القوى»[١].

وسبب ضعف القوى ناتج عن عدم العناية بغذاء البدن، إفراطاً أو تفريطاً، أو ناتج عن عدم الحركة، التي لها دور كبير في تنشيط البدن. يقول ابن جماعة: "ولا بأس بمعاناة المشي، ورياضة البدن، فقد قيل: أنه ينعش الحرارة، ويذيب الاخلاط، وينشط البدن"[٢] وهذا يؤكد أهمية الحركة لتقوية الجسم، وإذابة الفضلات، فيكون الجسم أكثر قدرة على المقاومة.

٣ ـ ليكون أكثر نشاطاً للعمل:

كلما كان الجسم قوياً نشيطاً، كان الإنسان أكثر قابلية وقدرة على العمل، خاصة إذا وافق ذلك همة عالية تدفعه إلى الكسب المعيشي وليقوم بما هو مكلف به من النفقة على نفسه، وعلى من تجب عليه نفقتهم كالأهل والأبناء، ولا يكون عالة على الناس، وليعف نفسه عن المسألة التي لا تحل إلا لثلاثة،كما جاء في الحديث، الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لقبيصة: (يا قبيصة! إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة، فحلت له المسألة حتى يصيبها، ثم يُمسك، ورجل أصابته جائحة، اجتاحت ماله، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش [أو قال سداداً من عيش] ورجل أصابته فاقة، حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش [أو قال سداداً من عيش] فما سواهن يا قبيصة سحتاً يأكلها صاحبها سحتاً)[٣].

---

(١) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي.

(٢) بدر الدين ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم.

(٣) مسلم (٢/ ٧٢٢) برقم (١٠٩-١٠٤٤).

فتقوية الجسم ليكون الإنسان أكثر قدرة على العمل أمر مطلوب، سواء كان ذلك بالعلاج، أو بالوقاية، أو بالإنماء والبناء.

٤ـ لتحقيق الصحة النفسية:

ينعكس نشاط الجسم وحيويته على نفسية المرء، فيشعر بالراحة النفسية، ويذهب عنه الملل والكآبة، فيكون الإنسان أكثر قابلية لأداء واجباته، وقد سابق النبي صلى الله عليه وسلم زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[(١)] وأيضاً لعب الأحباش بالحراب في مسجده صلى الله عليه وسلم[(٢)].

وقال ابن القيم "فلو لم يكن في النضال[(*)] إلا أنه يزيل الهم، ويدفع عن القلب، لكان ذلك كافياً في فضله، وقد جرب ذلك أهله"[(٣)] فجعل ابن القيم ازالة الهم من فضائل النضال.

ففي الرياضة قوة للبدن، وتنشيط للنفس، حتى تكون أكثر قابلية للعمل، وهذا يختلف باختلاف طبائع الناس، فمنهم ميال للحركة مبتهج بها، ومنهم لايأبه بها، وربما انزعج البعض منها.

ورشاقة الجسم واعتدال قوامه، لها انعكاس طيب على نفسية الشخص، بعكس بدانة الجسم المفرطة، فقد يكون لها أثر سلبي على نفسية الفرد، وربما ساهم ذلك في انطوائه. وقد اشارت بعض الدراسات إلى أن حجم الإنسان الجسدي له تأثير على الصحة النفسية، وكذا الأمراض العضوية[(٤)].

---

(١) مسلم (٢/٦٠٨) برقم (١٧-٨٩٢).

(٢) ابوداود (٣/ ٣٠) برقم (٢٥٧٨).

(*) النضال: هو الترامي بالسهام، يقال: انتضل القوم وتناضلوا: أي رموا للسبق، وناضله إذا راماه، وفلان يناضل عن فلان إذا رامى عنه وحاجج، وتكلم بعذره ودافع عنه. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥/ ٧٢).

(٣) ابن القيم، الفروسية، ص (٤٦).

(٤) فاخر عاقل، علم النفس التربوي، ص (٤٥٩-٤٦٣).

٥ ـ ليسعد الإنسان بالصحة والعافية:

إن سلامة الجسم وصحته تزيد من سعادة الإنسان، والمرض يجلب للإنسان الهم والألم، وقد بين صلى الله عليه وسلم أن الصحة في البدن من أسباب السعادة حيث قال عليه الصلاة والسلام: (من أصبح منكم معافى في جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)[١].

فمن أسباب السعادة "سعادة الإنسان في جسمه وبدنه، كصحته واعتدال مزاجه، وتناسب أعضائه، وحسن تركيبه، وصفاء لونه، وقوة أعضائه"[٢].

ولا شك أن للتربية البدنية، والأغذية أثراً كبيراً على الصحة البدنية، وقوة الجسم، ورشاقته، وسلامته.

وقد بيَّن صلى الله عليه وسلم، خطورة الإفراط في الأطعمه، وآثارها السلبية حيث قال عليه الصلاة والسلام: (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)[٣].

فالعناية بصحة الجسم، علاجاً، ووقايةً، وإنماءً، في حدود المنهج الإسلامي أمر مطلوب، لأنه يحقق للإنسان الصحة والسلامة من الأمراض، وليقوم بما أوجبه الله تعالى عليه في أمور دينه ودنياه.

---

(١) الترمذي (٤/٢٣٤٦) برقم (٢٣٤٦) وابن ماجه (٢/١٣٧٨) برقم (٤١٤١) واللفظ له.

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة.

(٣) الترمذي (٤/٥٠٩-٥١٠) برقم (٢٣٨٠) وأحمد (٤/١٣٢) واللفظ له.

المبحث الثاني
أحكام الألعاب الرياضية

إن التربية البدنية الرياضية والذهنية، من حيث الحكم الشرعي تنقسم إلى ما يلي:

١ـ قسم مباح:

هناك نوع من الألعاب ليس بمحبوب ولامسخوط، بل هو مباح لعدم المضرة الراجحة، كالسباق على الأقدام، والسباحة، وشيل الاحجار، والصراع ونحو ذلك.[١].

فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: (سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي ضمرت، فأرسلها من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوداع، فقلت لموسى: فكم كان بين ذلك؟ قال: ستة أميال أو سبعة، وسابق بين الخيل التي لم تضمر، فأرسلها من ثنية الوداع، وكان أمدها مسجد بني زريق، قلت: فكم بين ذلك؟ قال: ميل، أو نحوه، وكان ابن عمر ممن سابق فيها)[٢].

قال ابن حجر: "وفي الحديث مشروعية المسابقة، وأنه ليس من العبث، بل من الرياضة المحمودة، الموصلة إلى تحصيل المقاصد في الغزو، والإنتفاع بها عند الحاجة، قال القرطبي: لاخلاف في جواز

(١) ابن القيم، الفروسية، ص (١٧١).

(٢) البخاري (٢/ ٣٢٤) برقم (٢٨٧٠) واللفظ له، ومسلم (٣/ ١٤٩١-١٤٩٢) برقم (٥٩-١٨٧٠).

المسابقة على الخيل وغيرها من الدواب، وعلى الأقدام، وكذا الترامي بالسهام، واستعمال الأسلحة، لما في ذلك من التدرب على الحرب، وفيه جواز إضمار الخيل"[1].

والسبق والصراع ونحوهما طاعة إذا قصد به نصرة الإسلام. وأخذ السبق عليه أخذ بالحق، ويجوز اللعب بما قد يكون فيه مصلحة بلا مضرة.[2].

٢ـ قسم محرم:

ومن أنواع الرياضة قسم مبغوض مسخوط لله ورسوله، موصل إلى ما يكرهه الله تعالى ورسوله ﷺ كسائر المغالبات التي توقع العداوة والبغضاء، وتصد عن ذكرالله، وعن الصلاة، كالنرد والشطرنج وما أشبهها.[3].

ويدخل تحت هذا القسم ما كان فيه اختلاط بين الرجال والنساء، أو "شَغل عما أمر الله به، فهو منهي عنه، وإن لم يحرم جنسه، كالبيع والتجارة"[4] فهي ليست محرمة، ولكن إذا كانت بعد النداء الثاني من صلاة يوم الجمعة، فهي محرمة، باتفاق العلماء.[5] أو اشتملت على سلع محرمة.

ونظراً لكثرة الوسائل الرياضية، وتعددها، فيمكن وضع الضوابط التي يمكن أن يضبط بها الإنسان ممارساته الرياضية.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري.
(٢) عبد الرحمن العاصمي النجدي، حاشية الروض المربع،شرح زاد المستقنع، (٥/٣٤٧).
(٣) ابن قيم الجوزية، الفروسية.
(٤) عبد الرحمن العاصمي النجدي، حاشية الروض المربع، شرح زاد المستقنع (٥/٣٤٧).
(٥) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٩٢).

المبحث الثالث

ضوابط التربية الجسمية

قبل البدء في بيان الضوابط الشرعية للتربية البدنية، لابد أولاً من الإشارة إلى أن هناك فرقاً بين الضوابط والكبت، حيث إن الكبت هو استنكار الدوافع والغرائز، وعدم الإعتراف بها أو الإهتمام بها، أما الضوابط فعملية أخرى واعية، تصحح المسار والإتجاه.[1].

والإسلام لايكبت طاقات الإنسان ليئدها، وإنما ينظمها، لمصلحة الفرد والجماعة. وكل شيء يُراد استقامة أمره، وصلاح شأنه، لابد من ضبطه بضوابط تصحح مساره، وتنير له الطريق، حتى لا يستخدم الإنسان مايضره جرياً وراء الأهواء والشهوات والتقليد غير البصير. ولذلك لابد من تحديد ضوابط للتربية البدنية، في ضوء منهج التربية الإسلامية، وهـي:

١ ـ أن تكون الوسائل مباحة في ذاتها:

وهذا يعني أن لا تكون محرمة، أو مكروهة. ومن أمثلة الوسائل المباحة: السباحة، والسباق على الأرجل، وعلى الخيول، ومثل الأعلجة، والأطعمة غير المحرمة، وأما الوسائل الممنوعة فهي كل ما يؤدي إلى إزهاق الأنفس، أو الإضرار بها، سواء كانت رياضية، أو أطعمة، أو أعلجة.

---

(١) انظر محمد قطب،منهج التربية الإسلامية، ص (١/ ١١٣).

ومن أمثلة ذلك ألعاب الملاكمة[1] ومن الأطعمة كأكل لحم الخنزير، ومن الأشربة كالخمر.

٢ ـ أن لا تكون مفضية إلى محرم أو مكروه:

أي لا تكون وسائل التربية الجسمية مؤدية إلى مكروه أو محرم. فقد تكون الوسيلة مباحة في ذاتها، لكنها تؤدي إلى محرم، أو تجر إلى مكروه، مثل:

أ ـ أن تؤدي إلى ضياع الواجبات، والمندوبات، كتضييع الصلاة، أو تأخيرها عن وقتها، أو تفويت السنن، فإن أدت إلى تضييع الواجبات أصبحت محرمة، وإن أدت إلى تضييع السنن أصبحت مكروهة، لما نجم عنها، وليس لذاتها. "فإنه إذا كان ذريعة إلى ممنوع صار ممنوعاً، من باب سد الذرائع، لامن جهة كونه مباحاً"[2] لأنه قد يتعلق بالمباح ـ في سوابقه أو لواحقه أو قرائنه ـ ما يصير به غير مباح.[3].

ب ـ أن تؤدي إلى التباغض والشحناء والعداوة، لأن من فروع قاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد "النهي عن كل ما يُحدث العداوة والبغضاء"[4].

ج ـ أن تؤدي إلى إلحاق الضرر بجسم الإنسان، أو إزهاق الأنفس، سواء كانت بأمور رياضية، أو بأطعمة عُرف عنها الضرر، أو أنها تقوي البدن، لكن يتضرر بها البعض لوجود عدم قابلية جسمه لها. أو أدوية تُعطي قوة للبدن، لكن تتضرر بها بعض الأجسام، ولاتتقبلها، فإنها في حق من يتضرر بها ممنوعه.

---

(١) انظر قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي، في دورته العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤-٢-١٤٠٨هـ إلى يوم الأربعاء ٢٨-٢- ١٤٠٨ هـ.

(٢) الشاطبي، الموافقات، (١/ ٧٩-٨٠).

(٣) المرجع السابق، (١/ ٨٠).

(٤) عبد الرحمن ناصر السعدي، القواعد والأصول الجامعة، ص (١٥).

٣ ـ أن لا يخالط الوسيلة أمر محرم أو مكروه:

حيث قد تكون الوسيلة مباحة في ذاتها، ولكن يخالطها أمر محرم، أو مكروه، مثل:

أ ـ أن يكون في الألعاب المباحة اختلاط بين الرجال والنساء.

ب ـ أن تكون المسابقات الرياضية بعوض، لأن هذا لايجوز إلا بين الخيل والإبل والرمي[١] لقوله ﷺ: (لاسبق إلا في خف أو نصل أو حافر)[٢].

أما فيما عداه فيجوز السبق بدون عوض "للإجماع على جواز المسابقة بغير عوض في غير هذه الثلاث»[٣].

ج ـ أن يتضمن عقد المسابقة شروطاً فاسدة، نحو جهالة المركوب، أو الرماة، أو نحو ذلك[٤].

د ـ أن لا تتوفر الشروط الواجب مراعاتها في المسابقة بين الخيل، والإبل، والرمي بعوض[٥].

هـ ـ أن تؤدي إلى إهدار الوقت، فيما لامصلحة فيه، وذلك أن الإنسان مسؤول عن وقته أولاً، ولأن إهدار الوقت فيه تضييع لمصلحة الإنسان ثانياً، قال ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)[٦].

---

(١) ابن قدامه، المغني، (١١/ ١٢٧).
(٢) أحمد (٣/ ١٠٨).
(٣) ابن قدامه المغني، (١١/ ١٢٩).
(٤) انظر المرجع السابق، (١١/ ١٣٢).
(٥) انظر الشرح الكبير، على المغني (١١/ ١٣١-١٣٤).
(٦) سبق تخريجه، ص (٣).

٤ ـ أن تكون التربية الجسمية وسيلة لغاية:

وليست غاية لذاتها، فتكون التربية الجسمية وسيلة لهدف مباح أو مستحب، أو واجب، ولا يجعلها هدف وغاية في ذاتها، أو لأهداف مكروهة أو محرمة.

المبحث الرابع

وسائل التربية البدنية

إن التربية الجسمية في مفهومها الصحيح لا تتقوقع وتنحصر في التربية الرياضية فقط، بل هي أوسع وأعم من حصرها في زاوية التربية الرياضية، إذ إن التربية الجسمية بمفهومها الواسع تشمل حفظ قوام الجسم، بتنميته، ووقايته وعلاجه، وهذا يتطلب الإهتمام بالأمور التالية:

١ - حفظ الجسم بوقايته من الأمراض.

٢ - حفظه بعلاجه من الأمراض.

٣ - حفظه بالتنمية الغذائية.

٤ - حفظه بوقايته من الأطعمه والأشربة الضارة.

٥ - حفظ الجسم بالحركة والعمل.

٦ - حفظه بوقايته من الأعمال الحركية الضارة.

٧ - حفظه بنظافته، ونظافة المكان والبيئة.

وبالإستقراء يمكن تلخيص أقسام وسائل التربية البدنية إلى الأقسام التالية:

أ ـ وسائل وقائيـــة.

ب ـ وسائل انمائية.

ج ـ وسائل علاجية.

أولاً: الوسائل الوقائيــة:

يقصد بها الوسائل التي تقي الإنسان إتلاف، أو إضعاف جسمه كلاً، أو بعضاً، أو إعاقته عن أداء دوره الفعلي المعتاد. والوسائل الوقائية متعددة، بعضها نظري معرفي، وبعضها عملي، ويمكن ذكر نماذج منهما فيما يلي:

١ ـ أن يتعرف المرء على ما يضره وما ينفعه من الأطعمة، والأشربة[١] ونحو ذلك.

٢ ـ أن يتعرف على سُبل الوقاية من الأمراض، مثل أخذ التحصينات اللازمة ضد الأمراض والأوبئة، ومثل: عدم الإرهاق والسهر الممرض، أو مثل: الإفراط في الراحة أو الإسراف في أكل الأطعمة، قال ﷺ: (ما ملأ آدمي وعاءً شر من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لامحالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لِنَفَسِه)[٢].

٣ ـ التعرف على المحرمات مما يعتقد أنها أعلجة أو مقوية للجسم، ومنشطة له، والحذر من استخدامها، فهي وإن سميت أدوية فإنها داء، كما قال ﷺ، لمن يصنع الخمر للعلاج، . .فإن طارق بن سويد الجُعفي (سأل النبي ﷺ عن الخمر؟ فنهاه أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: "إنه ليس بدواء ولكنه داء")[٣].

وقد حرم الإسلام جميع الخبائث، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[٤].

٤ ـ الإهتمام بنظافة البدن، بالإغتسال والسواك، ونحو ذلك، وقد أثنى الله تعالى على أهل قباء لطهارتهم، قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى

---

(١) انظر كتاب الأشربة، للإمام أحمد بن حنبل.

(٢) الترمذي (٤/ ٥٠٩-٥١٠) برقم (٢٣٨٠) ، وأحمد (٤/ ١٣٢) واللفظ له.

(٣) مسلم (٣/ ١٥٧٣) برقم (١٢-١٩٨٤).

(٤) سورة الأعراف: آية رقم (٣٣).

ﭐلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[1].

وقال النبي ﷺ: (يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم خيرا في الطهور، فما طهوركم هذا؟ قالوا: يارسول الله، نتوضأ للصلاة والغسل من الجنابة، فقال رسول الله ﷺ: هل مع ذلك غيره؟ قالوا: لا، غير أن أحدنا إذا خرج من الغائط أحب أن يستنجي بالماء، قال: هو ذاك)[2].

٥ - الإهتمام بنظافة البيئة المحلية كالمنزل والمسجد والمدرسة وما فيها من وسائل وأدوات، ومثل الظلال والمياه، لأن في ذلك وقاية من الأمراض التي قد تحدث بسبب قلة النظافة في تلك الأماكن وغيرها، وقد عني الإسلام بنظافة البيئة المحلية عناية فائقة، تُؤكدها الأحاديث التالية:

- ففي العناية بالطرق، والظلال التي يستظل تحتها الناس، نهى النبي ﷺ عن التخلي فيها، فقال عليه الصلاة والسلام: (اتقوا اللَّعَّانَيْن،قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس، أو في ظلهم)[3].

قال الإمام النووي رحمه الله في المقصود باللعانين: أي صاحبي اللعن وهما اللذان يلعنهما الناس في العاده، والله أعلم. وقال الخطابي وغيره من العلماء: المراد بالظل هنا، مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلاً، ومناخاً ينزلونه، ويقعدون فيه، وليس كل ظل يحرم القعود تحته، فقد قعد النبي ﷺ تحت

---

(١) سورة التوبة: آية رقم (١٠٨).

(٢) الحاكم (١/ ١٥٥) وقال هذا حديث كبير صحيح في كتاب الطهارة، ووافقه الذهبي في التلخيص. وانظر تفسير ابن كثير عن تفسيره للآية (٢/ ٤٠٣).

(٣) مسلم (١/ ٢٢٦) برقم (٦٨-٢٦٩).

حايش النخل لحاجته، وله ظل بلا شك، والله أعلم. وأما ما نهى عنه في الظل والطريق لما فيه من إيذاء المسلمين، بتنجيس من يمر به، ونتنه واستقذاره، والله أعلم[1].

- قال ﷺ في نظافة الإناء إذا ولغ فيه الكلب: (طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب، أن يغسله سبع مرات، أولاهن بالتراب)[2].

- وفي العناية بالمياه، ونظافتها، وعدم تلويثها، أنه ﷺ: (نهى أن يُبال في الماء الراكد)[3].

فالبول فيه منهي عنه، سواء أراد الإغتسال فيه، أو منه، أم لا. أما الدائم فهو الراكد[4].

٦ - وقاية الإنسان بالأدعية الشرعية، كقوله ﷺ: (من قال في يومه أو في ليلته بسم الله الذي لايضر مع إسمه شيء في الأرض ولا في السماء، هو السميع العليم ثلاث مرات، لم يضره شيء في ذلك اليوم، أو في تلك الليلة) وفي رواية أبي داود (لم تصبه فجأة بلاء)[5].

وفي هذا الدعاء وغيره من الأدعية النبوية ما يحفظ الإنسان في بدنه، وفي أموره، ويقيه شروراً كثيرة.

٧ - وقاية الإنسان من البدانة الجسمية بالتربية الرياضية العضلية التي تبُدد الدُهنيات والسكريات، التي تتحول إلى شحوم، فتسبب العديد من الأمراض[6].

---

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ١٦٢).

(٢) مسلم (١/ ٢٣٤) برقم (٩١-٢٧٩).

(٣) مسلم (١/ ٢٣٥) برقم (٩٤-٢٨١).

(٤) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، (٣/ ١٨٧).

(٥) أحمد (١/ ٦٦) ورواه أبو داود (٥/ ٣٢٤) برقم (٥٠٨٨) وقال الألباني: صحيح، صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٣٢).

(٦) انظر كتاب: أساسيات علم الحيوان، لتراس ى. ستور وآخرون، ترجمة محمد عبد الواحد سليمان وآخرون، ص (١١٩).

٨ ـ وقاية الإنسان بالبعد والتحرز من الأمراض المعدية، قال ﷺ: (لايُوردن مُمرض على مُصح)[١] وقال ﷺ في مرض الجذام: (لاعدوى، ولاطيرة، ولا هامة، ولا صفر، وفر من الجذوم فرارك من الأسد)[٢] فالوقاية مطلوبة، والتوكل على الله تعالى مطلوب، ولا تعارض في الحديثين، فلا عدوى إلا بقدر الله تعالى، فالتوكل على الله والثقة به يمنع تأثير ذلك السبب المكروه ولأنه لا يقدر كل أحد من الأمة على هذا، أرشدهم ﷺ إلى مجانبة سبب المكروه والفرار والبعد منه[٣].

ثانياً: الوسائل الإنمائية:

إن الإهتمام بالتربية الجسمية ليس محصوراً في الجانب الوقائي فقط، بل هناك وسائل تساعد على حفظه وزيادة طاقته ونشاطه، مثل: الغذاء الجيد، وممارسة الرياضة المحمودة المشروعة، وإعطاء الجسم حاجته من الراحة، حتى ينمو ولايفتر ويمرض، وهذه بعض الوسائل الإنمائية:

١ ـ التغذية الجيدة:

إن لكمية الغذاء ونوعيته أثر كبير على نمو الجسم، وزيادة قوته ونشاطه، وأن عواقب الإفراط أو التفريط في التغذية سيئة جداً على بنية الجسم، ونشاطه وحيويته فلابد من مراعاة الإعتدال في ذلك.

٢ ـ الراحة الجسمية:

لاشك أن الإرهاق والعمل المضني الذي يفوق طاقة الإنسان، يؤدي إلى انهيار جسمه، لفقده كمية كبيرة من الغذاء، وبالتالي يفقد حيويته ونشاطه، وكذلك التواني والميل للراحة الزائدة عن حاجة الجسم، تؤدي

---

(١) البخاري (٤/ ٥٠) برقم (٥٧٧١).

(٢) البخاري (٤/ ٣٧) برقم (٥٧٠٧).

(٣) انظر ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٧٢).

إلى إضعافه، وعدم قدرته على تحمل أدنى المشاق، "فالذي يُسرف في إمتاع الجسم بالراحة، لايشعر بمزيد من الراحة، كما يبدو لأول وهلة، بل يصيبه الكسل المضجر الممل نوعاً من العذاب"[١] النفسي، وأما الإعتدال في ذلك، فهو الأساس للنشاط والحيوية، وقد بين ﷺ، حق الجسد من الراحة، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: (دخل عليَّ رسول الله، فقال: ألم أخبر أنك، تقوم الليل وتصوم النهار؟ قلت: بلى، قال فلا تفعل، قم ونم، وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقا...)[٢].

٣ ـ ممارسة الرياضة المشروعة:

وكما أن الجسم يحتاج إلى الغذاء حتى يصح وينمو، فإنه في حاجة للحركة والنشاط، لأنه يَبْقَى من الغذاء عند كل هضم بقية ما، إذا كثرت على مر الزمان؛ اجتمع منها شيء له كمية وكيفية، فيضر بكميته، بأن يسد ويثقل البدن، ويوجب الإحتباس الأمراض، وأما إن اسْتُفرِغ بالأدوية، تأذى البدن بالأدوية، ولكن الحركة أقوى الأسباب في منع تولدها، فإنها تسخن الأعضاء، وتسيل فضلاتها، فلا تجتمع على طول الزمان، ويعود على البدن الخفة والنشاط، ويجعله قابلاً للغذاء، ويُصلب المفاصل، ويقوي الأوتار، والرباطات، ويؤمن جميع الأمراض المادية وأكثر الأمراض المزاجية إذا استعمل القدر المعتدل منه في وقته[٣].

وأي عضو كثُرت رياضته قوي، فرياضة المشي وركوب الخيل ورمي النشاب والصراع والمسابقة على الأقدام فهي رياضة للبدن كله، وهي قالعة للأمراض المزمنة[٤].

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، (١/١٠٩).

(٢) البخاري (٤/١١٥-١١٦) برقم (٦١٣٤).

(٣) ابن القيم، الطب النبوي ص (١٩١-١٩٢) د.حسن الحجاجي، الفكر التربوي عند ابن القيم، ص (٣٦٨).

(٤) حسن الحجاجي، الفكر التربوي عند ابن القيم، ص (٣٦٩).

ثالثاً: الوسائل العلاجية:

قد لا يأخذ الإنسان بالوسائل الوقائية والإنمائية، فيحتاج إلى الوسائل العلاجية وقد يأخذ بهما ولكنه يحتاج أيضاً للوسائل العلاجية، فهي وسيلة لاغنى للإنسان عنها وعن معرفة أهميتها، وأنواعها.

والله سبحانه وتعالى ما أنزل داء إلا وأنزل له دواء، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (ما أنزل الله داء، إلا أنزل له شفاء)[١].

وقد اهتمت التربية الإسلامية بالوسائل العلاجية،كما يتضح مما يلي:

١ ـ العلاج بالأدوية:

حث الإسلام على الأخذ بالأسباب العلاجية، حيث أن الله تعالى ما أنزل داء، إلا وأنزل معه دواء،كما ثبت في الحديث السابق ذكره. والبحث عن العلاج لاينافي التوكل، قال ابن حجر: "والتداوي لاينافي التوكل،كما لاينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب"[٢] وفقد دل النبي ﷺ أمته على الكثير من الأدوية العلاجية،كالحجامة، والعسل والحبة السوداء، وغيرها مما أثبتته كتب السُّنَّة عن النبي ﷺ، وقد أفرد بعض العلماء كتباً في مصنفاتهم عن الطب النبوي[٣].

٢ ـ العلاج بالرقية:

لقد دل النبي ﷺ أمته على الرقية بالقرآن الكريم، والأدعية النبوية، وقد كان ﷺ ينفث على نفسه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه ـ في المرض الذي مات فيه ـ بالمعوذات،

---

(١) البخاري (٤/ ٣٢) برقم (٥٦٧٨).

(٢) ابن حجر، فتح الباري، (١٠/ ١٣٥).

(٣) انظر كتاب الطب النبوي،لابن القيم،وكتاب الطب في كتب الحديث،كصحيح البخاري،وغيره.

فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيده نفسه لبركتها)[1].

وهذا الحديث لا يدل على حصر التعوذ في هاتين السورتين، بل يدل على الأولوية ولاسيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما، وقد أجمع العلماء على الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

أ ـ أن يكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته.

ب ـ وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.

ج ـ أن يعتقد أن الرقية لاتؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى[2].

وبهذا يتبن أن للجسم أهمية كبيرة، إذ به تؤدَّى الواجبات والمستحبات، وعليه يتوقف نشاط الإنسان وسكونه، وهو الذي يُعَول عليه في العمل والبناء الحضاري، ولكن بعض الناس حاد بهذا البدن عن جادة الطريق وعما خُلِق من أجله، فأفرط في العناية به تاركاً الجوانب الروحية، يجري وراء شهواته وملذاته، ويسعى لتقويته وتنشيطه على حساب وقته وعبادته، وربما سلك به المحرمات.

والإسلام اهتم بالإنسان جسماً وروحاً، ووازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، ووضح للإنسان الهدف من البناء الجسدي، وبَيَّنَ له سُبُل العناية بهذا البدن وقاية وعلاجاً وإنماءً، وبَيَّنَ ما يضر هذا البدن ويؤول به إلى التهلكة، وحذره من استخدامه في ما حرم الله تعالى، وأنه سيكون شاهداً عليه يوم يقوم الأشهاد، كما رسم له طريق الخير والفلاح.

وقد تناول هذا الفصل أهمية وأهداف البناء الجسمي، وضوابط التربية البدنية، ووسائل البناء الجسمي، وأحكام الألعاب الرياضية، بما يُعطي الإنسان رؤية واضحة عن عناية التربية الإسلامية بالبناء الجسمي وفق ضوابط وأصول شرعية.

---

(١) البخاري (٤/ ٤٢-٤٣) برقم (٥٧٥٣).

(٢) ابن حجر، فتح الباري، (١٠/ ١٩٥) وانظر كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص (١٢٤-١٣٢).



الباب الثالث

أصول التربية الإسلامية

الفصل الأول : الأصول المرجعية

الفصل الثاني : الأصول المنهجية

الفصل الثالث : الأصول الميدانية

الفصل الرابع : الأصول الأسلوبية



التمهيد:

الأصل هو ما يعتمد عليه غيره، ولا يقوم المتعلق به إلا عليه.

والتربية تعتمد على أصول لا تقوم إلا عليها وبها، وهي:

- الأصول المرجعية.
- الأصول المنهجية.
- الأصول الميدانية.
- الأصول الأسلوبية.

فلا يمكن لأي تربية أن تنطلق وتنبثق من فراغ، وإنما تنبجس وتتوجه من خلال مصادر مرجعية تستمد منها أهدافها، وأفكارها ومعتقداته. والأصول المرجعية للتربية الإسلامية هي: القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية، وسيرة الصحابة ومنهجهم التربوي، وكذلك جهود العلماء المسلمين.

كما أن التربية تعتمد في التنفيذ على منهجية وأسس بدونها لا تُؤتي ثمارها، ولا تحقق أهدافها، وهي ركائز العملية التربوية وأسسها، والتي أسميناها الأصول المنهجية.

ثم إن التربية تحتاج إلى ميادين تنفذ فيها الأهداف والتطلعات، وبدون هذه الميادين لا تقوم التربية، وبانحرافها ينحرف مسار التربية، والأصول الميدانية للتربية الإسلامية هي: الأسرة والمسجد والمدرسة.

ولكي تؤدي هذه البيئات التربوية مهامها بما يحقق أهدافها فإنها

مفتقرة للأسلوب التربوي الذي تُنَشِّئ به الناشئة، وتُصلح به السلوك، وتغرس به العقيدة، والعبادات الإسلامية، وهذه الأساليب هي: القدوة، والترغيب والترهيب، والقصة، والعقاب.

فبهذه الأصول تستطيع التربية أن تحقق أهدافها العقدية والتعبدية، والعلمية، والخُلُقية، والمهنية، وغيرها من الأهداف.

وبيان هذه الأصول في الفصول التالية:

الفصل الأول
الأصول المرجعية

المبحث الأول : القرآن الكريم

المبحث الثاني : السُّنَّة النبوية

المبحث الثالث : سيرة الصحابة

المبحث الرابع : جهود العلماء المسلمين



المبحث الأول

القرآن الكريم

إن التربية الإسلامية لا تعتمد في توجيهاتها على الأهواء، أو الآراء في معزلٍ عن الشرع، وإنما لها مصادر تحكمها، حتى تكون في حدود ما أمر الله تعالى به، وتحقق مقاصد الشريعة، ويسعد من اتبعها في الدنيا والآخرة، وفي مقدمة هذه الأصول المرجعية القرآن الكريم.

فلقد بلغت قريش من الفصاحة اللفظية، والبلاغة البيانية، منزلة رفيعة المستوى، يشهد لها بذلك الأساليب البلاغية والمحسنات البديعية التي احتواها الشعر والنثر المنقول عنهم، حتى أصبح حُسن البيان وفصاحة الكلام طبيعة من طبائعهم، يجري على ألسنتهم بلا تكلف وتصنع.

ولكن عندما سمعوا القرآن انبهرت عقولهم أمامه، وتحداهم المولى عز وجل بأن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا وتعاونوا، جنهم وإنسهم، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1] وتظهر المعجزة في تحدي القرآن لهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، أو بسورة واحدة، تدليلاً على ما انطوى عليه القرآن الكريم من الإعجاز البلاغي العظيم، الذي لايدانيه فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء ولو اجتمعوا، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2]وقال تعالى: ﴿أَمْ

---

(١) سورة الإسراء: آية رقم (٨٨).

(٢) سورة هود: آية رقم (٦٣).

﴿يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[١].

وهذا درس تربوي عظيم لهم، بإقامة الحجة عليهم، وإثبات عجزهم، فلا مناص من اتباع أوامره، إن أرادوا الفوز والفلاح.

وقد اشتمل القرآن الكريم على كل ما ينمي الفرد والمجتمع على الخير، وما يصلح حياتهم وينظم شؤونهم ويحقق سعادتهم في الدنيا والآخرة، ويبعدهم عن الشرور، وعن المثبطات، والمعوقات، ومن ذلك ما يلي:

أ ـ التربية الخُلُقية:

إن القرآن الكريم كله أخلاق، يربي الإنسان على الفضائل، ويبعده عن الرذائل، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

القول الحسن: قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾[٢] فالله تعالى يأمر عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإنه عدو لآدم وذريته، من حين امتنع عن السجود لآدم. وعداوته ظاهرة بينة، ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة، فإن الشيطان ينزغ في يده، أي فربما أصابه بها[٣].

الصدق: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٤].

---

(١) سورة يونس: آية رقم (٣٨).

(٢) سورة الإسراء: آية رقم (٥٣).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٩).

(٤) سورة التوبة: آية رقم (١١٩).

التواضع: قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾(١).

العفة والاحتشام: قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾(٢).

التثبت: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٣).

الإستئذان: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٤).

ب ـ تربية الحواس:

إن تربية العقل والحواس في المنهج الإسلامي، بهدف توضيفها فيما خُلقت له، وليسير العقل في ظل التوجيهات الإسلامية، من جهة، ومن جهة أخرى، ليستخدم هذا العقل فيما يعود عليه بالنفع، وتشغيله وعدم تعطيله، بعكس التربيات الأخرى، التي كانت بين إفراط وتفريط، فالبعض ترك للعقل عنانه، دون ضابط يضبطه، فكان أمرها فرطاً، وبعضها عطل العقل والحواس فكان أمرها خُسْرَى. ويمكن إيضاح ذلك فيما يلي:

١ ـ الدعوة إلى استخدام الحواس:

عنت التربية الإسلامية عناية فائقة بالحواس، ضبطاً وتنميةً، حتى تؤدي وظيفتها على أحسن ما يكون، ففي مجال التثبت والتحقق، فإنه يحذر على المسلم أن يقول: سمعت وهو لم يسمع، أو يقول: رأيت وهو

---

(١) سورة لقمان: الآيتان رقم (١٨ ـ ١٩).
(٢) سورة النور: آية رقم (٣٠).
(٣) سورة الإسراء: آية رقم (٣٦).
(٤) سورة النور: آية رقم (٢٧).

لم ير، وعلمت وهو لم يعلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1] قال قتاده: لاتقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك[2].

واستخدام الحواس لهدف وغاية، منها أن يتيقن الشاك بأن هناك خالقاً، أوجد هذه المخلوقات، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[3].

ولقد ذم الله تعالى أولئك الذين لايستخدمون حواسهم فيما ينفعهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ * أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[5].

٢ ـ العلاقة بين الظاهرة ومسبباتها:

إن الربط بين الظاهرة ومسبباتها له تأثير عميق، يقود المتدبر والمتأمل إلى استشعارعظيم قدرة الله تعالى، مما يولد الخشية، ويزيد من الإيمان بالله عز وجل، وهناك بعض الآيات التي توضح ذلك، منهاكيف يسوق الله تعالى الرياح لتلقح السحاب لينزل المطر، في حين كم من سحابة تعلو في السماء ولاتمطر، فتأمل قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

(١) سورة الإسراء: آية رقم (٣٦).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٥٣٨).

(٣) سورة الغاشية: الآيات (١٧ ـ ٢٠).

(٤) سورة الاعراف: آية رقم (١٧٩).

(٥) سورة الحج: آية رقم (٤٦).

﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾[1].

قال السعدي ـ رحمه الله تعالى: أي سخرنا الرياح، رياح الرحمة تلقح السحاب كما يلقح الذكر الانثى، فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله تعالى، فيسقيه الله تعالى العباد ومواشيهم وأراضيهم، ويبقى في الارض مدخراً لحاجتهم، وما هو مقتضى قدرته ورحمته[2].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3] أي من قدرته على اعادة بعث الموتى أنك تشاهد الأرض لا نبات فيها، بل هي ميتة، فإذا نزل الماء أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار[4].

فتأمل ظاهرة خروج الزروع والثمار، بسبب نزول الماء من السماء، فمن ربط الأسباب بمسبباتها، وأوجد هذه العلاقة، فإذا تأملت وشاهدت ذلك بحواسك، وعلمت قدرة الله تعالى، فاعلم أنه قادر على إعادة الموتى لحالتهم قبل الموت، إنه على كل شيء قدير.

٣ـ التفكير الصحيح:

إن القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التفكر والتأمل الصحيح، فانظر إلى الآيات التى تنتهي بقوله تعالى: (أفلا يتدبرون) (أفلا يتفكرون) تجد أنها كثيرة جداً، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[5]وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[6].

---

(١) سورة الحجر: الآيتان رقم (٢٢ ـ ٢٣).
(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٣/ ٣٣).
(٣) سورة فصلت: آية رقم (٣٩).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ١١٠).
(٥) سورة النساء: آية رقم (٨٢).
(٦) سورة محمد: آية رقم (٢٤).

فلو تدبر الإنسانُ القرآن الكريم تدبراً صحيحاً، لتيقن كل مرتاب وشاك، أن هذا من عند رب العالمين، ولأصبح الأمر لديه يقيناً لاريب فيه.

وتأمل هذه الآيات الكريمات:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

أثر القرآن الكريم على النفس الإنسانية:

إن للقرآن الكريم تأثيراً عظيماً على مستمعه، فيربيه على ما فيه سعادة الدنيا والآخرة، وهذا التأثير البالغ يدل على أنه معجزة ربانية، ومن ذلك صنيعه في القلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لاتسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع، خلص له إلى القلب من لذة وحلاوة[4].

والقرآن الكريم شفاء لما في الصدور، من أمراض الشهوات والشبهات، وقد أسلم الكثير لسماعهم القرآن الكريم، تأثراً به، وأما من جفا عنه ممن سمعه فهو مكابر معاند، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ إسلام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ:

خرج عمر بن الخطاب متوشحاً سيفه ليقتل رسول الله ـ ﷺ ـ فلما عَرَّج على بيت أُخته فاطمة بنت الخطاب ليردها عن الإسلام قرأ عندها قوله تعالى: ﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ فلم يلبث أن آمن قائلاً: دلوني على محمد[5].

---

(١) سورة الأنعام: آية رقم (٥٠).

(٢) سورة الاعراف: آية رقم (١٧٦).

(٣) سورة الحشر: آية رقم (٢١).

(٤) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن (٢/ ١٢١).

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨).

فتأمل أثر القرآن الكريم على النفس الإنسانية لمن تدبره، فإنه يغير سلوك الإنسان، ويربيه.

٢ ـ إسلام مطعم بن جبير:

قال جبير بن مطعم: (سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير للإسلام)(١).

فتأمل في تلك الآيات إثبات الخلق والرزق بأسلوب الحصر والتقسيم، فحصر خلق الإنسان في ثلاثة، والسبر الصحيح يبطل اثنين منها، ويصحح الثالث، أي أَوُجِدُوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم ؟ فلا هذا ولا هذا، فانحصرت الإجابة في أن الله تعالى هو المُوجِد لهم، وبذلك يُلجم الجاحد المكذب، بلجام الحجة الدامغة.

٣ ـ تأثر واعتراف وتكبر الوليد بن المغيرة:

إن الذين سمعوا القرآن ولم يؤمنوا به، قد تأثروا واعترفوا به، ولكن حال بينهم وبين الإيمان به الكبرياء، ومن أولئك الوليد بن المغيرة، فقد قيل له: قل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، وأنك كاره له، قال الوليد: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول: حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، ومغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال أبو جهل: لايرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني أُفكر، فلما فكر، قال: هذا سحر يؤثر عن غيره، فنزلت الآيات: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى آخر الآيات التي في الوليد(٢).

---

(١) البخاري (٣/٢٩٧-٢٩٨) برقم (٤٨٥٤).

(٢) الحاكم (٢/٥٠٦-٥٠٧) وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه.

٤ ـ اعتراف عتبة:

قال عتبة بن ربيعة: إني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها بي، وخلُّوا بين الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تُصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله، يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم[١].

من أساليب القرآن التربوية:

١ ـ التدرج:

ان التدرج سمة من سمات التربية الإسلامية إذا تطلب الأمر ذلك، فالقرآن الكريم نزل منجماً، وأول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس نزل الحلال والحرام، كما قالت ام المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ في نزول القرآن: (أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الاسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً)[٢].

قال ابن حجر: أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك نزلت الأحكام، وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف[٣].

بل إن بعض العبادات نزل التكليف بها تدرجاً كالصوم مثلاً، ففي أول

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٣١٣ ـ ٣١٤).
(٢) البخاري (٣/ ٣٤٠) رقم (٤٩٩٣).
(٣) ابن حجر، فتح الباري (٩/ ٤٠).

الإسلام ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء، في قول ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاثة أيام ويوم عاشوراء، ثم نسخ في هذه الأمة بشهر رمضان، وقال معاذ بن جبل: نسخ ذلك بأيام معدودات، ثم نسخت الأيام برمضان[1].

والنهي عن المحرمات والمكروهات لم يأتِ دفعة واحدة، ومن أبرز تطبيقات التدرج العلاجية، ما نزل في تحريم الخمر، على ما سيأتي إيضاحه، في مكانه المناسب من البحث.

٢ ـ العبـرة:

إن للعبرة تأثيراً تربوياً على النفس البشرية، وذلك لما لها من إيقاع على الحس، وإثارة للتأمل، والاتعاظ. والعبرة أُسلوب قرآني عظيم، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[2] أي يسري كل إلى موطنه إذا نضج الغذاء في معدته، فينصرف منه دم للعروق، ولبن الى الضرع، وبول إلى المثانة، وروث إلى المخرج، وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجه بعد انفصاله عنه، ولا يتغير به، فيخرج من بين ذلك لبناً خالصاً لا يغص به أحد[3].

٣ ـ ضرب الأمثال:

من الأساليب التربوية القرآنية؛ ضرب الأمثال للإتعاظ، والتبصر، والتدبر، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٨٥).

(٢) سورة النحل: آية رقم (٦٦).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٩٦).

(٤) سورة الجمعة: آية رقم (٥).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[1].

٤ ـ القصص:

إن القرآن الكريم مليء بالقصص التي توضح أحوال الأمم السابقة، وبعض قصص الأنبياء مع أقوامهم: كنوح وإبراهيم وموسى عيسى. عليهم السلام. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾[3].

٥ ـ التربية بالثواب والعقاب:

إن القرآن الكريم يُربي في القارئ المتدبر الشعور بمسؤولية مايقوم به من خير أو شر، حتى يتيقظ لمايقوم به، ويحاسب نفسه، قبل أن يحاسب، وذلك من خلال ربط الجزاء بالعمل، قال تعالى: ﴿فَمَن ٱلْبَيِّنَةُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[4]. **يعمل**

(١) سورة الحج: آية رقم (٧٣).
(٢) سورة يوسف: آية رقم (٣).
(٣) سورة طه: آية رقم (٩٩).
(٤) سورة الزلزلة: الآيتان رقم (٧ ـ ٨).

المبحث الثاني

السُّنَّة النبوية

السُّنَّة في الدلالة اللغوية هي: "الطريقة، والسُّنَّة السيرة، حميدة كانت أو ذميمة"[1].

والسُّنَّة النبوية في الإصطلاح الشرعي هي: "ما صدر عن النبي ﷺ من غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير"[2].

والتوجيهات القرآنية تأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، واتباع أوامره، واجتناب ما نهى عنه، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[4].

وهذه الطاعة واجبة قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[5] وأما ثواب طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فيتجلى في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[6].

---

(١) الفيومي، المصباح المنير (١/٣٩٦ - ٣٩٧).

(٢) الشوكاني، ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص (٣٣).

(٣) سورة التغابن: آية رقم (١٢).

(٤) سورة الحشر: آية رقم (٧).

(٥) سورة الأحزاب: آية رقم (٣٦).

(٦) سورة النساء: آية رقم (٦٩).

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خير قدوة للبشرية، في جميع الأمور، فقد اتصف بصفات كريمة حميدة، وجاء هادياً ومبشراً ونذيراً وسراجاً منيراً، فقدم للبشرية أحسن الوسائل التربوية وأنبلها، وأعظمها تأثيراً، قال تعالى: في وصفه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وقد اعتنى المسلمون بسنته وسيرته العطرة التي تضمنت أفضل الصفات في الأقوال والأفعال، فقد كان ﷺ من أكمل الناس تربية ونشأة، ولم يزل معروفاً بالصدق والبر ومكارم الأخلاق والعدل، وترك الفواحش والظلم، وكل وصف مذموم، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة، ومن آمن به، ومن كفر به بعد النبوة، ولا يُعرف له شيء يُعاب به لا في أقواله ولا في أفعاله، ولا في أخلاقه، ولا جُرِّبَ عليه كذب قط، ولا ظلم ولا فاحشة[2].

وقد وصفه الله تعالى بأجمل الصفات، وهي الأخلاق، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3] قال الشنقيطي - رحمه الله: وقد أُجمل الخُلُق العظيم هنا، وهو من أهم ما امتدح الله به رسوله ﷺ في كتابه[4].

ومن كانت تلك سجاياه فحري بأُمته أن تقتدي وتتأسى به، وتقتفي أثره، وأن تتربى بسنته وسيرته وشمائله، وجدير بهم أن يربوا من لهم حق الرعية والولاية عليهم على الإقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم، متبعين أُسلوبه وسلوكه ومنهجه في تربيته لأهل بيته وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) سورة التوبة: آية رقم (١٢٨).

(٢) ابن كثير، شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم، ص (١٣٧ ـ ١٣٨).

(٣) سورة القلم: آية رقم (٤).

(٤) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان (٨/ ٤٢١).

من أساليب السُّنَّة النبوية التربوية:

لقد تضمنت السُّنَّة النبوية العديد من الأساليب التربوية، التي لايستغني عنها المسلم في ممارساته التربوية، داخل المدرسة، أو في المنزل، أو في أي مكان، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ التربية بالترغيب والترهيب:

إن من أهم وسائل التربية ترغيب المتربين فيما يُراد تربيتهم عليه، وترهيبهم مما يُراد إبعادهم عنه، والسُّنَّة النبوية مليئة بما يُحفز المسلم على اكتساب المحامد، والبعد عن الرذائل، ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صدّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً)[١].

٢ ـ التربية بالحوار التبصيري:

وذلك بأن يُبصر المتربي بخطأ ما يقوم به من سلوك منحرف، حتى يُقلع عنه بقناعة، كأسلوبه ﷺ مع الفتى الذي جاء يستأذنه في الزنا، فعن أبي أمامة قال: (أن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يارسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه، فزجروه، وقالوا: مه، مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: افتحبه لأُمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: افتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: افتحبه لأُختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: افتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: افتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال ولا الناس يحبونه

---

(١) البخاري (٤/١٠٩) برقم (٦٠٩٤) ومسلم (٤/٢٠١٢ ـ ٢٠١٥) برقم (١٠٥ ـ ٢٦٠٧).

لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[1].

٣ ـ التربية بالتذكير بالعاقبة:

وذلك بأن يُذكر أو يتذكر المتربي ما يعود به عليه انحرافه من آلام وعواقب، فيكون ذلك رادعاً له عن غيه وفساده وطغيانه، ومن أمثلة ذلك في السُّنَّة النبوية، قوله ﷺ: (اتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أُمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار)[2].

فهذه مقاصة تكون بين عباد الله تعالى يوم القيامة، فإذا تذكرها الإنسان، أو ذُكر بها أحدثت عنده اتجاهاً ايجابياً يدفعه إلى محاسبة نفسه، قبل أن يحاسب، فيستقيم سلوكه.

٤ ـ ضرب الأمثال:

إن في ضرب الأمثال تقريب المعنى وتوضيحه للسامع أو القارئ، ليقع منه موقعاً واضحاً مؤثراً، فينفذ إلى قلبه، فيحرك انفعالاته، فيتأثر بذلك، وهـذا الأُسلوب نجده واضحاً في السُّنَّة النبوية، مثل قول المصطفى ﷺ: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا)[3].

---

(١) أحمد (٥/٢٥٦ ـ ٢٥٧).

(٢) مسلم (٤/١٩٩٧) برقم (٥٩ ـ ٢٥٨١).

(٣) مسلم (١/٤٦٢ ـ ٤٦٣) برقم (٢٨٣ ـ ٦٦٧).

المبحث الثالث

سيرة الصحابة

إن سيرة الصحابة رضوان الله عليهم، سيرة عطرة حسنة، تمثل أفضل السير، حيث أنهم تربوا في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاقتدوا به في كل الجوانب، وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه العزيز، فقال عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: (فعليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين وعضّوا عليها بالنواجذ)(٢).

وسيرة الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ مصدراً تربوياً مهماً، حيث يمثلون لنا التطبيق العملي لتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي مواقفهم دروس تربوية عظيمة، نختار منها موقفين جليلين: الأول: يوضح تواضعهم ورحمة بعضهم لبعض، فقد "كان عمر يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة في الليل، فيسقي لها، ويقوم بأمرها فكان إذا جاءها وجد غيره سبقه إليها، فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كي لا يُسبق إليها، فرصده عمر، فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمري"(٣).

---

(١) سورة التوبة: آية رقم (١٠٠).

(٢) أبوداود (٠٥/١٣ ـ ١٤) برقم (٤٦٠٧)، والترمذي (٤٣/٥ ـ ٤٤) برقم (٢٦٧٦) واللفظ له، وأحمد (١٢٦/٤).

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص (٨٠).

والموقف الثاني: عدم حرصهم على الدنيا، ويؤثرون الآخرة عليها، وهي دروس تربوية نحتاج إليها كثيراً، خاصة في زمننا هذا، الذي ظهر فيه التسابق المادي بين الناس، ومن تلك المواقف، موقف عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله تعالى عنه ـ حيث تصدق بشطر ماله، أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله تعالى، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله تعالى، وكان عامة ماله من التجارة[1] فما أحوج الأمة إلى معرفة هذه الدروس والإستفادة منها.

وثمة دروس تربوية أخرى، نتعلمها من سيرة الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ففي حياتهم تطبيق مباشر لنصوص القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية، وفي حياتهم استنباط لما جد من أحداث، فأما تطبيقهم المباشر لهذه النصوص، فإنه كان على ضوء ما تعلموه وتدربوا عليه أيام صحبة النبوة، فهم أهل النقل الأمين، والتطبيق الملتزم الدقيق، وأما استنباطهم للحلول، لما عرض عليهم من أحداث جديدة، فقد كان يتم على أُسس من منهاج الله تعالى[2] وتأتي هذه الدقة لأنهم تربوا على توجيهات رسول الله ﷺ.

كما عني اصحاب رسول الله ﷺ بقضية أخلاقه عناية فائقة، فسأل أحدهم أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ عن ذلك، خشية أن يفوته شيء، فقالت: (كان خُلُقُه القرآن)[3].

فسيرة الصحابة ـ رضوان الله تعالى عنهم ـ تطبيق عملي للتربية الإسلامية، لذلك فإنها مصدر تربوي غني بالمواقف التي يجد فيها المسلمون أفضل أساليب التربية، لأن منهجهم كان تطبيقاً عملياً، وليس نظريات وتوجيهات بلا تطبيق.

ومما سبق فإنه يجب على المهتمين بالعلوم التربوية أن يقتبسوا مِنْهاجهم التربوي من ذلك المنهج المتدفق بما يحتاجونه من قواعد ومبادئ.

---

(١) ابن الاثير، اسد الغابة (٣/ ٤٨٣).

(٢) انظر كتاب دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية، لعدنان علي النحوي، ص (٢٣٦).

(٣) مسلم (١/ ١١٢ ـ ١١٣) برقم (١٣٩ ـ ٧٤٦).

المبحث الرابع
جهود العلماء المسلمين

أثنى الرسول ﷺ على العلماء وامتدحهم، وبيَّن ما لهم من الفضل والثواب، لما يقدمونه للناس من العلم النافع، الذي يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة، فقال عليه الصلاة والسلام: (فضل العالم على العابد، كفضلي على أدناكم، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت يصلون على معلم الناس الخير)(١).

وقال رسول الله ﷺ: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)(٢).

وللعلماء المسلمين جهود كبيرة في نشر العلم والتأليف، وقد أثرَوا المكتبات الإسلامية بكنوز العلم والمعرفة في ميادينه المختلفة كالفقه، والتفسير، والحديث، والأخلاق ، والتربية وغيرها من المجالات العلمية الأخرى.

---

(١) الترمذي (٥/٤٨ ـ ٤٩) برقم (٢٦٨٥).

(٢) أبو داود (٤/ ٥٧ ـ ٥٨) ، برقم (٣٦٤١) واللفظ له. وابن ماجه (١/ ٨١) ، برقم (٢٢٣). والترمذي (٥/ ٤٧) برقم (٢٦٨٢).

ومما يجدر بالباحثيين المسلمين في مجال التربية أن يرجعوا إلى تلك الروافد لينهلوا منها، ويستفيدوا من تجاربهم، وكتاباتهم المتعددة، لا سيما في هذا العصر الذي يعتمد فيه كثير ممن يكتب في التربية على مناهج ومبادىء غربية تتنافى مع الشريعة الإسلامية.

إن للعلماء المسلمين جهوداً تربوية عظيمة، سواء من خلال استنباطهم لبعض التوجيهات التربوية من الكتاب والسُّنَّة، أو من خلال تجاربهم وملاحظاتهم، أو من ملامح سيرتهم، ويمكن عرض بعض توجيهاتهم التربوية من خلال مصنفاتهم فيما يلي:

الماوردي (٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ) رحمه الله تعالى:

تحدث الماوردي رحمه الله عن التربية في كتابه: (آداب الدنيا والدين) وبيَّن أهمية حُسن الخُلُق، وبين أثر الهوى في اكتساب الرذائل السلوكية، وأنه مصدر لكل رذيلة، وأشار إلى أن الأخلاق فطرية ومكتسبة، وبيَّن أهمية التربية، وتكلم على بعض الأساليب التربوية.

وفي ضوء ما كتب الماوردي ـ رحمه الله ـ عن التربية سيتم التطرق للنقاط التالية:

الوسائل التربوية:

تقوم التربية عند الماوردي على مرحلتين: مرحلة الطفولة: ومسؤوليتها تقع على الوالد، ومرحلة الكبر ومسؤوليتها تقع على الفرد نفسه، إذ يقول: والتأديب يلزم من وجهين: أحدهما: مالزم الوالد لولده في صغره، والثاني: ما لزم الإنسان في نفسه عند نشوئه وكبره"[1] وهو أدب مواضعة وأدب استصلاح كما يتبين مما يلي:

١ ـ **أدب الوالد لولده:** لم يحدد الماوردي وسائل محددة يستعين بها الوالد على تربية أبنائه، ولكن بين مسؤولية الأب وأهمية تنشئته لابنائه

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٢٣٣).

في صغرهم بمبادئ الآداب المختلفة، إذ يقول: "فأما التأديب اللازم للأب فهو أن يأخذ ولده بمبادىء الآداب ليأنس بها وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستئناسه بمبادئها في الصغر»[1].

٢ ـ **أدب مواضعة**: وهذه المرحلة يقوم بها المتربي بنفسه، ويعني بها تقليد العقلاء في أخلاقهم التي اصطلحوا عليها، اذ يقول: "فأما أدب المواضعة والاستصلاح فيؤخذ تقليداً على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء، واتفق عليه استحسان الأدباء[2] مثل اتفاقهم على هيئة اللباس، وأن مخالفتهم تستوجب الذم لأنهم تعارفوا على ذلك بالمواضعة، وإن كان جائزاً في العقل أن يوضع على خلافه".

٣ ـ **أدب الاستصلاح**: ويقصد به التخلق بالأخلاق والآداب الإسلامية.

ويضع الماوردي قواعد لإستصلاح النفس وسياستها، وهي:

أ ـ أن لا يسبق حسن الظن بنفسه:

لأن المستحسن نفسه الظان أنها على محامد الأخلاق، يرى أنها لا تحتاج إلى الأدب "وإذا كانت النفس كذلك فَحُسْنُ الظن بها ذريعة إلى تحكيمها، وتحكيمها داع إلى سلاطتها وفساد الأخلاق بها[3] فالمرء الذي استحسن أقواله وأفعاله فإنه لايرى أن هناك حالاً أفضل من حاله، وبالتالي فإنه لن يفكر في إصلاح نفسه، وقد نهانا الحق تبارك وتعالى عن تزكية النفس، فقال عز وجل: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[4].

ب ـ الإقتصاد في مدح وذم النفس:

أي أن يكون في التهمة لنفسه معتدلاً وفي حُسن الظن بها مقتصداً،

(١) المرجع السابق، ص (٢٣٣).
(٢) المرجع السابق، ص (٢٣٣).
(٣) المرجع السابق، ص (٢٣٤).
(٤) سورة النجم، آية رقم (٢٢).

فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة ظلمها، وإن تجاوز بها الحق في مقدار حسن الظن أودعها تهاون الآمنين[1] أي أن يكون معتدلاً بحيث لايهينها بالذم ولا يرفعها عن منزلتها بالتزكية، وإنما يكون بين ذلك قواماً، فإنه أدعى لتربيتها وتنشئتها على الفضائل.

ج ـ أن يملك زمام نفسه:

أي أن يكون مسيطراً عليها، قائداً لها، عارفاً بها "فإذا عرف من نفسه ما تجن وتصور منها ما تكن، ولم يطاوعها فيما تحب إذا كان غياً، ولاصرف عنها ما تكره إذا كان رشداً، فقد ملكها بعد أن كان في ملكها، وغلبها بعد أن كان في غلبها»[2] فالنفس إذا كانت تبعاً لإرادة الإنسان ساقها صاحبها للفضيلة إن أراد، أما إذا كان هواه مالكاً له، فإن إرادته ستكون تبعاً لنزغات الهوى، والهوى عدو ضال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾[3].

د ـ اليقظة:

بأن يكون المرء يقظاً لأخلاقه من الزيغ والإهمال والميل نحو الرذائل، يقول الماوردي: "ثم يراعي منها ما صلح واستقام من زيغ يحدث عن إغفال، أو ميل يكون عن إهمال، ليتم له الصلاح وتستديم له السعادة، فإن المغفل بعد المعاناة ضائع، والمهمل بعد المراعاة زائغ»[4].

ابن حزم (٣٨٤ . ٤٥٦ هـ) رحمه الله تعالى:

ألَّف بن حزم كتابه (الأخلاق والسير في مداواة النفوس) وتطرق فيه إلى جوانب تربوية مختلفة: كمداواة النفوس وإصلاح الأخلاق، وأهمية

---

(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٢٣٤).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٣٥).

(٣) سورة القصص: آية رقم (٥٠).

(٤) الماوردي، أدب الدنيا والدين، (٢٣٦).

العقل والعلم، وتحدث فيه عن الأخلاق والسير والعادات، ومداواة الأخلاق الفاسدة، وبيَّن أهمية الأخلاق ودعائمها ووسائل التربية الخُلُقية.

الوسائل التربوية:

١ ـ **الصحبة والملازمة**: إن للصحبة تأثيراً على سلوك الإنسان، لأن المخالطة توجب المشاكلة، ويحذر ابن حزم من مخالطة أصحاب الأخلاق الذميمة فيقول: "إياك ومرافقة الجليس السيء»[١] ويشير على من طلب الفضائل بمجالسة المتحلين بها، فيقول: "من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة والبر والصدق وكرم العشيرة والصبر والوفاء"[٢].

وبهذا يعتبر ابن حزم أن الصحبة هي أحد وسائل التربية.

٢ ـ **القدوة**: يشير ابن حزم إلى أهمية القدوة في اكتساب الأخلاق، وأن خير قدوة يقتدي بها الإنسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول "من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة، والإحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ، وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه»[٣].

وقد وجهنا الحق تبارك وتعالى إلى التأسي به ﷺ فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤].

٣ـ **الحكمة في التربية**: إن لطريقة المربي والواعظ أثراً كبيراً في التربية على الخصال الحميدة، وتنفيره من الرذيلة. ويشير ابن حزم إلى وجوب الإلتزام بمنهج المصطفى ﷺ في التربية، حيث يقول: "الإتساء بالنبي ﷺ في وعظ أهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب، فمن وعظ بالجفاء

---

(١) ابن حزم، الاخلاق والسير، ص (٦١).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٤).

(٣) سورة الأحزاب: آية رقم (٢١).

(٤) المرجع السابق، (٢٤).

والإكفهرار(*) فقد أخطأ وتعدى طريقته صلى الله عليه وسلم، وصار في أكثر الامر مغرياً للموعوظ بالتمادي على أمره[1].

وقد أرشدنا الحق تبارك وتعالى على ما كان عليه ﷺ من الخلق الفاضل الحكيم في التوجيه والإرشاد، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[2] وإنما الغلظة والشدة تجب في حد من حدود الله تعالى.[3]

وبهذا فإن ابن حزم رحمه الله يؤكد على أهمية الإقتداء باسلوبه ﷺ في التربية.

ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) رحمه الله تعالى:

تحدث ابن تيمية رحمه الله تعالى عن الجانب التربوي في المجلد العاشر من الفتاوى "السلوك" وأشار في بعض مؤلفاته لبعض الجوانب التربوية، وبالإستقراء لبعض مؤلفاته يمكن استنتاج بعض الأساليب التربوية فيما يلي:

الأساليب التربوية:

أـ التعلم: يؤكد ابن تيمية رحمه الله على أن أنفع ما يخلص النفوس من الرذائل ويصلحها هو العلم، إذ يقول: "فأنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات"[4] فبالعلم الشرعي يعرف المرء الحلال من الحرام ويعرف الفضيلة ومكانتها فيتخلق بها، وبالعلم يعرف شر

(*) مكفهر: أي منقبض، وفلان مكفهر الوجه إذا ضرب لونه إلى الغبرة مع الغلظ، ومنه قول ابن مسعود: إذا لقيت الكافر فالقه بوجه مكفهر، أي بوجه منقبض لا طلاقة فيه. لسان العرب، ابن منظور، (٥/ ١٥١).

(١) ابن حزم، الأخلاق والسير، ص (٦٢).

(٢) سورة آل عمران: آية رقم (١٥٩).

(٣) ابن حزم، الاخلاق والسير، ص (٦٢).

(٤) ابن تيمية، الرسائل، (١/ ٢٣٤).

الرذيلة فيهجرها، فالعلم هو مطية طالبي الأخلاق الكريمة".

ب ـ **المخالطة**: إن اختلاط الآدميين وتفاعل بعضهم مع بعض يؤدي إلى تشابههم في الأخلاق، وتكون درجة التشابه بحسب قوة التفاعل "وذلك: أن الله جبل بني آدم، بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتمّ، حتى يؤول الأمر إلى أن لايتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط. ولما كان بين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص كان التفاعل فيه أشد"(1).

ولهذا فإن ابن تيمية يشير إلى أهمية مخالطة الصالحين، ذوي الأخلاق الفاضلة حتى يكتسب المرء أخلاقهم بالمخالطة، ويحذر من مخالطة ذوي الأخلاق الفاسدة، لما تجلبه المخالطة من المشاكلة، بل إن ابن تيمية يشير إلى عمق هذا التأثر حتى بالحيوان، فيقول: "ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمشاركة والمعاشرة، وكذلك الآدمي إذا عاشر نوعاً من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه، ولهذا صارت الخيلاء والفخر في أهل الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم"(2) وهذا مبني على قوله ﷺ: (رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، والفدادين أهل الوبَرَ، والسكينة في أهل الغنم)(3).

وبهذا فإن على المربي أن يحرص على اختلاط المتربي بالرفقة الصالحة، وبالبيئة الطيبة، ويجنبه البيئات الفاسدة.

د ـ **مجاهدة النفس**: ينبه ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أهمية مجاهدة النفس على الطاعات، وهجر السيئات من الأقوال والأفعال، لأن ترك المعاصي من مقدور الإنسان، وبهذا فإن "ترك السيئات هو من أعمال

---

(1) المرجع السابق، ص (٢١٩ ـ ٢٢٠).

(2) المرجع السابق، ص (٢٢٠).

(3) البخاري (٢/ ٤٤٤) برقم (٣٣٠١).

النفس، فإنها تعلم أن السيئات مذمومة، ومكروه فعلها، ويجاهد نفسه إذا دعته إليها إن كان مصدقاً لكتاب ربه، مؤمناً بما جاء عن نبيه صلى الله عليه وسلم"[1].

أي أن ابن تيمية يقرن المجاهدة بصدق الإيمان وما يقتضيه من الطاعة، والإتباع، فإذا انتفى الإيمان انتفت المجاهدة، وإذا قل الإيمان قلت المجاهدة، وإذا وجد صحيح الإيمان وجدت المجاهدة، وبهذا فلا بد من التركيز على التربية الإيمانية، لأنها القوة التي تغذي مجاهدة المرء لنفسه "ولهذا كان التوحيد والإيمان أعظم ماتزكو به النفس"[2].

وهذا تأكيد على أهمية تركيز التربية على ما يغرس التقوى في قلوب المتعلمين، حتى تزكو نفوسهم، وتسمو أخلاقهم، ويكونوا في حصانة تمنعهم عن الرذيلة، وتدفعهم للفضيلة.

ج ـ اللغة: يلفت ابن تيمية الإنتباه إلى أمر هام في التربية ، وهي اللغة وأثرها البالغ على السلوك الخُلُقي، حيث يقول: "واعلم أن اعتبار اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد في العقل والدين والخلق»[3] وهذايعني أن تعلم اللغة العربية ينمي الأخلاق الفاضلة، لأنها لغة القرآن الكريم ولغة نبي هذه الأمة، وصحابته رضوان الله عليهم . ومقابل ذلك فانه ينبغي للمسلم أن لايتحدث بغير العربية إن كان عارفاً بها إلا وقت الضرورة لأن لها انعكاسات سيئة على سلوكه، فإن مما تورثه النفاق، وقد أشار ابن تيمية إلى قوله ﷺ: (من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فانه يورث النفاق)[4].

وبالتالي فإنه يتطلب من المؤسسات التربوية أن تولي اللغة العربية جل

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى (١٠/ ٦٣٠ ـ ٦٣١).

(٢) المرجع السابق (١٠/ ٦٣٢).

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص (٢٠٧).

(٤) المرجع السابق، ص (٢٠٥).

اهتمامها لما تعكسه على أخلاقهم من التأثير والتأسي بأخلاق صحابته ﷺ.

ابن قيم الجوزية (٦٩١ـ ٧٥١هـ) رحمه الله تعالى:

تطرق ابن قيم الجوزية رحمه الله للتربية في العديد من مصنفاته مثل: مدارج السالكين، وكتاب الفوائد، وتحفة المودود، وعدة الصابرين، وتناول فيها العديد من الجوانب التربوية.

الأساليب التربوية:

ينبه ابن القيم إلى أن لدى الإنسان القدرة على تحسين خُلُقه لما زوده الله به من الإستعدادات لذلك: "فان الله سبحانه هيأ الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهلية والإستعدادات التي جعلها فيه كامنة كالنار في الزناد"(١).

ويشير ابن القيم إلى عدد من وسائل التربية مثل:

أ ـ التعلم: وهو من الأساليب التربوية التي بها يعرف الإنسان ما يضره وما ينفعه» فالعلم يرشده إلى مواقع بذل المعروف، والفرق بينه وبين المنكر، وترتيبه في وضعه مواضعه، فلا يضع الغضب في موضع الحلم، ولا بالعكس. ولا الإمساك موضع البذل ولا بالعكس، بل يعرف مواقع الخير والشر ومراتبها وموضع كل خُلُق اين يضعه ؟ وأين يحسن استعماله؟"(٢).

وبهذا فإن ابن القيم يعتبر التعلم من أهم الوسائل التربوية لما يحدثه في نفس المتعلم من المفاهيم والمعارف التي تعينه على وضع الأمور في مواضعها الصحيحة، وتنير له الطريق إلى معرفة موضع كل خُلُق ومكان استعماله.

ب ـ الإصلاح بالعزم والنية: والإصلاح عند ابن القيم يشمل: أعمالاً

---

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (٢/ ٣٩٧).

(٢) المرجع السابق، (٢/ ٣٣٠).

وأقوالاً ماضية، صدرت من الإنسان، وأموراً مستقبلية سوف تصدر عنه، فعالج كلاً منهما بما يناسبها:

١ ـ فالماضي من السلوك ينصلح بالتوبة والندم والإستغفار، وهي أعمال قلبية وتمنع فيما يستقبل من الذنوب"[١] .والإنسان إذا لم يشعر بإمكان إصلاح ماضيه فإنه يورد عليه العديد من الآلام النفسية التي تنعكس على حاضره وسلوكه، وقد أنعم الله تعالى على عباده بنعمة التوبة، فقال عز وجل: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢].

٢ ـ والسلوك المستقبلي ينصلح بثلاثة أمور: قال ابن القيم: "وما يُستقبل تصلحه: بالإمتناع والعزم والنية"[٣] وهذه امور تتعلق بالقلب والإرادة، سواء ما يخص الماضي أو المستقبل "وليس للجوارح في هذين نصيب ولا تعب"[٤]" وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك"[٥] فاذا استخدم المرء هذه الأعلجة سهل عليه الإستطباب، وأصلح حاله وأخلاقه.

ج ـ **التدريب**: يعتبر التدريب أحد الوسائل التربوية في اكتساب الأخلاق الحميدة، لأن الإنسان يستطيع أن "يتكلف التعفف حتى يصير التعفف له سجية، وكذلك سائر الأخلاق"[٦] لأن في الإنسان قدرة على التخلق "وقد جعل الله سبحانه في الإنسان قوة القبول والتعلم، فنقل الطبائع عن مقتضياتها غير مستحيل"[٧] فالإنسان بالتدريب يستطيع ان يُحسن من سلوكه بما حباه الله من القدرة والإستعدادات القابلة لذلك.

---

(١) ابن القيم، الفوائد، ص (١٣١).
(٢) سورة الزمر: آية رقم (٥٣).
(٣) ابن القيم، الفوائد، ص (١٣١).
(٤) المرجع السابق، ص (١٣١).
(٥) المرجع السابق، ص (١٣١).
(٦) ابن القيم، عدة الصابرين، ص (٢٠).
(٧) المرجع السابق، ص (٢١).

د ـ **الوقاية**: والوقاية هي أفضل من العلاج وأسهل منه، وقد حذر ابن القيم من تمكين الولد من الرذائل السلوكية، ودعا إلى وقايته منها، فقال: والحذر من تمكينه من تناول ما يزيل عقله من مسكر وغيره، أو عشرة من يخشى فساده، أو كلامه له وأن يجنبه لبس الحرير فإنه مفسد له ومخنث لطبيعته(١).

وبهذا فإن ابن القيم ينبه الوالدين والمعلمين إلى الحذر من مغبة الإهمال في التربية وعدم وقاية الأبناء مما يفسد سلوكهم: "فما أفسد الأبناء مثل تغفل الآباء وإهمالهم، واستسهالهم شرر النار بين الثياب"(٢).

وبهذا العرض المبسط لبعض التوجيهات التربوية عند بعض السلف يتضح لنا غزارة المادة العلمية التربوية المبثوثة في كتب أولئك الأعلام من علماء هذه الأمة، ويتبين لنا مدى اهتمامهم بالجوانب التربوية، مما يؤكد أهمية مصنفاتهم العلمية كمصدر من مصادر التربية الإسلامية.

---

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص (١٤٧).

(٢) المرجع السابق، ص (١٤٧).



الفصل الثاني
الأصول المنهجية

المبحث الأول : الأهداف التربوية العامة

المبحث الثاني : ركائز العملية التربوية

المبحث الثالث : الأُسس التربوية



المبحث الأول
الأهداف التربوية

إن تحديد الأهداف من أهم القضايا التربوية التي ينبغي الإهتمام بها، إذ لابد للإنسان من معرفة الهدف من الحياة، والهدف من الدراسة، والهدف من العمل، وينبغي أن يكون ذلك في ضوء المنهج الإسلامي، لأن المرء الذي يسعى في الحياة لهدف معين يستطيع أن يوجه نشاطه التوجيه المتوافق مع الأهداف المرسومة، والذي لا يعرف الهدف يكون نشاطه أعمالاً مبعثرة لا تستقر أو تثبت على شيء، وأما الذي انحرف هدفه عن جادة الطريق، فإنه يكون رهيناً للقلق والتوتر النفسي الذي غالباً ما يصاحب ذوي الأهداف المنحرفة. وإضافة إلى ذلك فإن لتحديد الأهداف أهمية كبيرة تتضح فيما يلي:

أهمية تحديد الأهداف:

١ ـ يوجه ويحدد النشاط لدى الفرد، ويبعده عن كل ما ليس له صلة بالأهداف، أو يعطلها ويعيقها.

٢ ـ يدفع المرء إلى سرعة الإنجاز، لأنه قد عرف الهدف مما يقوم به.

٣ ـ معيار لتقويم العمل.

٤ ـ يساعد على النجاح، بأقل وقت وجهد[١].

وهناك فرق بين الهدف والدافع والنتيجة، بحسب الإيضاح التالي:

---

(١) انظر عبد الرحمن الباني، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام، ص (٦٠).

الهدف: هو الغاية التي يتصورها الإنسان ويضعها نصب عينيه، وينظم سلوكه من أجل تحقيقها.

الدافع: هو الباعث أو المحرض الذي يدفع إلى تحقيق الهدف.

النتيجة: هي المحصلة التي توصل إليها الإنسان، سواء حققت الهدف أم لم تحققه[1].

الأهداف التربوية:

إن المنهج الإسلامي يهدف إلى تحقيق هدف عام وهام جداً، في حياة الإنسان وآخرته، وهو تحقيق العبودية لله تعالى، وفق ما تضمنته الشريعة من أوامر ونواهٍ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[3].

والعبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال[4] وهي ليست محصورة في العبادات المشهورة، كالصلاة والصيام، وإنما هي أشمل من ذلك.

والتربية الإسلامية تنبثق أهدافها من هذا المفهوم، الذي يمكن أن نستمد منه الأهداف الفردية والإجتماعية، والذي ينبغي على التربية الإسلامية أن تعمل على تحقيقها، وهي:

أولاً: أهداف فردية:

ويقصد بها الأهداف التي تأمل التربية أن تحققها في الفرد من خلال تنشئته في جميع جوانبه: العقدية والتعبدية والخُلُقية والجسمية والفكرية

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ص (٩٦).

(٢) سورة الذاريات: آية رقم (٥٦).

(٣) سورة البينة: آية رقم (٥).

(٤) ابن تيمية، العبودية، ص (٤).

والمهنية، والتي سيتم إيضاحها على التفصيل في الفصل الخاص بأهداف التربية الإسلامية.

ثانياً: أهداف اجتماعية:

تهدف التربية الإسلامية إلى بناء خير أمة أُخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١).

وتكوين هذه الأمة يتطلب مقومات اقتصادية واجتماعية وثقافية وعلمية وصحية ... وغير ذلك من المقومات التي يحتاجها المجتمع المسلم. وكل ما قويت هذه المقومات زادت قوة الأمة، فازدادت قدرتها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتسع نطاقها في نشر الإسلام، وهذه الأهداف الإجتماعية يمكن طرحها في النقاط التالية:

١ ـ أمة عابدة لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢).

٢ ـ أمة تنشر الإسلام وتدعو اليه، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٣).

٣ ـ امة تطبق حدود الله تعالى، لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٤).

٤ ـ أمة متعاونة على البر والتقوى، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ فإن وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران: آية رقم (١١٠).
(٢) سورة الذاريات: آية رقم (٥٦).
(٣) سورة آل عمران: آية رقم (١٠٤).
(٤) سورة المائدة: آية رقم (٤٤).
(٥) سورة المائدة: آية رقم (٢).

٥ ـ أمة تشيد حضارة إسلامية في جوانب متعددة، من أبرزها ما يلي:

أ ـ في الجانب الاقتصادي: الذي يظهر من خلاله قدرة الاقتصاد الإسلامي في منهجه وواقعه على تحقيق التنمية الاقتصادية الصالحة، ويبين من خلال تطبيقه عدالته، وافتقار البشرية إليه، ولا سعادة لها إلا به.

ب ـ الجانب الإداري: وهو الجانب التنظيمي والتخطيطي الذي ينظم شؤون الأمة وحياتها على منهج الله تعالى، فيتبين من خلال تطبيقه عدالة وشمولية منهجه، وأنه لا صلاح للبشرية إلا فيه وبه.

ج ـ الجانب الأخلاقي: الذي يتضح من خلاله، السلوك المستقيم لهذه الأمة، والذي يتوافق مع فطرتها. ويحقق لها سعادتها في التعايش وفي المعاملات وفي جميع الجوانب.

د ـ الجانب العمراني: الذي يتضح من خلاله عناية واهتمام التربية الإسلامية بعمارة الأرض، لتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا. كما يسعى لتحقيقها في الآخرة من خلال الاهتمام بالجانب العقدي والتعبدي.

وهناك تساؤل يمكن طرحه لمعرفة كيفية تحقيق تلك الأهداف من خلال الإجابة عليه، وهو:

س: هل تتحقق هذه الأهداف من خلال مادة التربية الإسلامية ؟

ج : والإجابة تكون بتضافر جميع المقررات الدراسية، ومن خلال إعداد المعلم التربوي الذي يُعلم ويربي، وبمساندة جميع البيئات التربوية من أسرة ومدرسة ومسجد وإعلام وما في حكمها.

التطبيقات التربوية:

يمكن إيضاح بعض التطبيقات التربوية من خلال عرض بعض

التساؤلات التي يتضح من خلال الإجابة الفردية عليها أهمية صحة وتحديد الأهداف.

أولاً: المعلم والأهداف:

هناك بعض التساؤلات التي يمكن أن تُطرح على المعلم، أو أن يطرحها هو على نفسه، ليحدد مدى صحة الأهداف والبواعث لديه، وهي كالتالي:

س: ما الهدف من مزاولة مهنة التدريس؟

س: هل للراتب فقط؟

س: أم هو الإعتقاد بأن المدرس يحصل على إجازة وظيفية أكثر من غيرها؟

س: أم الإعتقاد بأن مهنة التدريس من المهن السهلة؟

س: أم لأنها هي البديل المتوفر؟

س: أو لِيُسْهِم في تربية الأمة من خلال هذه المهنة؟

إن لجميع تلك التساؤلات أثر كبير في إجادة المعلم لمهنته، سلباً أو إيجاباً، وأن أفضل تلك البواعث، هو أن يمتهن الإنسان هذه المهنة، ليسهم في تربية الأجيال من خلال هذه المهنة التي يرغبها ويهواها.

ثم إن هناك تساؤلات يمكن طرحها على المعلم من خلال مزاولته لتلك المهنة، وفي الإجابة عليها، بيان لفعاليات الدرس وأثره على المتعلم، وهي التساؤلات التالية:

س: هل هدف المعلم أن يحفظ الطلاب المادة العلمية، واسترجاعها وقت الحاجة؟

س: أم ليتعلم الطلاب كيف يستنتجون ويحللون ويفكرون؟

س: أم أن هدف المعلم هو إكساب الطلاب سلوكاً واتجاهاً، وتفكيراً سليماً؟

س: أم أن الهدف هو نجاح الطالب في الإمتحان؟

س: أم أن هدف المعلم جميع ما سبق؟

فعلى ضوء أهداف المعلم واتساعها، أو قصورها يكون تأثيره على طلابه، كما أن تلك الأهداف التي يضعها المعلم ويرسمها لنفسه، إنما هي نتيجة الباعث للتدريس.

إذاً فلا بد من تصحيح الدافع لدى المعلم من التدريس، بأن لا يكون الهدف من التدريس نجاح الطالب في الإمتحان فقط.

وأن لا يكون التدريس للحفظ فقط والاسترجاع.

وأن لا يكون للإستنتاج وتنمية الجانب العقلي، وأن يكون لديه القدرة على التفكير والتحليل والاستنتاج فقط.

وإنما جميع ما سبق، مع التطبيق الفعلي لما تعلمه في حياته، وبهدف إصلاحه لدار معاشه ومعاده وفق المنهج الإسلامي.

ثانياً: الطالب والأهداف التربوية:

فهذه بعض الأسئلة التي يمكن أن تُطرح على الطالب الجامعي، في مادة التربية ليتعرف من خلال خبراته الدراسية السابقة على أهمية معرفة الهدف ووضوحه، وعلى خطورة غياب الهدف، حتى يساعده ذلك على تصحيح أهدافه وأهداف طلابه فيما بعد، وحتى لا يقعوا فيما وقع فيه. وهذه الأسئلة هي:

س: ما هدفك من الدراسة الجامعية؟

س: ما هدفك من الدراسة عندما كنت في المرحلة الثانوية؟

س: هل تغير هدفك في الجامعة عما كان عليه في المرحلة الثانوية؟

س: ما هدف الطالب من الدراسة الثانوية في نظرك؟

س: ما مقدار المعلومات العالقة في ذهنك من مراحل التعليم العام؟ وهنا ستكون الإجابة المتوقعة ما بين ٢٥٪ إلى ٤٠٪ على الغالب.

س: لو كنت تعرف أهمية العلم منذ التحاقك بالمرحلة المتوسطة، هل تظن أنك فقدت تلك النسبة الكبيرة من المعلومات التي تعلمتها في غضون الست السنوات الماضية؟

س: من هو السبب في عدم معرفتك للهدف الصحيح من التعليم في المرحلة الثانوية والمتوسطة ؟ أنت؟ أم المعلم؟ أو الأسرة؟ أو الجميع؟

س: لو كان الطالب يعرف أهمية العلم منذ التحاقه بالمراحل المتوسطة والثانوية، هل سيفقد النسبة الكبيرة من تلك المعلومات التي حصل عليها أثناء الدراسة؟

النتيجة:

فالنتيجة التي يمكن أن نحصل عليها: هي أن معرفة الهدف للطالب منذ التحاقه بالمرحلة المتوسطة مهم جداً، وأنه ينبغي الإهتمام بإيضاح الأهداف، والعناية بالبواعث الدافعة على الدراسة، لأن هدف الطالب في الجامعة قد يكون للحصول على مؤهل يساعده ليكون مدرساً، ولكن الباعث قد يكون هو: الراتب الجيد، وبالتالي لن يهتم الطالب بالحصيلة العلمية بقدر ما يهتم بالنجاح فقط وتجاوز الرسوب. وقد يكون الباعث: المكانة الاجتماعية، وبالتالي لن يهتم الطالب بالحصيلة العلمية بقدر ما يهتم بالنجاح. وقد يكون الباعث ليجاري به العلماء أو يماري به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس إليه، وبالتالي سيهتم بالجانب العلمي، لكنه لن ينفع الناس بعلمه، ولن ينفع نفسه، قال ﷺ: (من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار)[١].

---

(١) الترمذي (٥/٣٢) برقم (٢٦٥٤).

وقد يكون الباعث هو رفع الجهل عن نفسه، وعن أمته، حتى يعبد الله على علم ومعرفة، وبالتالي سيهتم بالجانب العلمي، والدعوة إلى الله تعالى، مع التطبيق السلوكي، وهو الهدف الصحيح.

إذاً لا بد من تصحيح الأهداف لدى الطلاب، وكذا تصوراتهم الخاطئة، والبواعث غير الصحيحة، حتى يستطيع أن يحافظ الطالب على ما تعلمه، ويطبقه في حياته العملية، وبذلك تحصل التربية الصحيحة.

المبحث الثاني

ركائز العملية التربوية

لا تتم العملية التربوية بشكل جيد ومثمر إلا من خلال تضافر ثلاثة عناصر، وهي:

١ ـ المربي.

٢ ـ المتربي.

٣ ـ القواعد التربوية.

كما أن العملية التربوية تعتمد على سلامة تلك العناصر، وقيامها على أسس صحيحة، وإلا فإنها لن تحقق الغرض المنشود منها، ويمكن إيضاح ذلك فيما يلي:

أولاً: المربي:

يعتبر المربي أو المعلم العنصر الأساسي في عملية التربية، وبقدر علمه وجهده وصبره على أداء رسالته يكون الأثر التربوي. وهناك خمسة عناصر رئيسة لابد من توفرها في المربي ليكون عمله موفقاً بإذن الله تعالى، وهي:

١ ـ إخلاص النية لله تعالى.

٢ ـ العلم.

٣ ـ التطبيق التربوي الصادق لما تعلم.

٤ ـ تعليمه لغيره.

٥ ـ الصبر على عناء العملية التربوية.

١ ـ إخلاص النية:

مما ينبغي العناية به ومجاهدة النفس فيه، إخلاص النية لله تعالى في العلم والعمل، وقد حذرنا المصطفى ﷺ من عدم إخلاص النية في العلم الذي يبتغى به وجه الله تعالى، فقال ﷺ: (من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله عز وجل لايتعلمه إلا ليصيب به عرضاً في الدنيا لم يجد عرف الجنة[*] يوم القيامة)[١] وقال ﷺ: (من تعلم العلم ليباهي به العلماء، ويجاري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم)[٢] وقال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)[٣].

قال الفضل بن زياد: سألت أبا عبدالله يعني أحمد، عن النية في العمل؟ قال يعالج نفسه إذا أراد عملاً لا يريد به الناس[٤] وبهذا فإن النية من أهم الأعمال التي ينبغي أن يحرص عليها المربي المسلم، فليحتسب عند طلبه العلم وعند العمل به، وعند تعليمه لغيره.

٢ ـ العلم:

والعنصر الثاني الذي ينبغي أن يتوفر في المربي المسلم بعد إخلاصه النية هو تعلم العلم النافع، حيث إن العلم النافع والإرادة القوية لتحصيله هما مفتاح السعادة للإنسان، لأن: "الإرادة باب الوصول والعلم مفتاح ذلك الباب"[٥].

فبالعلم يعرف المرء الحلال والحرام، والواجبات والمسؤوليات، والآداب وحسن السلوك، وهو حلية للمسلم، ومفتقر إليه في المنزل

(*) عرف الجنة: أي ريحها الطيبة. النهاية (٣/ ٢١٧).

(١) أبو داود، (٤/ ٧١) برقم (٣٦٦٤) وابن ماجه (١/ ٩٢-٩٣) برقم (٢٥٢).

(٢) ابن ماجه (١/ ٩٦) برقم (٢٦٠).

(٣) البخاري (١/ ١٣) برقم (٢٨١٠) ومسلم (٣/ ١٥١٥-١٥١٦) برقم (١٥٥-١٩٠٧).

(٤) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص (٨٢).

(٥) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، (١/ ٤٦).

والمدرسة والمتجر وفي جميع شؤون حياته الشخصية والاجتماعية، وقد حث الإسلام على طلب العلم بعدة وجوه منها:

- رفع منزلة العلماء. قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2] قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم[3].

- أن العلم الصحيح يؤدي إلى خشية الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[4].

- أنه طريق إلى الجنة، كما جاء في الحديث (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة)[5].

كما أن للعلم فوائد عديدة ذكر منها أبو هلال العسكري في قوله: إذا كنت أيها الأخ ترغب في سمو القدر، ونباهة الذكر، وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزاً لا تثلمه الليالي والأيام، ولا تتحيفه الدهور والأعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من غير عشيرة، وأعواناً بغير أجر، وجنداً بلا ديوان وفرض، فعليك بالعلم، فاطلبه في مظانه،تأتيك المنافع عفواً[6].

فتلك بعض الفوائد التي تعود على من طلب العلم النافع، حيث يرتفع قدره ومكانته عند الله تعالى وعند الخلق، فطالبه من ثماره يقطف ويجني،

---

(١) سورة المجادلة: آية رقم (١١).

(٢) سورة آل عمران: آية رقم (١٨).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٧).

(٤) سورة فاطر: آية رقم (٢٨).

(٥) ابو دادد (٤/٥٧-٥٨) برقم (٣٦٤١) وابن ماجه (١/٨) برقم (٢٢٣) والترمذي (٥/٤٧) برقم (٢٦٨٢).

(٦) أبو هلال العسكري، الحث على طلب العلم، ص (٤٣).

وبتوجيهاته يَرشُد ويُرشد، وهو مطية كل طالب لمعالي الدنيا والآخرة.

٣ ـ التطبيق التربوي:

إن تعلم العلم لا يكفي ليستقيم الإنسان، فلا بد للمربي من العمل به حتى يكون قدوة صالحة، جاعلاً ظاهره موافقاً لباطنه، متحلياً بالأخلاق الحميدة من العفة والصدق والإخلاص والأمانة والنصح وحب الخير للناس، وحثهم على فعله، ومتجنباً للرذائل من قول الزور والكذب والخيانة والحسد وبغض الناس وكافة منكرات الأخلاق، ويترفع عنها ويسمو بأخلاقه لأسمى الدرجات.

وعليه أن يتيقن أنه سوف يُسأل عن علمه فيما فعل، كما جاء في الحديث: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)[١].

وقال من تربى في مدرسة الرسول ﷺ، أُبي بن كعب: تعلموا العلم واعملوا به ولا تتعلموه لتتجملوا به[٢]. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعملوا[٣].

وبذلك فعلى المسلم أن يحرص على طلب العلم لما فيه من الفضائل والأجر، وأن يجعل سلوكه وفق ما تعلمه حتى يكون قدوة حسنة للمتربين، وأن يُحسن النية في طلب العلم وفي العمل به، وأن يبتغي به وجه الله سبحانه وتعالى.

٤ ـ التعليم بما تعلم:

بعد أن يتعلم المربي العلم النافع ويعمل به، فعليه أن يؤدي حقه

---

(١) الترمذي (٤/٥٢٩) برقم (٢٤١٧) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، (٢/٨).

(٣) المرجع السابق (٢/٨).

بالنصح والإرشاد، وتنشئة المتربين بمزاحمة الرذائل بالفضائل حتى ينزع الفاسد ويستبدله بالطيب، لأن "المعلم طبيب هذه الأمة"[١] والمتربي بحاجة إلى من يوجهه إلى الخير ويرغبه فيه، ويحثه على العلم، ويعوده على مكارم الأخلاق، ويحببه في العمل، ويعوده على الإنفاق، ويعينه على اكتساب الفضائل، وهجر الرذائل.

وينبغي للمربي أن يحذر من كتم العلم وعدم تبيانه للناس، وعليه أن يحثهم على الخير ويحذرهم من الشر وفعله، وأن لا يكون مثل أهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[٢] قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ: كفى به دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه ولا يكتمون منه شيئاً لغرض فاسد[٣].

قال ﷺ: (من سُئل عن علم ثم كتمه أُلجم[*] يوم القيامة بلجام من نار)[٤].

ويتبين من ذلك أن على كل متعلم أن يبذل ما تعلمه في إصلاح الناس، وإرشادهم، وتعليمهم وتربيتهم، وإصلاح اعوجاجهم، وأن يُسهم في بناء مجتمع يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

٥ ـ الصبر:

ومما ينبغي للمعلم أن يتحلى به الصبر، لما في العملية التربوية من مشقة وعناء، فإن لم يتخذ الصبر مطية له فإنه قد يسأم من العمل الذي يقوم به، وبالتالي لا ينشط له ولا يؤديه على الوجه المطلوب.

---

(١) المرجع السابق (٢/ ١٤).
(٢) سورة آل عمران: آية رقم (١٨٧).
(٣) الزمخشري (١/ ٢٣٥).
(*) أُلجم: الممسك عن الكلام، ممثل بمن أُلجم نفسه بلجام. النهاية (٤/ ٢٣٤).
(٤) أبو داود (٤/ ٦٧-٦٨) برقم (٣٦٥٨) والترمذي (٥/ ٢٩) برقم (٢٦٤٩) واللفظ له.

وقد تحلى مربي هذه الأمة وقدوتها بأرفع درجات الصبر، فعن أنس ابن مالك قال: (كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد(*) نجراني غليظ الحاشية(**) فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ، قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء)[1].

وفضل الصبر عظيم وشأنه كبير فهو نصف الإيمان، قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: ألإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر[2]، وقد ذكر الله تعالى الصبر في القرآن الكريم في تسعين موضعاً[3] منها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[4] قال أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا معيته[5] وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بار الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له[6].

فهذه توجيهات تربوية تدفع وتحفز المربي المسلم أن يجاهد نفسه على الصبر في تعلم العلم لله تعالى، والعمل به وتعليمه للآخرين، وتربية الناشئة به، فبالصبر يحصل الثواب، ورفعة الدرجات، وينصلح شأن الأمة؛ وخاصة في مجال الدعوة والتعليم؛ لأن فيهما مواجهة لأصناف متعددة من الناس، في الخصائص والأعمار والأعراف. ومن لم يكن بالصبر متحلياً فإنه عن

(*) البرد: كساء أسود مربع فيه صور تلبسه الأعراب، وجمعها بُرَدُ. النهاية (١/ ١١٦) وفتح الباري (١٠/ ٢٧٦).

(**) حاشية: جانب كل شيء وطرفه. النهاية (١/ ٣٩٢).

(١) البخاري (٤/ ٥٨) برقم (٥٨٠٩) واللفظ له. ومسلم (٢/ ٧٣٠-٧٣١) برقم (١٢٨-١٠٥٧).

(٢) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين، ص (١٠٨).

(٣) المرجع السابق، ص (٧١).

(٤) سورة الأنفال: آية رقم (٤٦).

(٥) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين، ص (٧٢).

(٦) ابن تيمية، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ص (٩٠).

التعليم يتوارى ويسأم، وعن مراده يرجع ويقلع، فلذلك كان الصبر شطر الإيمان.

ثانياً: المتربي:

إن العنصر الثاني في عملية التربية بعد المعلم هو المتعلم الذي هو محور عملية التربية، فمن أهم العوامل المساعدة في العملية التربوية مراعاة المعلم استعدادات وقدرات وميول من يقوم بتربيتهم، إذ أنهم ليسوا سواء في الفهم والإدراك، والقدرة على الإستنتاج، فمنهم من هو متوقد الذكاء عالي الهمة، سريع البديهة، فطن، ومنهم المتوسط، ومنهم الضعيف، ومنهم الكبير في السن، ومنهم الصغير، والبعض يتوجه بطيب الكلام وقلة الملام، والبعض بتكرير النصح والإرشاد. وإن تعليم جميع أُولئك بأسلوب واحد دون مراعاة لتلك الفروق الفردية لن يحقق النتائج المطلوبة، كالطبيب الذي لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد لقتل أكثرهم، فكذلك المربي سواء كان والداً أو مدرساً، إذا لم يراع الفروق الفردية قد يُخطئ في التوجيه.

فعلى المعلم "أن ينظر في فهم المتعلم ومقدار عقله"[١] فقد ينتفع من هو كامل الذكاء صادق الفهم، قوي الإدراك بالقليل ما لا يقتدر على الإنتفاع بما هو أكثر منه من جامدي الفهم راكدي الفطنة[٢] يقول ابن جماعة: "أن على المعلم أن لا يشير على الطالب بتعلم ما لا يحتمله فهمه أو سنه"[٣].

ومن الملاحظ على الأفراد اختلافهم في خصائص متعددة، أهمها: السن، والجنس، والإستعدادت، والقدرات، ويمكن بيانها على النحو التالي:

---

(١) المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص (٢٦).

(٢) محمد علي الشوكاني، أدب الطلب، ص (١٧٣).

(٣) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص (٥٥).

١ ـ السن:

هناك واجبات وآداب إسلامية يبدأ وجوبها في سن معينة، وتتوافق أهميتها مع إدراك الشخص لمعانيها ومدلولاتها، وإن إعطاءها للفرد قبل الوقت المحدد لها، قد يجعله لا يشعر بأهميتها فلا يطبقها، وربما كان فيها عناء عليـه فينفرمنها. كما أن تأخيرها عن وقتها قد يجعله يستصعب تطبيقها فيما بعد، لأنه لم يألفها، وربما أَلِفَ ما هو ضدها. وبذلك فإن مما يحتاج إليه المتأدب أن يُراعى سنه في التأديب، ولنا في منهج المصطفى ﷺ خير معين على ذلك.

فمن توجيهاته ﷺ في تنشئة الأبناء على الصلاة التدرج مع سنهم، قال ﷺ: (مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع)[١].

والمتأمل في هذا التوجيه الكريم يرى دقة الإسلام في تدريب الناشئ على الصلاة بطريقة تدريجية تستمر أربع سنوات، ثم يعاقب بعد ذلك إذا لم ينفعه ذلك، وأيضاً دقة التوقيت في تهذيب سلوك الناشئة بمنع اختلاطهم في فراش واحد في وقت واحد، إذا بلغوا سن العاشرة حتى لا تُثار غرائزهم، لأن النائم يتقلب في فراشه وتظهر بعض أجزاء جسمه، قال ابن القيم: لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى نسج الشيطان بينهما المواصلة المحرمة، بواسطة اتحاد الفراش ولا سيما مع الطول، والرَّجُلُ قد يعبث في نومه بالمرأة في نومها إلى جانبه وهو لا يشعر، وهذا أيضاً من لطف سد الذرائع.[٢].

أما الإستئذان فقد وجه الإسلام الأبناء في سن الطفولة إلى ضرورة أخذ الإذن في الدخول في ثلاث عورات، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ

---

(١) أبوداود (١/ ٣٣٤) برقم (٤٩٥).

(٢) ابن القيم، أعلام الموقعين (٣/ ١٥٠).

عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ * كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وأما إذا بلغ الطفل فعليه الإستئذان في كل وقت، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2] قال القرطبي: إن الأطفال أُمروا بالإستئذان في الأوقات الثلاثة المذكورة، وأُبيح لهم الأمر في غير ذلك، ثم أمر تبارك وتعالى أن يكونوا إذا بلغوا الحلم على حكم الرجال في الإستئذان في كل وقت[3] وقال الأوزاعي: حد الطفل الذي يستأذن أربع سنين[4].

فهذه بعض التوجيهات الإسلامية للتنشئة الصالحة التي تتوافق مع سن الناشئ وحاجته للتأدب بها، وتوافقه أيضاً مع النظرة الإنسانية السليمة، وهذا من سمو الإسلام وإعجازه، وتلبيته لمطالب الإنسان الخُلُقية بحسب مراحل عمره، ولكن الخطأ أن لا يراعي المؤدب هذه التوجيهات في السن المحددة، فيترك الناشئة دون توجيه، وبالتالي إما يحصل منهم الزلل، وإما أن يتعودوا على غير الآداب الإسلامية فيصعب إزالتها فيما بعد، فلذلك لابد من مراعاة خصائص العمر الزمني لكل فرد وما يوافقها من واجبات واداب إسلامية ينبغي غرسها في تلك المرحلة.

٢ ـ الإستعدادات والقدرات:

رغم اشتراك الناس في كثير من الخصائص إلا أنهم يفترقون في بعضها، بل إن الفروق تكون حتى بين الأشقاء، وحتى بين التوائم، وتكون الفروق الفردية في أمرين، هما:

---

(١) سورة النور: آية رقم (٥٨).

(٢) سورة النور: آية رقم (٥٩).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القران (١٢/ ٢٠٢).

(٤) المرجع السابق (١٢/ ١٠٣).

- فروق جنسية بين تكوين الإنسان الذكر والأنثى.
- وفروق بين الجنس الواحد في القدرات.[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الناس متباينون في نفس عقله الأشياء من بين كامل وناقص، وفيما يعقلونه من بين قليل وكثير، وجليل ودقيق، وغير ذلك.[٢]

ومن هنا يحتاج المعلم أو الموجه أو المربي أن يضع كل طفل في الموضع اللائق به، ويختار للمتعلمين المادة العلمية التي يدركونها، ويكلمهم على قدر عقولهم، ويخاطبهم بالعبارات التي يفهمونها[٣] وأن يختار لهم من المواعظ والقصص ما يناسب أعمارهم وحاجاتهم من الآداب الإسلامية.

فمرحلة الطفولة تتميز بالحفظ والإستظهار والإعادة والتكرار، ولذا ينبغي الإنتفاع بما لدى الفرد من إستعدادات[٤] فلا يُلقي إليه ما لم يتأهل له لأن ذلك يبدد ذهنه ويفرق فهمه[٥] فيعلمه ويحفظه مثلاً التسمية عند ابتداء أكل الطعام، والحمد عند الإنتهاء منه، ويحفظه آداب النوم، وبعض الأدعية... وهكذا.

وحيث أن الناس يختلفون في درجة الإستعداد والميول، فإنه ينبغي للمعلم أن لايشير عليه بشيء حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله[٦].

ولهذا فإن المعلم يحتاج إلى معرفة استعدادات كل متعلم ومدى تقبله للتوجيهات، فالبعض لا يدرك أهمية بعض الآداب ولا يتمسك بها إلا إذا بينت له حاجته لتلك الآداب، والبعض يكتفي بالتوجيه، والبعض يحتاج إلى

---

(١) عبد الحميد الهاشمي، التوجيه والإرشاد النفسي، ص (٤٣-٤٤).
(٢) ابن تيمية، الفتاوى (٩/٣٠٩).
(٣) محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية، ص (٤٣-٤٤).
(٤) المرجع السابق، ص (١٩٠).
(٥) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص (٥١).
(٦) المرجع السابق، ص (٥٦).

الترهيب، والبعض يحتاج إلى تكرار التوجيه على مسامعه، والبعض يحتاج إلى التعليم ببطء.

كما أنه لا ينبغي تكليف الصبيان بما لا يطيقون، ولا بأعمق مما يدركون ويفهمون، فإن في ذلك إحباطاً لقدراتهم، وربما استشعر الصبي أنه غبي لأنه لم يستطع أن يدرك ويفهم ما قيل له، ولذلك لا بد من مخاطبتهم وتأديبهم بما يستطيعون، وتقريب المعنى لهم من غير إطناب، وإلى ذلك أشار ابن جماعة بقوله: أن يحرص على تعليمه وتفهيمه ببذل جهده، وتقريب المعنى من غير إكثار لا يحتمله ذهنه[1].

٣ ـ الجنس (النوع):

إن من لوازم نجاح العملية التربوية مراعاة نوع من يُوجه ويُنصح، لأن هناك توجيهات تصلح للجميع، وتوجيهات تصلح للرجال دون النساء، وتوجيهات تصلح للنساء دون الرجال، وكذلك بعض الأعمال والمهن. والمربي الذي يعطي كل توجيهاته للرجال دون النساء يخفق في العملية التربوية من حيث عدم مراعاة الجنس، فلا بد أثناء المحاضرات وخطب الجمع والأعياد ـ مثلاً ـ أن يخص النساء بما يحتجنه من توجيه، ولابد أن تهتم المدارس في العالم الإسلامي بإعطاء النساء ما يلائم حاجاتهن من المقررات الدراسية، دون تكليفهن بما لا يحتجنه من الدروس الخاصة بالرجال.

كما أن الأب الذي يركز في توجيهه على الذكور من أبنائه دون التركيز على ما يحتجنه البنات من توجيه فإنه يخفق في العملية التربوية داخل الأسرة.

والتوجيهات الإسلامية في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية تراعي ذلك، فالإسلام يخص النساء أحياناً بتوجيهات دون الرجال، وأحياناً يخص الرجال دون النساء بتوجيهات تتوافق مع نوعية الطبيعة الإنسانية، وأحياناً يكون التوجيه شاملاً للجميع لموافقة الحكم لكلا الجنسين.

---

(١) المرجع السابق، ص (٥٢).

فمن التوجيهات الخاصة بالمرأة حثها على عدم التبرج بستر مفاتنها عن الرجال حتى يمنع إثارة الشهوات، وتبقى نوافذ الفتنة والزلل موصدة بين الجنسين دون استثارة لشهوات جامحة، ونوازع فطريةكامنة، وإضفاء ثوب الحشمة على المرأة ورفع مستواها الأخلاقي، حتى لا يُعرفن ولا يؤذين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ(*) ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

كما يوجه الإسلام المرأة بأن لا تصف لزوجها امرأة أخرى لأن ذلك مناف للأخلاق، ولما فيه من كشف أستار الناس، وأيضاً حتى لا تكشف لزوجها ستر تلك المرأة، وبالتالي قد يقع في قلبه شيء، قال ﷺ: (لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها)[2].

قال القابسي: فإن الحكمة في هذا النهي خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة، أو الإفتتان بالموصوفة[3] فبذلك يحفظ الإسلام عورات النساء، ويسد باب الذرائع المؤدية إلى الفساد، ويربي أفراده على الحشمة وفضائل الأخلاق.

ومن توجيهات الإسلام للمرأة أن لا تخرج متعطرة على الرجال حتى لا تثير وتحرك دواعي الشهوة عندهم، فقال ﷺ: (أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية)[4].

أما التوجيه الإسلامي لجنس الرجال في الكتاب والسُّنَّة النبوية فكثير جداً، ولكن نقتصر على بعض الأمثلة:

يوجه الإسلام الرجل إلى معاشرة الأزواج بالإحسان إليهن وإسدال

(*) الجلاليب: جمع جلباب، وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة. تفسير الجلالين، ص (٥٥٩).

(١) سورة الأحزاب: آية رقم (٥٩).

(٢) البخاري (٣/ ٣٩٧) برقم (٥٢٤١).

(٣) ابن حجر، فتح الباري (٩/ ٣٣٨).

(٤) أبوداود (٤/ ٤٠٠-٤٠١) برقم (٤١٧٣) والترمذي (٥/ ٩٨-٩٩) برقم (٢٧٨٦) والنسائي (٨/ ١٥٣) برقم (٥١٢٦) واللفظ له.

المعروف عليهن، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1] وقال تعالى: موجهاً الرجل في علاقته الزوجية: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ﴾[2].

وقال ﷺ: (استوصوا بالنساء، فإن المرأة خُلِقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء)[3].

فتلك توجيهات إسلامية للرجل مع زوجته، بأن يعاملها بالتي هي أحسن. قال ابن حجر: إن أعوج ما في المرأة لسانها، وإن أردت منها أن تترك اعوجاجها أفضى الأمر إلى فراقها، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها.[4].

وأيضاً من توجيهاته ﷺ: (إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت)[5] وهذا من تهذيبه ﷺ للعلاقة بين الأقرباء حتى لا تستحوذ عليها الشكوك وتتفكك أواصر العلاقة بارتكاب المحرمات، وسد باب الذرائع المؤدية إلى المحرمات.

أما توجيهات الإسلام الشاملة للجميع من الرجال والنساء فكثيرة جداً، لأن الطرفين يشتركان في أكثر الأمور، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[6].

---

(١) سورة النساء: آية رقم (١٩).

(٢) سورة الطلاق: آية رقم (٦).

(٣) البخاري (٢/ ٤٥١) برقم (٣٣٣١).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (٦/ ٣٦٨).

(٥) البخاري (٣/ ٣٩٥) برقم (٥٢٣٢) ومسلم (٤/ ١٧١١) برقم (٢٠-٢١٧٢).

(٦) سورة التوبة: آية رقم (٧١).

وقال ﷺ: (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)[1] وهذا توجيه نبوي لكل مسلم بأن يكون خلوقاً مترفقاً؛ بعيداً عن الغضب، وذلك لما في الرفق من عاطفة الحنان واللين، وهذا يجلب المحبة ويقوي وشائج المودة، ولما في الغضب من الهيجان والوقوع في فحش الكلام؛ ورذائل الأعمال. وأيضاً من توجيهاته ﷺ الشاملة أنه قال: (الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)[2]، وفي هذا الحديث توجيه شامل لكل مسلم أن يصل رحمه ويعطف عليهم ويكسب ودهم بالمواصلة حتى يصله الله تعالى.

فعلى المربي أن يراعي في توجيهه من يوجهه، ومدى حاجته لذلك التوجيه، ويضع الشيء في موضعه حتى يكون وقعه على النفس أكبر وأعمق.

ثالثاً: القواعد التربوية:

إن العنصر الثالث في عملية التربيية والتعليم هو الأسلوب التربوي الذي ننقل به المعلومات والتوجيهات والمهارات للمتعلم، والذي يعتبر أساساً مهماً في التنشئة، وهذه الأساليب لها قواعد تربوية لا بد من مراعاتها أثناء التربية والتعليم لتثمر الجهود المبذولة، فتؤتي أُكُلها بإذن ربها سبحانه وتعالى. وتشتمل هذه القواعد على الأمور التالية:

١ ـ التدرج:

يُقصد بالتدرج الإرتقاء التصاعدي في إكساب الفرد معالي الأمور، لأن النفوس تنفر عن ترك المألوف، وتستصعب الإلمام بكل الأمور، ولهذا فإنه لمن الأساليب الناجحة في اكتساب الفضائل وترك الرذائل التدرج.

---

(١) البخاري (٤/ ٩٥-٩٦) برقم (٦٠٢٤). ومسلم (٤/ ٢٠٠٣-٢٠٠٤) برقم (٧٧-٢٥٩٣) واللفظ له.

(٢) البخاري (٤/ ٩٥-٩٦) برقم (٦٠٢٤). ومسلم ٠٤/ ٢٠٠٣-٢٠٠٤) برقم (٧٧-٢٥٩٣) واللفظ له.

وينبغي أن لا تتوقف التربية عند اكتساب أدنى الفضائل؛ بل تترقى في اكتساب أعلى درجات مكارم الأخلاق، فمثلاً: لا يتوقف الإنسان عند فضيلة قول الصدق في غالب أموره بل يطمح ويصعد إلى تحري الصدق في كل شؤونه حتى تصبح مزية وسمة من سماته، وهي درجة عالية لأنها تصعد به إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وهي غاية ومطمع كل امرئ مسلم، قال ﷺ: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً)[1]، كما لا يتوقف عند فضيلة أن لا يحسد الناس، بل يصعد إلى أن يحب الخير للناس، ثم يصعد إلى أن يُسهم في مد يد العون والمساعدة للآخرين، ثم يصعد إلى أن يشاطر إخوانه ما عنده من الخير إذا لزم الأمر ذلك، ثم يصعد إلى مرتبة أعلى بأن يؤثر غيره على نفسه إذا رأى في ذلك مصلحة لدينه وآخرته، وهي من أعلى الدرجات التي تمثلت في أصحاب رسول الله ﷺ، وفي الذين تربوا بمنهجه التربوي، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات، وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار[3]، وأصحاب رسول الله ﷺ من أصحاب النفوس الشريفة التي تربت على أن لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها، فسمت أخلاقهم في كل فضيلة ومنها الإيثار.

ومن وسائل التصعيد المتدرج: التشويق والتحبيب والتحسين والتزيين، ووضع الإنسان في خبرات عملية يذوق فيها حلاوة ما يُراد تصعيده إليه[4].

---

(١) البخاري (٤م١٠٩) برقم (٦٠٩٤) ومسلم (٤/ ٢٠١٢-٢٠١٣) برقم (١٠٥-٢٦٠٧) واللفظ له.

(٢) سورة الحشر: آية رقم (٩).

(٣) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٩٨).

(٤) انظر الأخلاق الإسلامية، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، (٢/ ٢٠٠-٢٠١).

فعلى المربي والمتربي أن لا يتدرج في ترك القبائح إلى أن يصل إلى أدنى الفضائل، بل يسمو بنفسه وبمن يربيهم إلى مكارم الأخلاق، لأن التوقف عند أدنى الفضائل تكون همة الإنسان عند أول طريق مكارم الأخلاق، وقد يسقط ما لم يَسْمُ بنفسه ويصعد إلى أعلى فضيلة، لأن من حام حول الحمى أوشك أن يرتع فيه.

إن استخدام التدرج في تربية ومجاهدة الإنسان لنفسه، أو في تربية المتربين، يُعتبر من أهم عوامل نجاح العملية التربوية، ويكون هذا التدرج على ضربين:

أ ـ أن يتدرج في تنشئة فضيلة في نفسه لكي يعتادها وتصبح سجية من سجاياه.

أو أن يتدرج في الإقلاع عن رذيلة سلوكية اكتسبها، ما لم يستطع الإقلاع عنها مرة واحدة.

ب ـ أن يتدرج في تنشئة فضيلة في المتربي، أو التدرج في إقلاع عادة سيئة تتنافى مع الإسلام، فإذا رأى أن شُرْه الطعام غالب عليه الزمه التقليل منه، حتى يتعود بالتدرج على حُسن تناوله، ويصبح أدبه غالب على عادته، ثم يصبح سلوكاً معتاداً.

إن التدرج سمة من سمات التربية الإسلامية إذا تطلب الأمر ذلك، فالقرآن الكريم نزل منجماً، كما قالت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ في نزول القرآن: (أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الاسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً)[1].

قال ابن حجر: أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول مانزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة،

---

(١) البخاري (٣/ ٣٤٠) برقم (٤٩٩٣).

وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك نزلت الأحكام، وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف[١].

وقد حرم الله تعالى الخمر على مراحل، قال القرطبي: تحريم الخمر كان بتدريج ونوازل كثيرة، فإنهم كانوا مولعين بشربها[٢]، وقال ابن الجوزي: إن أول ما عاب الله تبارك وتعالى الخمر في سورة النحل، في قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[٣]، وفي هذا تعبير وتقريع وتوبيخ، فالمعنى تتخذون من الرزق الحسن سكراً، وبدلتم الطيب بالخبيث، وهذا غاية الكفر بنعم الله تعالى أن تستعمل في معاصي الله تعالى[٤].

وقال القرطبي: أول ما نزل في شأنها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[٥].

فلما نزلت هذه الآية تركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير، ولم يتركها بعض الناس، فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[٦] فتركها بعض الناس، وشربها بعضهم في غير أوقات الصلاة حتى نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٧] فصارت حراماً عليهم، حتى صار يقول بعضهم: ما حرم الله شيئاً أشد من الخمر[٨] وفي هذا تدرج بالنفس الإنسانية للسمو بها إلى أفضل حال.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (٩/ ٤٠).
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٨٥).
(٣) سورة النحل: آية رقم (٦٧).
(٤) ابن الجوزي، بستان الواعظين، ص (٣٢٨).
(٥) سورة البقرة: آية رقم (٢١٩).
(٦) سورة النساء: آية رقم (٤٣).
(٧) سورة المائدة: آية رقم (٩٠).
(٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٨٥).

ومن الحكمة في نزول القرآن الكريم منجماً التدرج في تربية الأمة الناشئة علماً وعملاً وينضوي تحت هذا أمور خمسة[1]:

١ - تيسير حفظ القرآن الكريم على الأمة، وقد كانت أمة أمية.

٢ - التمهيد لكمال تخليهم عن عقائدهم الباطلة، وعباداتهم الفاسدة، وعاداتهم المرذولة.

٣ - تسهيل فهمه عليهم.

٤ - التمهيد لكمال تحليهم بالعقائد الحقة، والعبادات الصحيحة، والأخلاق الفاضلة.

٥ - تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين.

ومن الأساليب النبوية التربوية توجيهه عليه الصلاة والسلام لتنشئة الأبناء على الصلاة، وتعويدهم عليها منذ بداية السنة السابعة حتى السنة العاشرة، وهي السنة التي يتم عقابهم فيها إذا لم يلتزموا بأدائها، قال ﷺ: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع)[2].

قال الإمام النووي: وينبغي أن يؤدب المتعلم على التدرج بالآداب السنية والشيم المرضية.[3].

وهذا تأكيد على سبق منهج التربية الإسلامية في التدرج إذا أحوج الأمر ذلك، وهو ما تنادي به التربية الحديثة.

وبهذا فإن على الوالدين والمعلمين أن يتدرجوا في إرشاد وتوجيه الأبناء والناس، وتنشئتهم التنشئة الصالحة، مستفيدين من أساليب التربية الإسلامية.

---

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/ ٥٩-٦٠).

(٢) أبوداود (١/ ٣٣٤) برقم (٤٩٥).

(٣) النووي، آداب العالم والمتعلم، ص (٣٤) وهذا الكتاب مقتطع من المجموع للإمام النووي.

٢ ـ التوجيه حسب المواقف:

إن اختيار المواقف واغتنام فرصها والأوقات المناسبة للتوجيه يُسهل العملية التربوية، ويساعد على تحقيق الأهداف وغرس الفضائل، فإذا ظهر موقف خاطئ من شخص ووُضح له ما وقع فيه من خطأ، وفي نفس الوقت وجه التوجيه الإيجابي الحسن الذي كان المفروض أن يسلكه؛ فإن لذلك وقع على النفس وتأثير في السلوك، لأنه يرى النتائج أمامه ويعايشها في نفس اللحظة، وهذا ما يذهب إليه المهتمون بالتربية، حيث يقول أحدهم: لا يكفي أن تنهى الطفل عن فعل الشيء، قائلاً: لا تفعل كذا، بل ينبغي أن تُضيف إلى ذلك ويحسن أن تفعل كذا، بحيث لا توقف نشاطه، بل توجهه إلى ما هو أحسن، وإذا قفلت في وجهه باباً فافتح أمامه باباً آخر[(١)]، فمثلاً إذا رأى شراهة الفرد في الطعام ينبغي أن يُحقر عنده صورة من هو شره في الطعام، ويعوده على أن يقتصر على ما يليه، ولا يسرع في الأكل ولا يوالي بين اللقم بسرعة، ولا يُعظم اللقمة، ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها، ويبين حُسن ذلك السلوك، فالرسول ﷺ، عندما رأى يد الغلام تطيش في نواحي الصحفة قال له ﷺ: (يا غلام: سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك)[(٢)]. قال ابن حجر: وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى في حال الأكل، وفيه استحباب تعليم أدب الأكل والشرب[(٣)]، وعن أنس رضي الله عنه قال: (كنت خادماً للنبي ﷺ، فكنت أدخل بغير استئذان، فجئت يوماً فقال: كما كنت يا بني، فإنه قد حدث بعدك أمر، لا تدخلن إلا بإذن)[(٤)] فهذا التوجيه النبوي كان مع وقوع الحدث؛ مما يُثَبِّت ذلك النصح في ذهن المنصوح، وبالتالي ينشأ على تلك الخصائص الحميدة؛ التي وُجِّه إليها، خاصة وأنها ارتبطت بموقف معين، وهذا الأسلوب ليس خاصاً بسن محدد، فقد رأى النبي ﷺ قوماً لم يُحسنوا غسل أعقابهم أثناء

---

(١) محمد عطيه الأبراشي، روح التربية والتعليم، ص (١٥٧).

(٢) البخاري (٣/ ٤٣١) برقم (٥٣٧٦) ومسلم (٣/ ١٥٩٩) برقم (١٠٨-٢٠٢٢).

(٣) فتح الباري، (٩/ ٥٢٣).

(٤) البخاري، الأدب المفرد، ص (٢٨١) برقم (٨٠٧).

الوضوء، فأرشدهم رسول الله ﷺ في حينه، فعن عبدالله بن عمر قال: (رجعنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، حتى إذا كنا بماء في الطريق، تعجل قوم عند العصر، فتوضؤوا وهم عجال، فانتهينا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسها الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه سلم: ويل للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء)[١].

وقد نبه الرشيد معلم ولده محمد الأمين على اغتنام المواقف، فقال: لا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها[٢].

فاغتنام المواقف في التوجيه التربوي من أفضل طرقها وأساليبها، وأظهرها، لأنها تعالج خَللاً في الحال، وصورته لا زالت عالقة في الذهن، ونتائجه ظاهرة، أو سوف تظهر فيما بعد، وكثير ما يغفل الإنسان ولا يدرك فداحة الأمر إلا بعد فواته، فهذا الأساس مما ينبغي ملاحظته واغتنام فرصته.

٣ ـ ايجاد الحافز الذاتي:

الحافز الذاتي هو: القوة الداخلية في الإنسان، المحركة لعواطفه والمواجهة لإرادته، والدافعة له حتى يمارس سلوكاً معيناً[٣] في السر والعلن، وهذا يأتي من خلال زرع دوافع ذاتيه داخل الفرد، تدفعه إلى الفضائل وتبعده عن الرذائل؛ حتى يكون عالي الهمة، وهو من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه، فلا يصير عبد عارية ببطنه وفرجه، بل يجتهد بأن يتحلى بمكارم الشريعة[٤] فالنفس الشريفة العلية كما يصفها ابن قيم الجوزية أنها لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش، ولا بالسرقة، والخيانة، لانها أكبر من ذلك وأجل[٥] ولهذا فلا بد من البحث عن دافع قوي لا يزول في السر ولا في العلن، بل يكون ملازماً في جميع التقلبات وأطوار الحياة،

---

(١) البخاري (١/ ٧٤) برقم (١٦٥) ومسلم (١/ ٢١٤) برقم (٢٦-٢٤١).

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص (٥٤١).

(٣) عبد الرحمن حبنكه الميداني، الأخلاق الإسلامية ص (١/ ٢٠٢).

(٤) الراغب الأصفهاني، الذريعه إلى مكارم الشريعه ص (١٤٨).

(٥) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٩٨).

يحفز للخير، ويدفع عن الشر. ولإيجاد الحافز الذاتي فإنه لا بد من معرفة أربع عوامل لها تأثير كبير في توجيه عواطف وإرادة المتربي، وهي:

الاولى: القوة الداخلية:

وهي تلك المضغة الصغيرة في تكوينها، الكبيرة في معناها ومدلولها ومفعولها، ألا وهي القلب، قال ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة، واذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[1] فإنه بقدر صلاح القلب ينصلح خُلُق الإنسان. وبفساده يفسد سلوكه، ولهذا تبرز أهمية العناية بغذائه وتدريبه في ضوء أهداف واضحة كما يتبين مما يلي:

الثانيه: نوع الغذاء:

لابد من معرفة نوع الغذاء الذي يمكن أن يُعطى لهذه القوة حتى تنشط باستمرار وتؤدي دورها كما ينبغي أن تكون. ويصف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الغذاء، فيقول: "ويتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده، كما يتغذى البدن بما ينميه ويقومه، فإن زكاة القلب مثل نماء البدن"[2].

الثالثة: التدريب:

لا بد من التدريب الذي يُنمي العضلات ويُحول الغذاء إلى أنشطة، فيتحول من تصديق بالقلب إلى عمل بالجوارح، بممارسة الطاعة، وذلك بفعل المأمور وترك المحظور، والصبر على القضاء المقدور. يقول ابن تيمية رحمه الله: ولابد للإنسان من شيئين: طاعته بفعل المأمور وترك المحظور: وصبره على ما يصيبه من القضاء المقدور، فالأول هو التقوى والثاني هو الصبر[3].

---

(١) البخاري (٢/ ٧٤) برقم (٢٠٥١) ومسلم (٣/ ١٢١٩ - ١٢٢٠) برقم (١٠٧/ ١٥٩٩) واللفظ له.

(٢) ابن تيمية، الفتاوى (١٠/ ٩٦).

(٣) المرجع السابق، ص (٦٦٧).

الرابعة: وضوح الهدف:

وهو الذي يُحفز الفرد إلى التخلق بفضائل الأخلاق عن رغبة صادقة للحصول على المطلوب، وأنبل هدف هو محبة الله عز وجل، ومحبة رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1].

وقال ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار)[2]. ومن أحب الله ورسوله اقتضت عليه المحبة طاعة المحبوب، ووجد لها وبها حلاوة ولذة تدفعه للتخلق بالأخلاق الفاضلة.

أما الدوافع الأخرى المادية والمعنوية من جوائز وتشجيع فإنها ذات أثر بالغ، ولكن ليست في مستوى الحافز الإيماني الذي يحفز جميع الناس، وفي كل الأحوال، ولعموم الطبقات، للفقير والغني، وللمرأة والرجل، وللكبير والصغير، أما الدوافع المادية فإنها ليست ثابتة التأثير عند كل أحد، وفي جميع الأحوال، فمن عنده قدراً واسعاً من الماديات فلن ينظر لمن يُشجعه بها، لأنها لن تكون في قيمتها كما تتمثل عند من يفقدها. والدافع المعنوي لن يُقبل من أي فرد أو من أي جهة، ولن تُرضي في أُسلوبها ومقدارها كل الأفراد وفي جميع الأحوال، كما أن تأثيرها يَزول بزوال المؤثر. فالإهتمام بالحافز الإيماني يكون في الصدارة، ثم الإهتمام بالحوافز المادية والمعنوية ثانياً والحوافز تُساعد على الإندفاع نحو كل فضيلة، وترك كل رذيلة، مما يُسهل عملية التنشئة نحو الخير.

٣ ـ التربية بالأضداد والمزاحمة:

الضد: خلافه، وضاده مضادة، إذا باينه وخالفه، والمتضادان اللذان لا يجتمعان[3].

---

(١) سورة البقرة: آية رقم (١٦٥).

(٢) البخاري (١/ ٢٢) برقم (١٦) واللفظ له. مسلم (١/ ٦٦) برقم (٦٧-٤٣).

(٣) الفيومي، المصباح المنير، (٢/ ٤٩٠).

والمقصود بالمزاحمة: المضايقة، كمنعه[1].

فتربية النفس بالأضداد هي مجاهدتها بما يخالف هواها، فمن كان سلوكه الشح عالجه بالإنفاق، ومن كان سلوكه الكذب عالجه بتحري الصدق، لأن المتضادات لا تجتمع، بل إنها تتنافر، لأن كل منها له سجية تُخالف المضاد لها، فمثلاً: "لايجتمع الإخلاص في القلب، ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار، والضب والحوت"[2].

فالإنسان قد يكتسب بعض الخصال الذميمة، كالنفاق والحسد والخيانة، ويتعود عليها، حتى تصبح عادة لديه، ويشعر بأنه لا يستطيع أن يغيرها، وأنها أصبحت سمة من سماته، ولكن هناك علاجاً لهذه الخصال الذميمة، فكما "أن العلة الموجبة لمرض البدن لا تعالج إلا بضدها، إن كان من حرارة فبالبرودة، وإن كانت من البرودة فبالحرارة، وكذلك الأخلاق الرذيلة التي هي من مرض القلب، علاجها بضدها، فيعالج مرض الجهل بالعلم، ومرض البخل بالسخاء، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف عن المشتهى"[3].

وهذه الأمراض من أمراض القلوب، وعلاجها بتقوى الله تعالى والخوف منه، لأن من خاف مقام ربه، نهى النفس عن الهوى، ومن نهى النفس عن الهوى اكتسب الخصال الحميدة، وطرد أضدادها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[4].

ونهي النفس هو نقطة الإرتكاز في دائرة الطاعة، فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان وكل تجاوز وكل معصية، وهو أساس البلوى وينبوع

---

(١) الفيروزي آبادي، القاموس الحيط، (٤/ ١٤).

(٢) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٦٨).

(٣) المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، (١٦٨).

(٤) سورة النازعات: الآيتان رقم (٤٠-٤١).

الشر[1] ومن ورع عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى- أنه كان إذا خطب على المنبر وخاف على نفسه العجب قطعه، وإذا كتب كتاباً فخاف فيه العجب مزقه[2]، وهكذا كان الخليفة الزاهد يعالج نفسه ويجاهدها بالأضداد حتى يسمو ويترقى بها إلى فضائل الأخلاق.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، (٦/ ٣٨١٩).

(٢) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٧١).

المبحث الثالث

الأسس التربويـــة

يُقال أسسته تأسيساً جعلت له أساساً[1] قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2] قال القرطبي -رحمه الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ﴾ أي أَصَّلَ[3].

فالأُسُس هي الأصول التي ترتكز عليها عملية التربية حتى تتحقق أهدافها، "فمن أراد علو بنيانه فعليه توثيق أساسه وإحكامه، وشدة الإعتناء به، فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه"[4].

وإن تَبَدُّدَ جهود التربية نابع من عدم الإهتمام بتوثيق وتقوية هذه الأسس، ويمكن تقسيم هذه الأسس إلى خمسة أقسام، وهي:

١ ـ القوة الإيمانية.

٢ ـ اعتياد الفضائل.

٣ ـ قبول الحق وعدم الإستنكاف.

٤ ـ مجاهدة النفس.

٥ ـ سلامة التفكير.

---

(١) الفيومي، المصباح المنير، (١/ ٢٠).

(٢) سورة التوبة: آية رقم (١٠٩).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٦٧).

(٤) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٧٥).

أولاً: القوة الإيمانية:

إن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر، يتبعه العمل بالجوارح، "لأن الإيمان جد وعمل ومثابرة ومصابرة وحبس للنفس على ما تكرهه من طاعة الله تعالى، ومنع لها عما تُحبه من معصية الله تعالى"[1] بالإضافة إلى أن جميع الأعمال الإيمانية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة: هي محبة الله تعالى[2] وهذا ما أُشير إليه في العناصر المكونة للحوافز الذاتية سابقاً.

ومن نشأ على الإيمان الصحيح آثر طاعة الله تعالى على ما سواه، وأصبحت أعماله وأقواله الصادرة منه لا تتنافى مع ما أمر به الله تعالى ونهى عنه عز وجل، وبذلك يتطلع إلى معالي الأمور ومكارم الأخلاق بروح صابرة، ومثابرة دائمة، تستمد قوتها من الإيمان بالله تعالى، وتجد في ذلك راحة وطمأنينة، وفرحاً وسروراً ! لماذا ؟ لأن "النفس لا تترك مألوفها ومحبوبها إلا لمحبوب هو أحب إليها منه، وآثر عنده منه"[3] ولأن رضى الله سبحانه وتعالى أصبح هو المأثور عندها على ما سواه، وبالتالي فإن أعمالها ستكون محمودة، لأن الله تعالى يأمر عباده بالفضائل، وينهاهم عن الرذائل.

وكلما كان الإيمان قوياً راسخاً في القلب مؤثراً في عمل الجوارح كانت الأخلاق سامية الطبائع، عالية المقاصد. وقد ربط الرسول ﷺ الخُلُق بالإيمان في قوله عليه الصلاة والسلام: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً)،[4] فجعل كمال الأخلاق في كمال الإيمان، ومعلوم أن الإيمان كله تقوى الله تعالى.

---

(١) ابن عثيمين، الضياء اللامع من الخطب والجوامع، ص (٣٥٢).

(٢) ابن تيمية، الفتاوى، (١/٤٩).

(٣) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٧٣).

(٤) أبو داود (٥/٦٠) برقم (٤٦٨٢) والترمذي (٣/٤٦٦) برقم (١١٦٢) ورواه الحاكم (١/٣) وقال: صحيح على شرط مسلم، وحسنه الألباني، صحيح سنن الترمذي، رقم (٩٢٨-١١٧٨).

فمن نشأ على تقوى الله تعالى أحس بثمرته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[2].

وقد أوصى ابن الجوزي ابنه بقوله: متى صحت التقوى رأيت كل خير، والمتقي لا يرائي الخلق، ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومن حفظ حدود الله حفظه الله[3].

وقد أرشدنا إلى ذلك رسول الله ﷺ، عندما قال لابن عباس: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك)[4].

وعلماء التربية المعاصرون ينادون بتنشئة الإنسان على الإيمان حتى يسمو نحو معالي الأمور، ويبتعد عن دناياها، فيقول النحلاوي: الإيمان الصحيح أساس متين لتربية ثابتة، مضمونة النتائج[5] لماذا ؟ لأن موانع اقتراف الرذائل تنهار أمام الشهوات الإنسانية، عدا المانع الإيماني، الذي يقف سداً منيعاً للإنسان المؤمن من أن يتخلق بالرذائل ويترك الفضائل، ومن هنا ينبغي للإنسان أن ينشئ نفسه أولاً على الإيمان حتى تسمو نفسه إلى مكارم الأخلاق، فتصبح سجية من سجاياه، وأن ينشئ منهم تحت رعايته من الأبناء والتلاميذ على الإيمان بالله حتى تكون لديهم رقابة ذاتية، مصدرها حُب الله تعالى، وطاعته ورجاؤه والخوف من عذابه، فيسهل تبعاً لها تطبيعه على الفضائل.

فضلاً عن كون الإيمان مطلب شرعي، يترتب عليه ثواب وجزاء، وجنة ونار.

---

(١) سورة الطلاق: الآيتان رقم (٢-٣).

(٢) سورة الطلاق: آية رقم (٤).

(٣) ابن الجوزي، لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، ص (١٢٠).

(٤) الترمذي (٤/ ٥٧٥-٥٧٦) برقم (٢٥١٦) وأحمد (١/ ٢٩٣).

(٥) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ص (٦٩-٧٠).

ثانيا: اعتياد الفضائل:

العادة في الدلالة اللغوية، هي: اسم لتكرار الفعل والانفعال حتى يصير ذلك سهلاً تعاطيه، كالطبع، ولذلك قيل العادة طبيعة ثانية[1].

وعوده أباه جعله يعتاده، والمعاود المواظب[2] واعتاده وتعود أي صار عادة له[3].

والعمل إذا تكرر حتى صار الإتيان به سهلاً، سمي عادة.

وأما العادة في الدلالة الاصطلاحية، فهي: ميل نفسي مكتسب بالتكرار، والخبرة للقيام بذات الأعمال السلوكية، بحيث يقوم بها الإنسان بطريقة آلية، عفوية إلى حد بعيد، ويطمئن إليها الفرد[4].

ومن ذلك يمكن استنتاج تعريف للعادة: بأنها ما واظب عليه الفرد، وأصبح طبعاً تطبع به، لا يستطيع الإمتناع عنه، أو تغيره بسهولة.

والعادة في سلوك الإنسان تنقسم إلى قسمين: إما عادة محمودة، أو عادة سيئة مذمومة، فما أقره الشرع محمود على الإطلاق، وما نهى عنه فمذموم على الإطلاق. ومن الناس من يكتسب بعض الرذائل ويعتادها بالتكرار حتى تصبح من طباعه التي لا تنفك عنه بسهولة، وهي ليست خاصة بعمر معين، أو بفئة معينة من الناس.

واكتساب العادة يقوم على العوامل التالية:[5].

١ ـ رغبة الإنسان في شيء يراه أو يسمعه.

٢ ـ حمل النفس على القيام عملياً بالتقليد.

٣ ـ التكرار لما رغبت النفس في تقليده.

---

(١) الاصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص (٣٥٢).

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (١/٣١٩).

(٣) الرازي، مختار الصحاح، ص (٤٦١).

(٤) عبد الحميد الهاشمي، المرشد في علم النفس، ص (١٢٠-١٢١).

(٥) عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، ص ().

ورغبة النفس قد تكون مصدرها تشجيع الآخرين، أو بالتقليد لهم، ولذلك ينبغي اختيار الجليس الصالح، قال ﷺ: (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[1]، وعلى المرء أن يحمل نفسه مع الذين يبتغون رضى ربهم، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[2].

خصائص العادة:

الشيء المعتاد إذا أصبح جزءً من طبع الإنسان فهو يحقق خصيصتين، هما:

١ ـ سهولة أداء العمل المعتاد.

٢ ـ توفير الوقت وسرعة الانجاز.

وللإستفادة من خصائص العادة لابد من الصبر على اعتياد العادات الفاضلة، والصبر على ترك الرذائل منها، فمن يتعود الاخلاص مثلاً يجد سهولة وسرعة ومتعة في إنجاز العمل وإتمامه، والاستفادة من الزمن، لأن النفس قبلته وتعودت عليه، ويحصل العكس إذا لم تتعود النفس على ذلك[*].

قواعـد السلوك المعتاد:

يمكن تغيير العادة واستبدالها، وذلك بتطبيق القواعد الأربع التالية:

١ ـ تقوية الإرادة وإحاطتها بما ينميها، وأن يشغل الذهن بما هو أفضل

---

(١) أبوداود (١٦٨/٥) برقم (٤٨٣٣) واللفظ له، والترمذي (٥٠٩/٤) برقم (٢٣٧٨).

(٢) سورة الكهف: آية رقم (٢٨).

(*) وإذا تعود الإنسان الإنتباه والتركيز سهل عليه متابعة الدرس، وقل زمن المذاكرة والمراجعة، وبذلك ينبغي على المربين أن يعودوا المتربين على ذلك، حتى تصبح عادة لديهم، فتنفعهم في سرعة تحصيل العلم وسهولة كسبه بعد توفيق الله تعالى ومشيئته.

من العادة السيئة التي يريد تركها، وأن يتذكر ثواب الله تعالى، وعقابه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1].

٢ ـ عدم مخالفة السلوك الجديد الذي يرغب المتربي في اعتياده بما يناقضه، مستعيناً عليها بالصبر، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[2].

٣ ـ تنفيذ ما تم العزم عليه، متوكلاً على الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[3].

٤ ـ تكرار السلوك المراد اكتسابه، والمحافظة عليه من كل ما هو ضده.

والتربية السليمة هي التي تعمل في اتجاهين لاكتساب فضائل الأعمال، وهجر العوائد السيئة، وهما:

١ ـ اتجاه في اكتساب العادات الفاضلة بالتشجيع وتقديم الحوافز.

٢ ـ اتجاه في طرد العادات الذميمة بالمزاحمة والمضادة، يقول الصنعاني رحمه الله تعالى: إن من تحرى الصدق في أقواله صار له سجية، ومن تعمد الكذب وتحراه صار له سجية، وإنه بالتدريب والاكتساب تستمر صفات الخير والشر.[4].

ومن هذا نخلص إلى أن للعادة خطورة وفائدة، تنبع خطورتها من أنها مصدر تعاسة وشقاء إذا كان ما يعتاده الفرد ينافي الأخلاق الإسلامية، كعادة الكذب، وشرب الخمر، ونحو ذلك. فصاحبها يستسهلها ويزاولها بدون تكلف، لأنها أصبحت عادة لديه.

وللعادة جانب آخر مفيد، لأنها مصدر سعادة وريادة للفرد في الدنيا

---

(١) سورة النازعات: الآيتان رقم (٤٠-٤١).

(٢) سورة البقرة: آية رقم (٤٥).

(٣) سورة الطلاق: آية رقم (٣).

(٤) الصنعاني، سُبل السلام (٤/ ١٦٠٣).

والآخرة، إذا كان ما يعتاده وفق منهج الإسلام وهديه، كالصدق والإخلاص، ونحو ذلك.

ولذلك وجهنا الإسلام للتربية المبكرة حتى يعتادها النشء، فتصبح سهلة الأداء، محببة للنفس، تجلب لها السعادة.

ثالثاً: قبول الحق وعدم الإستنكاف:

إن الأساس الثالث للتربية هو قبول الحق وعد الإستنكاف والتكبر. والكبر هو: الحالة التي يرى فيها الإنسان نفسه أكبر من غيره[1].

والإستنكاف مأخوذ من أصل الفعل نكف، يُقال نكفت من كذا، واستنكفت منه: آنفت، قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ * وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[2][3].

والتكبر والإستنكاف طريق المهالك لأنه يصرف المرء عن قبول الحق، والإذعان له، لا سيما إذا كان الدال عليه أقل منه مكانة أو سناً، وذلك لما يركب الإنسان من البطر والتعالي بمساندة ومؤازرة شياطين الجن والإنس.

فإنما أهلك مشركي قريش استكبارهم وعلوهم في الأرض بغير الحق، بعد سماع الحق، فقد تردد أبو جهل وأبو سفيان، والأخنس بن شريق على دار رسول الله ﷺ ثلاث ليالٍ يستمعون القرآن منه، حتى طلوع الفجر، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، حتى إذا جمعهم الطريق اتفقوا على أن لا يعودوا، وفي الثالثة تعاهدوا على ذلك، فيذهب الأخنس إلى أبي جهل فيسأله عن ما سمعه من رسول الله ﷺ فيقول أبو جهل: ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذ تجاذبنا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منَّا نبي يأتيه الوحي

---

(١) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص (٤٢١).

(٢) سورة النساء: آية رقم (١٧٢).

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص (٥٠٦).

من السماء، فمتى نُدرك مثل هذا؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه[١].

فما منعهم من الإيمان والفوز بالآخرة إلا الكبر والحسد، واستنكاف قبول الحق.

فالإذعان للحق وقبوله من الأساسيات التي ترتكز عليها التربية، إذ أن الإنسان الذي يتكبر ويتعالى عن الحق لن يستجيب للتوجيه والإرشاد، فعن سلَمَة ابن الأكوع رضي الله عنه: (أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: كل بيمينك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت، ما منعه إلا الكبر. قال فما رفعها إلى فيه)[٢].

فعلى المربي أن يغرس في المتربي قبول الحق من أي مصدر كان، والثبات عليه، وعدم التكبر على من يُفيده ولو كان دونه سناً ومكانة "فإنَّ استنكافك عمن يفيدك ممن هو دونك كبرياء، وتقصيرك عن العمل بالعلم حمأة كبر وعنوان حرمان"[٣].

ويكون التوجيه التربوي بذم الكبر، وبيان مضاره، والتوجيه بما جاء في القرآن الكريم من الآيات، وبما جاء في أحاديث المصطفى ﷺ، وخاصة التكبر على ما جاء من الله تعالى من الهدى، وعدم قبوله من الغير، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٥].

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)[٦] وقال ﷺ: (ألا أُخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ جواظ مستكبر)[٧].

فإذا رُبِّيَ المتربي على قبول الحق والإذعان له؛ وعدم التكبر

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، (١/ ٣٣٧-٣٣٨).

(٢) مسلم (٣/ ١٥٩٩) برقم (١٠٧-٢٠٢١).

(٣) بكر عبد الله أبو زيد، حلية طالب العلم، ص (١٠).

(٤) سورة النساء: آية رقم (١٧٣).

(٥) سورة النحل: آية رقم (٢٣).

(٦) مسلم (٤/ ٢٠٢٣) برقم (١٣٦-٢٦٢٠) وأبو داود (٤/ ٣٥١) برقم (٤٠٩٠) واللفظ له.

(٧) البخاري (٣/ ٣١٥) برقم (٤٩١٨) واللفظ له. ومسلم (٤/ ٢١٩٠) برقم (٤٦-٢٨٥٣).

والإستنكاف فإنه يكون وعاءً صالحاً لقبول كل توجيه فاضل، وقابلاً للتربية والتنشئة الصالحة، فتسهل بذلك العملية التربوية، كالذي يشكل الخيزران بعد تربيته في الماء، فيكون طرياً قابلاً للتشكيل، وأما إذا لم تغرس في المتربي هذه الخصلة فإن التربية فيه لا تُجدي، والنصح والتوجيه لا يُثمر، مهما بذلت، ما لم تبدأ معه بقطع دابر التكبر والإستنكاف من قبول الحق.

رابعاً: مجاهدة النفس ومحاسبتها:

إن الأساس الرابع من أُسس التربية: مجاهدة النفس ومحاسبتها، ويكون ذلك بحملها على أن تتعلم أُمور الدين، وتعمل بها وتُعلمها، ويصرفها عن هواها، ومقاومة رعونتها.[1].

فالنفس تميل إلى الهوى، وتستهويها الشهوات العاجلة، وإن كان فيها حتفها وشقاؤها، فإذا عرف المرء هذه الخاصية فإنه يحتاج إلى مجاهدة نفسه، ويصمم على مكافحة رعونتها، ومناجزة شهواتها، فإذا رغبت نفسه في محرم حرمها، وإذا قصرت في طاعة أوخير لامها، وألزمها فعل ما قصرت فيه[2] وبذلك فإن مجاهدة النفس: هي إلزامها ترك ما تهوى مما نهى الله تعالى عنه، وإلزامها أوامر الله تعالى.

وجهاد النفس من أعظم أنواع الجهاد، حتى قيل فيه إنه الجهاد الأكبر[3].

وأول مقدمات استصلاح النفس أن لا يسبق حُسن الظن بها، فيخفى عنه مذموم شيمه، ومساوئ أخلاقه، لأن النفوس بالشهوات آمرة، وعن الرشد زاجرة[4] ولذلك ينبغي للمربي أن يبيِّن للمتعلمين خطورة حُسن الظن بالنفس حتى لا يخفى عليهم مساوئها، وينبغي له أن يتفقد نفسه، ويحاسبها.

---

(١) أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، ص (٤٤٢).

(٢) المرجع السابق، ص (١٢٢).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٣/ ٢٤٢) وأبوبكر الجزائري، منهاج المسلم، ص (٤٤٢).

(٤) الماوردي، أدب الدنيا والدين.

ومجاهدة النفس ومحاسبتها تحتاج إلى إمساك الجوارح عن معصية الله تعالى، كمنع العين عن رؤية المحرم، وإمساك اللسان عن قول السوء، والكف عن الإسراف المذموم، واعمالها في طاعة المولى عز وجل، قال ابن الجوزي: إن أوفى الذخائر غض الطرف عن محرم، وإمساك اللسان عن فضول كلمة، ومراعاة الحد، وإيثار الله سبحانه وتعالى، على هوى النفس.[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2] أي يتقي فعل ما حرم الله تعالى، ويصبر على الآلآم والمصائب، وعلى الأوامر بامتثالها، فإن هذا من الإحسان، والله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً[3].

وينبغي أن تكون تربية الفرد وتنشئته قائمة على مجاهدة النفس، وكبح جماحها عن الرذائل، ليسير بها نحو الأخلاق الفاضلة، ويشحنها بشحنات المشاعر الصالحة، ويبعدها عن الإنحرافات الأخلاقية. أما وإن تركها بلا تهذيب وتأديب فإنها ستنساق وراء الهوى، وتصبح أسيرة اللذائذ والمفاتن والقبائح، وتستبد بها حبائل الشهوات، والعدوان والحقد، والرياء والنفاق، وبالتالي يُصبح الفرد منقاداً لهواه، بدلاً من أن يقود هواه. وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: العاجز من عجز عن سياسة نفسه[4].

ومن نوافذ الحيل في قمع الشهوات؛ أن يتسلط بقوة الحمية على قوة الشهوة، حتى تقمع ولا تميل إلى مذموم الأخلاق وسفاسفها، يقول ابن الجوزي: فإن عرضت عن الطاعة فسقها بسوط المجاهدة، وإن استحلت شراب التواني، واستحسنت ثوب البطالة، فصح عليها بصوت العزم، فإن رفعت نفسها بعين العجب، فذكرها خساسة الأصل[5].

---

(١) ابن الجوزي، لفتة الكبد إلى نصيحة الولد.

(٢) سورة يوسف: آية رقم (٩٠).

(٣) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٢/ ٤٣٤).

(٤) الماوردي، أدب الدنيا والدين.

(٥) ابن الجوزي، اللطف في الوعظ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فمن مالت نفسه إلى محرم فليأت بعبادة الله تعالى كما أمر الله مخلصاً له وحده، فإن ذلك يصرف عنه السوء والفحشاء، خشية ومحبة، والعبادة له وحده، وهذا يمنع من السيئات[١] فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها، كان نهيه عبادة لله تعالى، وعملاً صالحاً. قال ﷺ: (المجاهد من جاهد نفسه في الله)[٢] وأما العاجز فمن عجز عن سياسة نفسه. وكلما كانت النفس منهمكة منغمسة في الذنوب؛ كانت من الرذائل أقرب، وكانت مجاهدتها أشق وأتعب، وتطلب الأمر صبراً وجلداً، وأما الإنغماس في الرذائل فسببه البعد عن التربية والتنشئة في طاعة الله تعالى، مما يجعل المرء يرتكب الذنوب والأخطاء، يقول ابن تيمية: والذنوب إنما تقع إذا كانت النفس غير متمثلة لما أُمرت به، ومع امتثال المأمور لا تفعل المحظور، فإنهما ضدان[٣] والضدان لا يجتمعان.

خامساً: سلامة التفكير:

إن الفرد الذي يقيس الأمور ويزنها بميزان الإسلام، ويميز الخبيث من الطيب، والصالح من الطالح، ويقيم الأمور حسب نتائجها قبل أن يُقْدِمَ عليها، فإذا بدا له سلامة نتائجها أقدم عليها، وإن ظهر له خطر نتائجها وفساد مغبتها، أو أن ضررها يفوق منفعتها تركها ولم يقدم عليها، فهذا بلا شك سوف ينجح في اختيار الفضائل وإن استثقلتها نفسه، والإبتعاد عن الرذائل وإن استخفتها نفسه، ومالت إليها.

وأما إذا كان لا يُحسن النقد، وكان ضعيف التمييز، وقليل التفكير، فإنه قد يسلك بعض الإتجاهات التي تتوارى خلفها نتائج وخيمة، فيندم على ما اقترفه ، من تصرفات قولية أو فعلية، وساعتها لا ينفع الندم، وقد قال

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى.

(٢) الترمذي (٤/ ١٤٢) برقم (١٦٢١) وأحمد (٦/ ٢٠) واللفظ له.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى.

ابن مسعود رضي الله عنه: (هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف، وينكر به المنكر)[١].

فالذين لا يستخدمون حواسهم التي أنعم الله تعالى بها عليهم، فهم كالأنعام التي لا تفهم ولا تعقل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٢].

فمن علامات الفضائل والرذائل أن: "الفضائل مستحسنة ومستثقلة، والرذائل مستقبحة ومستخفة، "[٣] فمن ضعف نقده ووهن تمييزه وقل تفكيره، استسهل السهل لسهولته، وإن كان فيه هلكته، واستثقل الثقيل لثقله على نفسه وإن كان فيه فوزه ونجاته في حياته ومعاده، فتجد من يستسهل الزنى لإشباع غريزته، ويستهون قتل النفس المؤمنة لإطفاء غليان غضبه، فأؤلئك وأمثالهم قد قد ضعف تفكيرهم ووهنت عزيمتهم، ولم يفكروا في مردود ما فعلوه، كما ترى البعض من الشباب والكبار ينبهرون بحضارة الغرب المادية، والتفسخ الأخلاقي، ويعتبره البعض تقدماً حضارياً، فلماذا يعتبره تقدماً ؟ ولماذا ينادي به ويسلكه؟ إنما لضعف نقده ووهن تفكيره وتمييزه، ولأنه لم يمعن النظر في مغبة المعاصي على الفرد والمجتمع، وعلى ما هم فيه من هموم وغموم، وقتل ونهب، وقلق وحرمان من لذة الأمن والإطمئنان، وحلاوة الإيمان. فلو أمعنوا النظر في ذلك بعين النقد والتحليل والتفكير في ضوء المنهج الإسلامي لعاد إليهم الفكر والبصر خاسئاً وهو حسير على ما فرطوا في دنياهم بإشباع شهواتهم بما ينافي الدين والعقل الرشيد، فكيف بمن عرف الإسلام؟ ودخل في الإسلام؟ ولذلك يقول ابن قيم الجوزية: مبدأ كل علم نظري، وعمل اختياري، هو الخواطر والأفكار، فإنها تُوجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإرادات،

---

(١) ابن قيم الجوزية، اغاثة اللهفان.

(٢) سورة الأعراف: آية رقم (١٧٩).

(٣) ابن حزم، الأخلاق والسير.

والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة، فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار.[١].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:(حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً، أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)[٢].

وقيل: من تأمل أدرك[٣].

لذلك على المربين أن يُشجعوا الأبناء على ممارسة التقويم الذاتي بأنفسهم، لأن من أهداف التربية تنشئة الإنسان على الفهم والإدراك، وحُسن التفكير، حيث أن سلوك الإنسان وتصرفاته نتيجة أفكاره، فإذا تصحح ما بفكره من تصورات خاطئة؛ سواء كان بجهده أو بجهد غيره، فإن سلوكه سوف يتحسن ويتغير، لأن: "أصل الخير والشر من قبل التفكير، فإن الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد، والترك والحب والبغض، وأنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد، وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد، وفي طرق اجتنابها"[٤].

والإستعانة على سلامة التفكير تكون بقوتين: الأولى: قوة العلم والتمييز، والثانية: قوة الإرادة والحب. وأن صلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه، وكماله باستعمال قوة العلم في إدراك الحق ومعرفته، والتمييز بينه وبين الباطل، واستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته وإيثاره. فإذا عرف المربي أهمية النقد والتمييز والتفكير عند المتربي، وإنه بإصلاحها وصلاحها بعد مشيئة الله تعالى يغرس في المتربي أهم عوامل اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل، فإنه يجب عليه الإهتمام

---

(١) ابن قيم الجوزية، الفوائد.

(٢) ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب.

(٣) بكر عبد الله أبو زيد، حلية طالب العلم.

(٤) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص (١٩٣).

بذلك، حيث الأخذ بها يعتبر سياجاً لأخلاق المتربي من الغزو الثقافي والمادي، والإعلامي والحضاري، الذي يسعى لهدم القيم الأخلاقية، وإذابتها تدريجياً كما يذوب الثلج في الماء الفاتر، وتقوية تلك الأمور يكون بالإيمان بالله تعالى، وبالعلم الصحيح النافع، والإرادة القوية، والتدريب والتعود على اختيار الأفضل؛ الجالب لسعادة الدارين، وعدم التسرع في إشباع الحاجات دون سابق تفكير لمغبة نتائجه في الدنيا والآخرة، وأن لا يستسهل الرذيلة، ويستثقل الفضيلة، بل يسعى للفضيلة وإن ثقلت، ويجتنب الرذيلة وإن سهلت.

وبهذا تتضح فوائد الأسس التربوية، وأهمية العناية بها، حيث أن الجانب الإيماني يعتبر الأساس الأول الذي تقوم عليه بقية الأسس، لأنه يكون الرقابة الذاتية لدى المتربي، ويحفزه لطاعة ربه، كما أن اعتياد الفضائل يُسهل على المرء الأخذ بها والتعود عليها، فلا يجد في الأخذ بها مشقة.

كما أن عدم التكبر من أبرز الأسس، حيث يقوم عليه قبول الحق وعدم الإستنكاف، وأن المرء لا يجد غضاضة في قبول الحق من أي أحد من الناس.

وفي مجاهدة النفس وسيلة تربوية للتعود على طاعة الله تعالى، ومحاسبتها على تصرفاتها، وهذا ما لا يستغني عنه المسلم، ثم إن عملية حسن التفكير لايستغني عنه الإنسان كائناً من كان، وهو من عوامل جلب المنفعة للإنسان، في دار معاشه ومعاده.

وبهذا تتضح أهمية العناية بهذه الأسس التربوية.

الفصل الثالث
الأصول الميدانية

المبحث الأول : المسجد

المبحث الثاني : الأسرة

المبحث الثالث : المدرسة

المبحث الرابع : الإعلام



المبحث الأول

المسجد

أهمية المسجد:

للمسجد أهمية كبيرة في توجيه الفرد المسلم إلى كل ما فيه خير دينه ودنياه، والمتأمل في سيرة الرسول ﷺ يجد أنه أولى المسجد عناية كبيرة، فأول ما حط رحاله في قباء بنى فيها مسجد قباء، قال ابن اسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقباء في بني عوف وأسس مسجده[(١)].

وعندما وصل إلى المدينة المنورة بنى المسجد النبوي الشريف في المكان الذي بركت فيه ناقته ﷺ[(٢)].

والمسجد هو الإنطلاقة العلمية الأولى في حياة المسلم، بما يُعْقَدُ فيه من حِلَق العلم، يَحضرها عموم الناس، فيتلقى المسلم العلوم النافعة فيعتدل سلوكه، وتستقيم أخلاقه، ويستنير ذهنه، وقد رغب ﷺ وشجع على ملازمة حلقات العلم في المساجد، لما فيها من تعلم وجوه الخير، فعن أبي واقد الليثي: (أن رسول الله ﷺ، بينما هو جالس في المسجد والناس معه، وإذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ألا أُخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله،

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، (٢/ ١٣٩).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٤٠-١٤١).

وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما ألآخر فأعرض فأعرض الله عنه)[1].

وقال ابن حجر: في الحديث فضل ملازمة حلق العلم والذكر، وجلوس العالم والمذكر في المسجد، وفي الثناء على المستحي، والجلوس حيث ينتهي به المجلس[2].

مهمة المسجد التربوية:

يؤدي المسجد مهمته التربوية من خلال عدة مسارات، منها:

١ - أنه مكان تتم فيه أداء الصلوات الخمس، والجُمَع، وصلاة الكسوف والخسوف، والإستسقاء. ولهذه العبادات الجماعية آثار تربوية عظيمة، تم إيضاحها في الفصل الخاص بالآثار التربوية للعبادة.

كما يمكن أن توزع من خلال المسجد الصدقات والزكوات.

٢ - إقامة حلق العلم التي يعرف الناس من خلالها الحلال والحرام، والخطأ من الصواب، والصالح من الفاسد.

وقد يقول قائل: ألا توجد مدارس تقوم بهذه المهمة التعليمية ؟ فالجواب: بلى، توجد مدارس، ولكن يتميز التعليم في المسجد بمزايا لا توجد في المدارس، منها:

- الإقتداء بالرسول ﷺ: حيث كان مسجده عليه الصلاة والسلام مكاناً يُعلم فيه أصحابه، وكذلك الوفود التي تفدم إليه معلنة إسلامها. كما مر معنا آنفاً في الحديث الذي رواه واقد الليثي رضي الله عنه.

- فضل التعلم في المسجد، كما جاء في الحديث: (ما اجتمع قوم

---

(١) البخاري (١/ ٤٠-٤١) برقم (٦٦).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١/ ١٥٧).

في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه)[1].

- شمولية التعليم في المسجد لجميع أفراد المجتمع، على مختلف أعمارهم وصنائعهم، ومستواهم التعليمي ومؤهلاتهم الدراسية، الأمر الذي تفقده المدرسة بحكم رسالتها، وتنظيمها.

- لا يشترط للمعلم داخل المسجد مؤهلاً دراسياً معيناً، بقدر ما يشترط فيه الكفاءة العلمية التي تؤهله لذلك. في حين أنه يشترط للمدارس والجامعات المؤهل العلمي بصرف النظر عن المقدرة العلمية.

- يتسع التعليم في المسجد لأوقات طويلة، قد تمتد من بعد الفجر إلى العشاء.

- لايتطلب التدريس في المسجد أموراً إدارية كثيرة، كما هو الحال في المدارس، من قوى بشرية تديرها، ومكاتب ومستودعات، وغير ذلك من الأعباء الإدارية والمالية التي تترتب على إنشاء المدرسة.

٣ ـ تعليم الناس من خلال الخُطب والمواعظ.

٤ ـ قيام المسؤولين عن المسجد بزيارة المتقاعسين عن المحافظة على الصلوات وإرشادهم وتصحيح أفكارهم بما يجعلهم يُدركون أهمية الصلاة.

٥ ـ قيام المسؤولين عن المسجد بتفقد أحوال أهل الحي، ومعرفة الفقراء، والأغنياء، والعمل على جمع التبرعات والصدقات والزكوات من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء.

---

(١) ابن ماجة (١/ ٨٢) برقم (٢٢٥).

٦ - إيجاد التعارف بين المسلمين الذين يجتمعون في اليوم خمس مرات، حيث يُعتبر ذلك أفضل وسيلة للتعارف والتآخي من خلال ارتياد المسجد، وإفشاء السلام بينهم، قال رسول الله ﷺ: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، افشوا السلام بينكم)[1].

ولكن من الملاحظ قلة إفشاء السلام إذا توافق أو تقابل عدد من المصلين عند باب المسجد، وهنا يبرز دور القائمين على المسجد في تجسيد التآخي بين المصلين.

٧ - نشر الفضائل الخُلُقية ونبذ الرذائل من خلال الخطب والمواعظ التي تبين مكانة الأخلاق في الإسلام، وثواب من تخلق بأخلاق الإسلام، قال ﷺ: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خُلُقه)[2].

ويُستفاد من هذا الحديث علو مرتبة ومنزلة من حسن خُلُقه، فهي جديرة بالوعظ والإرشاد لأن حُسن الخُلُق يجمع الفضائل كلها.

٨ - إسهام القائمين على أمر المساجد بتوجيه من يحتاج إلى توجيه في أمر من الأمور، بأسلوب حسن يُحببه في المسجد وفي القائمين على شؤونه، حتى يسلك مسلكهم في التعامل مع الآخرين، ويتخلق بأخلاقهم، وينبغي أن لا يتم توجيهه بالعنف والغلظة والشدة، ولنا في رسول الله ﷺ أُسوة حسنة، حيث لم ينهر المسيء صلاته، كما جاء في الحديث، وإنما قال له ﷺ: (ارجع فصل، فإنك لم تصل) حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أُحسن

---

(١) مسلم (١/ ٧٤) برقم (٩٣-٥٤).

(٢) أبو داود (١/ ١٥٠) برقم (٤٨٠٠) واللفظ له. والترمذي (٤/ ٣١٥) برقم (١٩٩٤) وابن ماجه (١/ ١٩-٢٠) برقم (٥١).

غير هذا، علمني، فعلمه ﷺ كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم[1].

وكذلك الرجل الذي بال في المسجد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد، فزجره الناس، فنهاهم النبي ﷺ، فلما قضى بوله أمر النبي ﷺ بذنوب[*] من ماء فأهريق عليه)[2].

قال الصنعاني رحمه الله في ذلك: ومنها الرفق بالجاهل وعدم التعنيف، ومنها حُسن خُلُقه ﷺ، ولطفه بالمتعلم[3].

فمن خلال المسجد يستطيع القائمون عليه إصلاح الكثير من أخطاء المسلمين عن طريق التناصح بالحكمة والموعظة الحسنة.

٩ ـ ممارسة القائمين على المسجد بعض الأساليب التربوية كالتلطف مع الصغار ومعاملتهم بالأخلاق الفاضلة عند توجيههم، حتى لا ينفروا من المسجد، وحتى ينغرس فيهم حُسن الخُلُق من خلال القدوة والتطبيق العملي والتعامل المباشر معهم، فقد روى أبو قتادة رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ كان يُصلي وهو حامل أُمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها)[4].

وروى بريدة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام، وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم

---

(١) مسلم (١/ ٢٩٨) برقم (٤٥-٣٩٧).

(*) الذنوب: الدلو العظيمة، وقيل لا تسمى ذنوباً إلا إذا كان فيها ماء. النهاية (٢/ ١٧١).

(٢) البخاري (١/ ٩١) برقم (٢٢١) واللفظ له. ومسلم (١/ ٢٣٦) برقم (٩٩-٢٨٤).

(٣) الصنعاني، سبل السلام (١/ ٣٣).

(٤) البخاري (١/ ١٧٩-١٨٠) برقم (٥١٦) واللفظ له. ومسلم (١/ ٣٨٥) برقم (٤١/ ٥٤٣).

قال: صدق الله: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويتعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما)[1].

ومن ذلك يظهر اهتمام الرسول ﷺ ورحمته بالصبيان واعتناؤه بهم، مما يولد حبه في قلوبهم، ويميلون إليه، وهذا من تواضعه وكرم أخلاقه ﷺ، وحري بأمته أن يقتدوا به، ويقتفوا أثره في التوجيه التربوي، واستبدال تنفير الصبيان من المساجد ومن القائمين عليها بالتحبب إليهم حتى يُؤَثروا فيهم بحسن التوجيه وطيب المعاملة.

وتؤكد تلك الأحاديث اهتمامه ﷺ بالصبيان داخل المسجد، وترجمة تلك المشاعر إلى أفعال سلوكية، لأن وقعها في التربية أقوى، يقول ابن حجر، والبيان بالفعل قد يكون أقوى من القول، ويشير إلى قول ابن دقيق العيد على جواز إدخال الصبيان في المساجد، ويظهر في هذا الحديث تواضعه ﷺ، وشفقته على الأطفال، وإكرامه لهم، جبراً لهم ولوالديهم[2].

ومن ذلك يتضح أن المسجد يؤدي مهمة تربوية في حياة المسلمين إذا أحسن القائمون عليه الإستفادة منه في التعاون والتوجيه والإصلاح، ولكي يتحقق ذلك يتطلب الأمر أن يكون القائمون على المسجد على درجة طيبة من العلم وحب العمل.

التطبيقات التربويــة:

من التطبيقات التربوية التي يمكن أن تسهم في إعادة وظيفة المسجد التربوية ما يلي:

١ - إقامة الْحِلَق العلمية في داخل المساجد، وأن تكون على نوعين:

أ - دروس في الوعظ والإرشاد.

---

(١) أبو داود (١/ ٦٦٣-٦٦٤) برقم (١١٠٩) والترمذي (٥/ ٦١٦-٦١٧) برقم (٣٧٧٤) واللفظ له. والنسائي (٣/ ١٠٨) برقم (١٤١٣) وابن ماجه (٢/ ١١٩٠) برقم (٣٦٠٠).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١/ ٥٩٢).

ب ـ دروس علمية، في العلوم الشرعية، وآلاتها، كاللغة العربية، والمصطلح، وأصول الفقه. وينبغي أن يراعى في هذه الدروس حالة المتعلمين، من حيث إبتداؤهم وتقدمهم العلمي، حتى تحصل الفائدة لجميع قاصدي الحلق العلمية، وبالتالي يمكن أن تكون الدروس العلمية على مستويين:

- مستوى للمبتدئين.
- مستوى للمتقدمين.

وينبغي أن يراعى الوقت الذي يناسب الجميع على نحو ما يلي:

- وقت يتناسب مع أوقات أصحاب المهن والحرف. حيث يلاحظ أن البعض ينتهي من عمله وقت الظهيرة، والبعض مساءً، وهناك فئة متقاعدة عن العمل.
- وقت يتناسب مع حالة المتفرغين لطلب العلم.
- وقت يتناسب مع طلبة العلم غير المتفرغين، كطلبة الجامعات والمعاهد والمدارس.

٢ ـ إنشاء مكتبة ملاصقة للمسجد.

٣ ـ أن يُكفى الطلبة المتفرغين لطلب العلم مؤونة العيش والمسكن، بمساعدتهم بمبلغ من المال. يدفعه أهل الخير. أو من وقف يحدد للمسجد، وهو أفضل حتى تُسد حاجات المسجد منه.

٤ ـ أن يختار لها العلماء الأكفاء.

٥ ـ إعطاء الطالب إجازة علمية إذا رغب في ذلك.

٦ ـ إثارة اهتمام المجتمع إلى أهمية العلم، وفضل العلم في المساجد.

٧ ـ القيام بحصر الفقراء والأغنياء المجاورين للمسجد، وأخذ الزكاة والصدقات من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء.

٨ ـ تكوين مجموعة من أهل العلم والفضل لدراسة مشكلات أهل الحي الاجتماعية، والعمل على حلها بالمعروف، والحيلولة دون تفاقمها. فهناك مشكلات زوجية، ومشكلات بين الجيران، ومشكلات بين الأقارب، ومشكلات تتعلق بالأبناء، وفي مقدور أهل العلم والفضل السعي في حلها.

وبهذا تتضح الأهمية التربوية التي يمكن أن تؤدى من خلال المسجد، وأنه يؤدي وظائف علمية وتربوية واجتماعية لا يمكن إيجادها بدونه، ولذلك وجب الإهتمام بالمسجد اهتماماً يُعيد إليه وظيفته التي ينبغي أن تتحقق من خلاله.

المبحث الثاني
الأســــرة

تمهيد:

تعتبر الأسرة هي المحضن الأول للإنسان، إذ يعيش فيها أطول أطوار حياته، فيتشرب منها العقيدة والأخلاق والأفكار والعادات والتقاليد، ولذلك فإنها إما أن تكون مصدر خير للإنسان، أو معول هدم للدين والأخلاق والقيم.

وقد اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً فائقاً منذ تأسيسها، من حين الإختيار الزوجي، ومروراً بمسؤولية الأبناء، والعلاقات الأبوية والزوجية، ونهاية بالميراث، وبر الوالدين بعد وفاتهما، وهذه العناية لم تلتفت إليها النظريات الوضعية، قديمها وحديثها، وهذا دليل على حاجة وافتقار البشرية لهذا الدين في كل شؤونها.

وتواجه الأسرة في الوقت المعاصر أنواعاً من التحديات العقدية والفكرية والأخلاقية، وغيرها من التحديات المتنوعة، إضافة إلى خروج المرأة إلى ميدان العمل، وانشغال كثير من الآباء بالأمور الدنيوية المتنوعة والمتعددة، وقد نجم عن ذلك الكثير من المشكلات الزوجية والتربوية.

وسنحاول في هذا المبحث الوقوف على تلك المشكلات التي تواجه الأسرة، ليمكن تفاديها، وعلاجها، لأن أول خطوات المعالجة معرفة الخطأ وأسبابه.

مفهوم الأسرة:

أسرة الرجل: عشيرته، وأهل بيته، ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم.[1].

ومن هذا التعريف اللغوي للأسرة، يتبين أن هناك عدة دلالات للأسرة، تضيق وتتسع، وتدور حول رابطة القرابة، وهي:

١ ـ **أهل بيت الرجل**: وأهل بيت الرجل تطلق على الزوجة أحياناً كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾[٢] وقد روي أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته، وقد كنى الله تعالى عنه بالأهل[٣] وقد يتسع نطاق الأهل ليشمل الورثة جميعاً، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾[٤] إي مؤداة إلى ورثته[٥].

٢ ـ **العشيرة**: وقد يتسع نطاق الأسرة ليشمل عشيرة الرجل، وهم بنو أبيه الأدنون، وقيل قبيلته[٦].

٣ ـ **القوم والقبيلة**: وقد تمتد الأسرة لتشمل جميع أفراد القبيلة، وهم رهط الرجل الذين يتقوى بهم.

فأهل الرجل إذاً هم زوجته، وأبناؤه، وإخوته، وورثته.

وتعرف الأسرة تربوياً بأنها: الوعاء الاجتماعي الذي يتلقى الطفل ويتفاعل معها، ويشعر بالإنتماء إليها[٧].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٤/ ٢٠).
(٢) سورة النمل: آية رقم (٧).
(٣) الزمخشري، الكشاف (٣/ ١٣٣).
(٤) سورة النساء: آية رقم (٩٢).
(٥) الزمخشري، الكشاف (١/ ٢٨٩).
(٦) ابن منظور، لسان العرب (٤/ ٥٧٤).
(٧) علي خليل مصطفى أبوالعينين، القيم الإسلامية والتربية، ص (٣٨٧).

وهناك تعريفات أخرى للأسرة من زاوية القرابة الدموية، أو من زاوية العلاقات الزوجية، أو من حيث الإتساع العائلي، أو غير ذلك من التسميات بحسب اختلاف المنظور لأهداف وخصائص الأسرة، وامتداد وقصور العلاقة والمسؤولية لها[1].

وكما أن المنظور التربوي للأسرة ينبثق من المحيط المؤثر على الفرد، فإن التعريف الأنسب هو الذي يراعي ثلاثة جوانب:

١ ـ صلة القرابة.

٢ ـ التفاعل.

٣ ـ القرب المكاني.

وبالتالي فإن التعريف التربوي لا يركز على الأقارب البعيدين بعداً مكانياً عن موقع الأسرة، لأن تأثيرهم التربوي ليس بكبير، وبالتالي يمكن تعريف الأسرة: بأنها الجماعة التي تعيش في محيط مكاني واحد، وتربطهم صلة قرابة.

أهداف ووظائف الأسرة:

إن تكوين الأسرة في ضوء التربية الإسلامية لأهداف وغايات نبيلة، تنعكس نتائجها البناءة على الأسرة ذاتها، وعلى المجتمع أيضاً، والتي يمكن إيضاحها فيما يلي:

١ ـ اتباع سُنَّة النبي ﷺ، حيث قال عليه الصلاة والسلام: (النكاح من سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني)[2].

٢ ـ إشباع ما فطر عليه الإنسان من غريزة، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

---

(١) انظر، كتاب: دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعي في المجتمع العربي، للدكتور/ عبد المجيد سيد أحمد منصور، ص (٢٨-٤٠).

(٢) ابن ماجة (١/٥٩٢) برقم (١٨٤٦) وحسنه الألباني، في صحيح سنن ابن ماجة، برقم (١٤٩٦-١٨٤٦).

﴿ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾[1].

٣ ـ **الإنجاب**: وذلك استجابة لأمر الرسول ﷺ (تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)[2].

وهنا تبرز أهداف متعددة متباينة من إنجاب الولد، فالبعض يهدف من ذلك المكاثرة والتباهي، أو لتحقيق مصلحة دنيوية، كإعانته على أعباء الحياة والمصالح العامة، والبعض يهدف من إنجاب الولد تحقيق أمر الرسول ﷺ المشار إليه آنفاً، وأن يكون هذا الإبن داعية، أو عالماً ينفع الأمة بعلمه، أو مجاهداً يرفع راية الإسلام، وقد ضرب لنا زكريا عليه السلام المثل الطيب في ذلك، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[3].

فطلب زكريا للولد ليس كطلب غيره، قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه، ورأى غيره غير صالح لذلك، وكان بيته من البيوت المشهورة في الدين، ومعدن الرسالة.[4].

٤ ـ **تحصين الإنسان من الوقوع في المحرم** كالزنا، والنظر في ما حرم الله تعالى، قال النبي ﷺ: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء)[5].

---

(١) سورة آل عمران: آية رقم (١٤).

(٢) أبوداود (٢/ ٥٤٢٩) برقم (٢٠٥٠) والنسائي (٦/ ٦٥-٦٦) برقم (٣٢٢٧) وأحمد (٣/ ١٥٨) والحاكم (٢/ ١٦٢).

(٣) سورة مريم: الآيتان رقم (٥-٦).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣/ ١٩٢).

(٥) البخاري (٣/ ٣٥٥) برقم (٥٠٦٦) ومسلم (٢/ ١٠١٩) برقم (٣-..) ٤) البخاري (١/ ٤١) برقم (٦٧) ومسلم (٣/ ١٣٠٦) برقم (٣٠-١٦٧٩).

٥ ـ **حفظ الأنساب والأعراض**: لأن ترك الزواج والتهاون فيه قد يؤدي إلى الزنا، الذي يؤدي بدوره إلى انتهاك الأعراض واختلاط الأنساب، قال ﷺ: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذ، فليبلغ الشاهد الغائب)[١].

٦ ـ **المحافظة على فطرة الناشئ** من الزيغ والضلال، لأن الأصل في فطرة الناشئ السلامة والصحة، وأما الإنحراف فهو طارئ عليه، قال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[٢]، ومهمة الأسرة حفظ ما فطر عليه الأبناء، والعناية بهم، وتربيتهم التربية الصالحة.

٧ ـ **إشباع فطرة الإنسان في التكوين الأسري**، حيث أن الإنسان بفطرته يميل إلى بناء بيت يتحمل فيه المسؤولية، وينجب الأبناء، ويبني من خلاله مستقبله.

٨ ـ **إرواء الجانب العاطفي عند الأطفال**، لأن الطفل في هذه المرحلة يحتاج إلى البناء العاطفي من خلال إظهار الحب له بالمداعبة والرعاية، حتى تكون له بمنزلة القاعدة الاستقبالية التي تجعله يتقبل كل توجيه ممن يحبه[٣] ولايمكن أن يحصل على هذه المحبة المتكاملة إلا من خلال الأسرة.

وقد كان ﷺ كثير العطف على الأطفال، يداعبهم ويقبلهم، فعن يعلى ابن مرة أنه قال: (خرجنا مع النبي ﷺ، ودعينا إلى طعام، فإذا حسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يديه،

---

(١) البخاري (١/ ٤٢٤) برقم (١٣٨٥) ومسلم (٤/ ٢٠٤٧) برقم (٢٢-٢٦٥٨).

(٢) خالد بن حامد الحازمي، مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية، ص (١١).

(٣) الترمذي (٥/ ٦١٧) برقم (٣٧٧٥) وابن ماجة (١/ ٥١) برقم (٦٤٤) البخاري، الأدب المفرد.

فجعل الغلام يفر ههنا وههنا، ويضاحكه النبي ﷺ، حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه، والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه، ثم قال ﷺ: "حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، الحسين سبط من الأسباط)".

٩ - إرواء عاطفة الأبوة والأمومة: حيث أن الإنسان مفطور على ذلك، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[1].

١٠ - إقامة حدود الله تعالى: بأن يلتزم أطراف الأسرة أداء الحقوق والواجبات التي عليهم، في ضوء منهج الله تعالى، ومنها حقوق الزوجة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2] وقال ﷺ: (استوصوا بالنساء، فإن المرأة خُلِقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء)[3] قال ابن حجر: إن أعوج ما في المرأة لسانها، فإن أردت منها أن تترك إعوجاجها أفضى الأمر إلى فراقها، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها[4].

المشكلات التربوية الأسرية:

إن التغير الاجتماعي الذي واكب التصنيع والتقنية ترك آثاراً متعددة في السلوك الأخلاقي للأسرة، فقد خرجت المرأة مع الرجل إلى العمل في المجتمعات المعاصرة، منصرفين عن مسؤولية تربية الأبناء ورعايتهم والقيام

(١) سورة آل عمران: آية رقم (١٤).

(٢) سورة النساء: آية رقم (١٩).

(٣) البخاري (٢/ ٤٥١) برقم (٣٣٣١).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (٦/ ٣٦٨).

بمتطلباتهم المتعددة المتنوعة، ليعودوا إلى البيت منهكين متعبين من عناء العمل، فيخلدون إلى الراحة، مما يجعل الأبناء يفقدون عواطف المحبة والرحمة والحنان والرعاية والتوجيه السليم لأخلاقهم، وبذلك تفقد الأسرة أبناءها، وتتيح لهم فرصة تعلم الكثير من الأخلاق السيئة والعادات الضارة من الشارع والصحبة السيئة[1] وقد أثبتت الدراسات النفسية أن الطفل إذا أحس بفقد العطف والحنان والرعاية، ترجم ذلك في تصرفات، يُريد بها إثارة الإنتباه واستدرار عطف والديه، ثم تنعكس هذه الآثار في مستقبل الطفل، فيصبح قاسياً في سلوكه، ساخطاً على المجتمع[2] في حين نجد أن التوجيهات الإسلامية تحث على العطف والرعاية للأبناء وإشعارهم بالحب والحنان، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ، قالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم فقالوا: لكنا والله ما نقبل. فقال رسول الله ﷺ: "أو أملك أن كان الله نزع منكم الرحمة؟")[3].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدُني على فخذه، ويقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: "اللهم ارحمهما فإني أرحمهما")[4].

كما تتعرض الأسرة لكثير من التيارات التي تعرقل السير على المنهج الصحيح للتربية الإسلامية، ومن ذلك اقتحام أجهزة الإعلام أنحاء العالم سواء المكتوبة، أو المسموعة، أو المرئية، والتي تبث ما تريد من المؤثرات التي تقود أفراد الأسرة إلى التفكك والإنحلال الخُلُقي، حيث أصبحت البرامج المرئية لا تحجبها الحدود الدولية، ووعورة الطرق، وطول المسافات.

---

(١) عباس محجوب، أصول الفكر التربوي في الإسلام، ص (٢٥٦).

(٢) المرجع السابق، ص (٢٥٥).

(٣) مسلم (١٨٠٨/٤) برقم (٦٤-٢٣١٧).

(٤) البخاري (٩٢/٤) برقم (٦٠٠٣).

وهذه المؤثرات الإعلامية التي تواجه الأسرة أحدثت في بنيتها الكثير من المفاهيم الخاطئة التي نجم عنها العديد من المشكلات على مستوى الحياة الزوجية وعلى مستوى الأبناء.

ومن ذلك يتأكد أن الأسرة في الوقت الراهن تواجه تحدياً متنوعاً من التيارات التي تغزو البيوت فتقودها إلى التفكك، وعدم الإلتزام بمنهج التربية الإسلامية.

كما أن الجهل بالتعاليم الإسلامية أو التهاون في تطبيقها من أبرز أسباب تفكك الأسرة وتفتت كيانها. وكذلك للمحيط الاجتماعي آثار مباشرة على الجانب العقدي والتعبدي والأخلاقي والفكري للأسرة.

وكما أن الجهل بحجم المشكلات وآثارها مدعاة للإرتكاس فيها وعدم التفكير في حلها، فإنه من أجل هذا كان لزاماً على الأبوين وأفراد الأسرة أن يتعرفوا على حجم ونوعية هذه المشكلات حتى يمكن مواجهتها. والتي يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

أ ـ مشكلات عامة.

ب ـ مشكلات زوجية.

ج ـ مشكلات أبناء.

أولاً: المشكلات العامة:

من المشكلات العامة التي تواجه الأسرة في المجتمعات الإسلامية ما يلي:

أ ـ مشكلة تحديد النسل:

من أبرز المشكلات التي تهدد الأسرة المسلمة ظاهرة تحديد النسل، التي ارتفع صداها في الأوساط الأسرية في العالم تحت ستار التنظيم الأسري، ومحدودية الدخل، وضيق المساحة السكانية، وتزايد سكان العالم، وقلة الموارد الاقتصادية.

فاغترت بعض الأسر في البلاد الإسلامية بتلك الدعاية المغرضة، فاستجابة في سكون وهدوء، حتى برز من يتبنى ذلك بدعاوى باطلة، منها ما يتعارض مع حقيقة الإيمان الصحيح، مثل محدودية الدخل، وقلة الموارد الاقتصادية، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾[1].

وقد كانت صورة ذلك في الجاهلية أنهم كانوا يئدون البنات خشية العار، وربما قتلوا الذكور خشية الإفتقار وهو الإملاق، قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيره، هو الفقر، أي لا تقتلوهم من فقركم الحاصل[2] أما صورة ذلك اليوم هو التسبب في إيقاف النسل خشية أن الدخل لا يكفي والله تعالى يقول: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾.

كما أن في تبني دعوى تحديد النسل ما يتعارض مع أمر النبي ﷺ (تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)[3][4].

ب ـ مشكلة التأخر في الزواج:

إن من سنن الله الاجتماعية والنفسية في خلقه أن جعل في البشر والحيوان دواعي النكاح والإنجاب والتكاثر، ومقتضيات ذلك من التآلف بين الرجل والمرأة، حيث يظهر ذلك من سن البلوغ، ولكن يتأخر الكثير من الشباب عن الزواج إلى سن الخامسة والعشرين أو الثلاثين، وربما أكثر من ذلك، ويترتب على هذا أن تتأخر مجموعة من الفتيات في الزواج نتيجة تأخر من يأتي إليهن. وفي هذا من المفاسد الشيء الكثير التي منها ما يلي:

---

(١) سورة الأنعام: آية رقم (١٥١).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ١٩٥-١٩٦).

(٣) البخاري (١/ ٤١) برقم (٦٧) ومسلم (٣/ ١٣٠٦) برقم (٣٠-١٦٧٩).

(٤) للمزيد في هذا الموضوع انظر كتاب: المنظور الإسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل، للدكتور حلمي عبد المنعم صابر، سلسلة دعوة الحق، تصدرها رابطة العالم الإسلامي، السنة الثامنة، العدد ٩٢، عام ١٤١٩هـ ١٩٨٩م.

- عدم المسارعة في تنفيذ وصية الرسول ﷺ للشباب بالزواج (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج)[1].
- عدم سد باب الذرائع المؤدية إلى الوقوع في الحرام: كالنظرة المحرمة، والوقوع في فاحشة الزنا.
- التأخر في إنجاب النسل الذي سيباهي به الرسول ﷺ يوم القيامة.
- ظهور ظاهرة العنوسة عند الفتيات بسبب التأخر في الزواج.

وظاهرة التأخر في الزواج لها أسباب مختلفة بحسب البيئات الاجتماعية، فقد يكون السبب هو غلاء المهور، أو العادات، أو متطلبات وتكاليف الزواج المالية والمادية، أو قلة توفر المسكن وغلاؤه.

ج ـ التفكك في العلاقات الأسرية:

إن من المشكلات التي تواجهها الأسرة المعاصرة التسابق المادي، وراء الكسب المالي، وانتقال كثير من الكماليات إلى الضروريات، مما أدى إلى التقصير في جانب العلاقات الأسرية، وضعف الصلات، وربما تفاقم الأمر ونتج عنه قطيعة الرحم التي قال عنها ﷺ: (الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)[2] والمراد تعظيم شأنها، وفضيلة واصليها، وعظيم إثم قاطعيها[3].

كما أن صلة الرحم من أبواب بسط الرزق وبركة العمر، قال ﷺ: (من أحب أن يُبسط له في رزقه وينسأ[*] ....

(١) البخاري (٣/ ٣٥٥) برقم (٥٠٦٦) ومسلم (٢/ ١٠١٩) برقم (٣/ ١٠٠٠) واللفظ له.

(٢) البخاري (٤/ ٩٥-٩٦) برقم (٦٠٢٤) ومسلم (٤/ ٢٠٠٣-٢٠٠٤) برقم (٧٧/ ٢٥٩٣) واللفظ له.

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١١٢).

(*) نسأ: النسء أي التأخير، يُقال: نسأت الشيء نَسْأً، وأنْسَأته إنساء إذا أخرته. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٤٤) وهذه الزيادة كناية عن البركة في العمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة، =

له في أثره فليصل رحمه)[1].

د ـ فقد الكبير بعض حقوقه:

إزاء الإندفاع وراء الكسب المالي والجمع المادي، والتنافس في ذلك ظهر التقصير في الجانب التربوي داخل بعض الأسر، فلم يُنَشَّأ الناشئة على تقدير الكبير واحترامه، ومعرفة حقه ومكانته، وظهر من يتهاون في حقوق الكبار الأدبية، كالمبادرة بالحديث قبلهم، والسير أمامهم، في الوقت الذي رفع الإسلام من شأن الكبير، وحفظ له حقوق كبر السن وظهور الشيب في مفرقه ولحيته.

ويلحق بذلك عدم توقير أهل العلم والفضل، بما فضلهم الله تعالى به من العلم النافع، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

هـ ـ ضعف تقبل تعدد الزوجات:

إن من سنن الله تعالى الاجتماعية في خلقه أن أباح للرجال النكاح مثنى وثلاث ورباع، قال تعالى: ﴿[فَٱنكِحُوا۟] مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾[3].

والمشكلة لا تكمن في قلة عدد الذين يأخذون بالتعدد، فهذا كل بحسب رغبته وطاقته وحاجته وقدرته على العدل، ولكن المشكلة تكمن في محاربة ذلك بأساليب النقد الاجتماعي، والإنكار على من تزوج بأكثر من امرأة، وكأنه خرق قاعدة أصولية للمجتمع، وربما وُجهت له الأسئلة التي تحمل في طياتها الإنكار على ما صنع. والنقد الاجتماعي من أهم وأقوى أسباب عدم الأخذ بالتعدد.

= وصلة الرحم تكون سبباً للتوفيق للطاعة، والصيانة عن المعصية، فيبقى بعده الذكر الجميل. انظر فتح الباري (١٠/٤١٦).

(١) البخاري (٤/٨٩) برقم (٥٩٨٥) واللفظ له. ومسلم (٤/١٩٨٢) برقم (٢٠-٢٥٥٧).

(٢) سورة الزمر: آية رقم (٩).

(٣) سورة النساء: آية رقم (٣).

ومن أساليب إضعاف التعدد لذوي الحاجات والضرورات، الأسلوب القصري بسن الأنظمة والقوانين التي تمنع التعدد، والتي ما أنزل الله بها من سلطان.

والبعض يثير نقطة تربوية مشبوهة حول التعدد، بأن الزواج بأكثر من واحدة يؤدي إلى الكثير من المشكلات الأسرية، ويكون سبباً رئيساً وراء انحراف الأبناء. ولو كان الأمر كذلك لما أباح الإسلام التعدد، فهذا فهم خاطئ، واستنتاج في غير محله، مبني على مقدمات مغلوطة، إذ إن المشكلات الزوجية، وانحرافات الأبناء ثمرة للتربية السيئة والتي سيتم مناقشتها لاحقاً إن شاء الله تعالى، وليست بسبب التعدد، إذ إن المشكلات الزوجية ليست مقصورة على من تزوج بأكثر من واحدة، بل تجد ذلك حتى عند من اقتصر على زوجة واحدة، وقد أثبتت إحدى الدراسات الميدانية التي طبقت في مجتمع ربع عينته من الآباء المتزوجين بأكثر من واحدة، بنسبة (٢٣،٧٪)[١] واتضح أن نسبة عدم وجود مشكلات أُسرية (٤٠٪) وأن نسبة وجود بعض المشكلات إلى حد ما (٣٧،٣٪) ونسبة وجود مشكلات أُسرية (٢٢،٧٪)[٢].

وهذه النسبة تؤكد وتُدلل على أن التعدد لا يحمل ما يتوقعه بعض الناس من وجود مشكلات أُسرية، خاصة مع وجود العدل بين الزوجات، وإقامة حُدود الله تعالى داخل الأسرة، وأداء الحقوق الزوجية.

ثانياً: المشكلات الزوجية:

إن الخلافات الزوجية لا يكاد يسلم منها بيت من البيوت، ولكن المشكلة في كون هذه الخلافات تتحول من ظاهرة أُسرية طبيعية، إلى أزمات تهدد كيان الأسرة وتُنذر بالخطر.

وتتعدد وتتنوع الخلافات الأسرية كماً ونوعاً، فبعضها يقوم على

---

(١) وليد شلاش نايف شبير، مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها، ص (٣٣٢).

(٢) المرجع السابق، ص (٣٣٨).

الاختلاف في الرأي حول الضروريات المنزلية والكماليات، فما يراه الزوج كمالياً قد تراه الأم ضرورياً، وإزاء هذا الاختلاف يحدث الخلاف.

وبعض الخلاف ينصب على تربية الأبناء وحاجياتهم، فما يراه الأب من مصلحة الأبناء ترى الزوجة عكس ذلك، وبعضها يتمحور، في عدم القناعة بالطرف الآخر، ونظراً لكثرة تنوع الخلافات الزوجية وتباينها بين الأسر، فإنه من الأنسب التطرق إلى الأسباب العامة التي تكمن وراء هذه الخلافات، والتي إذا عُرفت سهل بإذن الله تعالى علاجها، ويمكن تلخيصها تحت العنوان التالي:

أسباب الخلافات الزوجية:

إن أسباب هذه الخلافات على ضربين، بعضها قبل الزواج، وبعضها بعده، ويمكن عرضها فيما يلي:

أولاً: الأسباب التي قبل الزواج:

إن هناك أسباباً سابقة للزواج مساعدة على حدوث الخلافات بعد بناء البيت الأسري، وقد تؤدي هذه الأسباب إلى تفككه وانهياره، ولذلك وجب التنبه لها، وأخذها مأخذ الجد، ومن تلك الأسباب:

١ ـ عدم رضا أحد الطرفين على الآخر:

من الأمور التي يتحقق بها سلامة العقود الرضا والقبول بين أطراف العقود، سيما عقد الزواج الذي يرتبط به تأسيس المنزل الأسري، والذي سيكون محضناً تربوياً للأبناء، وسلامة هذا المنزل مرتبطة برضا الطرفين على الآخر رضاً خالياً من الضغوط الأسرية، أو النفسية.

وقد حمى الإسلام حمى هذا العقد الزواجي من الإكراه، فحمى إرادة الفتاة من الإكراه والتعسف في حقها، وجعل موافقتها من سلامة العقد، قال ﷺ: (لا تنكح الأيم حتى تُستأمر، ولا تنكح البكر حتى تُستأذن.

قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال: أن تسكت)[1] وقال ﷺ: (الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر يستأذنها أبوها في نفسها، وإذنها صماتها، وربما قال: وصمتها إقرارها)[2].

قال ابن القيم: وموجب هذا الحكم أنه لا تجبر البكر البالغ على النكاح، ولا تُزوج إلا برضاها وهذا قول جمهور السلف[3].

٢ ـ عدم سلامة الإختيار:

قد يتجاوز الزوجان المرحلة الأولى دون أية ضغوط من قبل الأسرة، ولكن قد يحدث الاختيار السيء، فتختار الزوجة أو الأسرة الزوج غير الكفء تحت وطأة الاعتبارات والمواصفات الوقتية التي لا يقوم عليها صلاح البيت والتواد والتراحم، أو أن يحدث ذلك الاختيار السيء من قبل الزوج للزوجة غير الصالحة.

وقد بيَّن الإسلام المواصفات التي يُبنى عليها الاختيار، ثم رجح الأفضل منها، فقال ﷺ: (تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)[4].

فالإختيار السيء من قبل أحد الزوجين أو من كليهما يقود الحياة الزوجية إلى الخلافات التي تنعكس على الجوانب التربوية للأبناء. فمن هنا يجب على الزوجين أن يُحسنا الاختيار.

ثانياً: أسباب بعد الزواج:

قد يتجاوز التكوين والبناء الأسري مرحلة ما قبل الزواج بسلام، لكنه يخفق في إدارة البيت الأسري، أو في أداء الحقوق الزوجية فيسوقه ذلك إلى الخلافات الأسرية، والتي يمكن بيان مجمل أسبابها فيما يلي:

---

(١) البخاري (٤/ ٢٩١) برقم (٦٩٧٠) ومسلم (٢/ ١٠٣٦) برقم (٦٤-١٤١٩).
(٢) مسلم (٢/ ١٠٣٧) برقم (٦٨-١٤٢١).
(٣) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد (٥/ ٩٦).
(٤) البخاري (٣/ ٣٦٠) برقم (٥٠٩٠) ومسلم (٢/ ١٠٨٦) برقم (٥٣-١٤٦٦) واللفظ له.

١ ـ التساهل في أداء الحقوق الزوجية:

من أهم وأبرز عوامل التفكك الأسري تساهل الزوجين، أو أحدهما في حقوق الآخر، فتبرز بذلك الخلافات الزوجية، التي قد تؤول بهما إلى التنائي بدل التداني.

فإن الإنسان بطبعه يكره من يتعسف بحقوقه، أو يطفف فيها ويُنقصها عن ما يجب أن تكون عليه، فكيف إذا كان الذي يتعسف بهذه الحقوق أحد أفراد الأسرة، فإن وقعها على النفس ذو ألم شديد.

والإسلام لم يترك الحقوق الزوجية هملاً، يقدرها الزوجان، أو يتعسف بها أحدهما أو كلاهما، وإنما حددها وحدد معاييرها بما يجعل البيت الأسري في تآلف ووفاق، لا في تنافر وشقاق، ومن تلك الحقوق التي للزوجة ما يلي:

- حُسن العشرة: قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾(١) والمعروف شامل لكل أوصاف المعاشرة، القولية والفعلية، من حُسن الصحبة، وبذل الإحسان، وجميل المعاملة، وكف الأذى(٢).
- العدل بين الزوجات: قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ﴾(٣) أي فإن خفتم من التعدد أن لا تعدلوا في الميل والمحبة والجماع والعشرة والقسم بين الزوجات الأربع والثلاث والإثنتين فواحدة، فمنع الزيادة التي تؤدي إلى ترك العدل في القسم وحسن العشرة، وذلك دليل على وجوب ذلك(٤).

وكما أن العدل المطلق في المحبة ليس من مقدور الإنسان، فعليه أن

---

(١) سورة النساء: آية رقم (١٩).

(٢) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٣٣٢).

(٣) سورة النساء: آية رقم (٣).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٥).

يتحرى العدل ما أمكنه ذلك، والإسلام يؤكد الطبيعة البشرية ولا يتغافل عنها، بل يؤكدها ويوجهها، قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾[1] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل، ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)[2].

- النفقة: قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[3] أي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه فيوسِّع عليهما إذا كان موسَّعاً عليه، ومن كان فقيراً فعلى قدر ذلك، فتقدر النفقة بحسب الحالة من المُنْفِقِ، والحاجة من المُنْفَقِ عليه، بالإجتهاد على مجرى حياة العادة[4].

- التربية: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[5].

فمن حقوق الزوجة أن يوجهها التوجيه التربوي الذي يربي فيها تقوى الله تعالى، ومحبته وطاعته واجتناب نواهيه، حتى يكون ذلك وقاية لها من النار التي وقودها الناس والحجارة.

ومجمل حقوق الزوجة تضمنها قوله ﷺ لمن سأله عن حق زوجته: (أن تُطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تُقبح، ولا تهجر إلا في البيت)[6] قال ابن عباس في الضرب:

---

(١) سورة النساء: آية رقم (١٢٩).

(٢) ابوداود (٢/ ٦٠١) برقم (٢١٣٤).

(٣) سورة الطلاق: آية رقم (٧).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١١٢).

(٥) سورة التحريم: آية رقم (٦).

(٦) ابوداود (٢/ ٦٠٦) برقم (٢١٤٢) وابن ماجة (١/ ٥٩٣-٥٩٤) برقم (١٨٥٠).

ضرباً غير مبرح، قال الحسن البصري: يعني غير مؤثر، قال الفقهاء: هو أن لا يكسر فيها عضواً، ولا يؤثر فيها شيئاً[1].

ومن حقوق الزوج على زوجته ما يلي:

- الطاعة وحسن العشرة: قال ﷺ مبيناً عظم حق الزوج: (لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله لهم عليهن من حق)[2].
- عدم التبرج: قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[3] قال القرطبي: وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى[4].
- حفظ الزوج في نفسها وماله وولده، قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾[5] قال السدي وغيره: أي تحفظ زوجها في غيبته، في نفسها وماله[6].

٢ ـ ضعف القوامة:

إن من أهم الدعائم للبناء الأسري قوامة الرجل وسيادته في المنزل، والإسلام هو الذي منح الرجل هذه القوامة لاعتبارات بينها الله تعالى، قال عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾[7].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/ ٤١٦).

(٢) أبوداود (٢/ ٦٠٤) برقم (٢١٤٠) والترمذي (٣/ ٤٦٥) برقم (١١٥٩) وابن ماجة (١/ ٥٩٥) برقم (١٨٥٣) أحمد (٤/ ٣٨١).

(٣) سور الأحزاب: آية رقم (٣٢-٣٣).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١١٧).

(٥) سورة النساء: آية رقم (٣٤).

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٠٣).

(٧) سورة النساء: آية رقم (٣٤).

وحسر القوامة على الرجل دون المرأة لما تميز به الرجل من خصائص انفرد بها عن المرأة، "فإن الرجال لهم فضيلة في زيادة العقل والتدبير، فجعل لهم حق القيام عليهن لذلك، وقيل للرجال زيادة قوة في النفس والطبع ما ليس للنساء، لأن طبع الرجل غلب عليه الحرارة، واليبوسة، فيكون فيه قوة وشدة، وطبع النساء غُلب عليه الرطوبة والبرودة، فيكون فيه معنى اللين والضعف، فجعل لهم حق القيام عليهن بذلك[(١)].

وإذا ترك الرجل هذه المهمة القيادية التي أُوكلت إليه فإنه قد فرط فيما يعينه على أداء حق المسؤولية، وبالتالي إما أن تظفر بالقيادة الزوجة، فتسيء استخدامها لما غلب على طبعها من الليونة والبرودة والضعف، فيحصل التوجيه غير الدقيق، ومن ثم تحصل الخلافات لأن الرجل بطبعه لا يرضى بقيادة المرأة مع وجوده لما جبل عليه. وإما أن يحصل غير ذلك بأن تصبح القيادة تسيبية، فَيُتْرك الحبل على الغارب، فيصبح لكل فرد في الأسرة الحرية المطلقة، مما يجعل المنزل في حالة من التسيب، فيترتب على ذلك ضعف تقبل التوجيهات الأبوية، فيحدث الخلل والشتات الأسري وقد يتبعه الانحراف.

لذلك فإنه من الأهمية بمكان التزام الرجل بقوامة الأسرة وأن لايفرط فيها، وفي نفس الوقت أن لا يستبد بها، وينحرف بها عن جادة الطريق، فيصبح زوجاً ووالداً لا يحترم لأسرته رأياً ولا قدراً، ومستبداً في آرائه، شديداً في تصرفاته فينفر منه الأهل والأبناء، كما لا يربي فيهم روح المشورة.

٣ ـ المؤثرات الخارجية:

إن هناك مؤثرات خارجة عن المنزل الأسري لها الأثر الفاعل في بث الخلافات الأسرية بين أفرادها، وهي تختلف في درجة حدتها بحسب قوة المؤثر، وبحسب استعداد أحد الزوجين أو كلاهما لتلك المؤثرات، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١١١).

أ ـ المحيط الاجتماعي:

إن للأسرة حُرمة يفسدها الآخرون بتدخلاتهم في شؤونها، فالبعض من الناس لا يحفظ خلافاته وشؤونه داخل بيته، بل يعلنها للآخرين من أقارب الزوج والزوجة والجيران، وقد يتدخل تبعاً لذلك الأقارب على سبيل الإنتصار للزوج أو للزوجة، ويتضخم الخلاف، وتقوى حدته، فتزداد الشُقة بينهما.

ولكن ينبغي للزوجين أن لا يبوحا بما يحدث بينهما من خلاف، وأن لا يخرجاه خارج نطاق المنزل، إلا إذا دعت الضرورة لذلك، وعلى أن يكون من باب الإصلاح اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[1].

ب ـ العادات والتقاليد:

قد تكون العادات والتقاليد الاجتماعية حسنة، وقد تكون سيئة، والحسنة منها لا خلاف في ثمارها الطيبة، ولكنها قد تتجاوز الحدود المعتبرة، فتكون سيئة لما يترتب على ذلك التجاوز، فينعكس أثرها على الوفاق الزوجي، فربما بدده، وزرع مكانه الشقاق وعدم الوفاق، ومن أمثلة ذلك: ما تتكلف به المرأة من هدايا بالغة التكاليف، نتيجة العادات والتقاليد، أو مثل: أن تتكلف المرأة في ملبسها بما يصل إلى درجة الإسراف، وهذا التجاوز في العادات والتقاليد قد تؤول بالوفاق الزوجي إلى الخلاف الذي قد ينجم عنه التنائي بدل التداني.

ومن العادات ما تكون سيئة في ذاتها، لمخالفتها الآداب الشرعية، وربما أفضى العمل بها إلى ارتكاب محرم أو مكروه، كاختلاط الأقارب من غير المحارم، وما قد ينجم عنه، وما يتسبب فيه من خلافات زوجية.

---

(١) سورة النساء: آية رقم (٣٥).

ج ـ الوسائل الإعلامية:

إن للوسائل الإعلامية تأثيراً بارزاً في الحياة الاجتماعية من خلال أنشطته المقروءة أو المسموعة أو المرئية، ذات التأثير الفاعل على الحياة الاجتماعية، ومن صور ذلك:

وصف القيم الاجتماعية بالتخلف، وضرورة التحرر من التقاليد وكسر الآداب الاجتماعية التي حث عليها الإسلام وأمر بها، من خلال حشد القصص والروايات بالخيانات الزوجية، والعلاقات الفاسدة، وبيان الطرق والأساليب في ذلك، وبما يفتح ذهن المرأة على ما لم يخطر ببالها.[1].

وقد يكون التأثير بأمور أخرى مثل: هيئة اللباس وأُسلوب التعامل الذي يرفضه الإسلام.

وكما أن الزوج المسلم لا يرضى بالفوضى الزوجية فإنه بالتالي سيقف أمام تأثر الزوجة بما تقرأ، أو تشاهد، فيحدث الخلاف، وربما أعقبه ما لا تحمد عقباه، كأن يفضي الخلاف إلى الطلاق، وما يترتب عليه من انعكاسات تربوية على الأبناء.

ثالثاً: مشكلات الأبناء:

إن الأسرة في أي مجتمع من المجتمعات لا تخلو من مشكلات الأبناء ولكنها تتفاوت في حجمها وحدتها وخطورتها من مجتمع إلى آخر، ومن أسرة لأخرى، وقد تتفاقم هذه المشكلات لتصبح من المعضلات التربوية التي تواجه الأسرة وتؤرق الأبوين، وهذه المشكلات عديدة ومتنوعة، ويمكن تصنيفها إلى ما يأتي:

أولاً ـ مشكلات في الجانب العقدي والتعبدي:

إن ضعف الجانب العقدي والتعبدي عند الفرد لهو من أخطر ما يصيب الإنسان، لنتائجه الوخيمة السيئة عليه في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر كتاب الإعلام والتيارات الفكرية المعاصرة، سعيد عبد الله حارب، ص (٥٧-٦٣).

فإن مما يشوه تربية الناشئة ويحرفهم عن تحقيق العبودية الصحيحة هو انحرافهم في جانب العقيدة، وذلك بأن يتسرب لهم الإنحراف من موروثات الآباء والأجداد، أو من البيئة المحيطة بهم، حيث تجد ألفاظاً وتصرفات تؤكد الخلل في التربية العقدية التي تتنافى مع الإخلاص لله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1].

ومن أمثلة الإنحرافات العقدية، كما هو مشاهد في بعض المجتمعات الإسلامية: الحلف بغير الله تعالى (بالنبي ﷺ وبالشرف وبالأمانة) وأيضاً التعلق بغير الله تعالى في ابتغاء المطلوب، كالإعتماد على الأسباب فقط، أو طلب العون من الأموات، والطواف بالقبور، ونحو ذلك.

كما أن هناك تقصيراً في الجانب التعبدي، بما يتنافى مع الحقيقة من خلق الإنسان، قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

إن التربية الخاطئة وراء هذا التقصير، خاصة وأن ضعف الوازع الديني والتهاون في أداء العبادات أمر ملموس ومشاهد بين الشباب في أوساط المدارس والجامعات[3].

ومن صور التقصير في جانب العبادات ما يلي:

- التهاون في أداء الصلوات، فقد أشارت إحدى الدراسات الميدانية التي طبقت في عينة من المجتمعات الإسلامية أنه بسؤال عينة البحث عن مدى التزامهم بأداء الصلوات؟ أجاب ٥٥،٧٪ أنهم يواظبون دائماً على الصلوات وأجاب ٣٨،٣٪ أنهم يواظبون عليها أحياناً، وأجاب ٦٪ لا يواظبون عليها[4].

وبالرغم من أن الغالبية يواظبون على الصلاة إلا أن التربية الإسلامية تهدف إلى أن يواظب الجميع على أدائها.

---

(١) سورة البينة: آية رقم (٥).

(٢) سورة الذاريات: آية رقم (٥٦).

(٣) وليد شلاش نايف شبير، مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها، ص (٧٧).

(٤) المرجع السابق، ص (٢٦٦).

ونتيجة البحث تؤكد أن هناك قصوراً تربوياً في هذا الجانب، حيث يوجد ٣٨،٣٪ لا يواظبون عليها دائماً، ونحن نهدف إلى تربية الجميع على إقامة الشعائر التعبدية بأعلى نسبة نستطيعها، لأننا لم نُخْلَق إلا لعبادة الله تعالى.

- وهناك أمور تعبدية كثيرة يحصل فيها التقصير، كقراءة القرآن الكريم، والعناية بحفظه، وتلاوته تلاوة صحيحة.
- ومن الأمور التي يقصر فيها الأبناء عدم الإهتمام بذكر الله تعالى كالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.
- إن مما يتعبد الإنسان به ربه عز وجل بره لوالديه، ولكن هناك قصوراً في هذا الجانب، فبعض الأبناء مُقَصِّر مع والديه في برهما، وربما كان عاقاً لهما بالعصيان والتمرد، ويظهر ذلك في صور متعددة، وهي تتفاوت بين الأبناء في درجتها.

ثانياً ـ مشكلات خُلُقية:

إن الإنحرافات الخُلُقية التي قد تبرز عند بعض الأبناء متعددة متنوعة، ومتباينة في حجمها وخطورتها، وقد تكون في الألفاظ وقد تكون في الأفعال كآداب الطعام والشراب والنوم واللباس، وقد تتعلق بالتعامل الأسري أو بمعاملاتهم مع الآخرين، وقد تتجاوز الآداب العامة إلى أعمق من ذلك. ومن أمثلة المشكلات الخُلُقية ما يلي:

١ ـ جنوح الأحداث:

إن جنوح الأحداث يشتمل على المظاهر الإنحرافية التي لها طابع.

إجرامي، مثل السرقة والإعتداء والاغتصاب، وشرب الخمور والمخدرات، وغير ذلك من الإنحرافات الشاذة[1].

---

(١) المرجع السابق، ص (٧٠).

٢ ـ ضعف الإحترام والتقدير:

من مظاهر المشكلات الأسرية والاجتماعية عدم توقير الصغار للكبار، ومعرفة مكانتهم وسنهم، وأدب التخاطب والتعامل مع الكبار، حتى ظهر من الصغار من يعاند ويتمرد على الكبار بالكلام والفعال، كالمجاهرة أمامهم بالمعاصي كشرب الدخان، والتحدث أمامهم بما لا يليق، أو مسابقتهم في الحديث، أو عدم إعطاء المجالس حقها من الآداب.

وبالرغم من كثرة أنواع المشكلات المتعلقة بالجانب الأخلاقي إلا أنها تتمحور فيما سبق ذكره، أما الأسباب التي تكمن وراء المشكلات الخُلُقية فهي:

- تغفل الوالدين عن الأبناء، وعدم مراقبتهم، وملاحظة سلوكهم داخل وخارج الأسرة.

- السلوك الخاطئ لبعض أفراد الأسرة سيما إذا كان من الوالدين، ومن أمثلة التصرفات الخاطئة والقدوة السيئة: الكذب على الأبناء، أو غرور أحد الوالدين أو كلاهما؛ وما يصاحب ذلك من كثرة الثناء على النفس، أو اشتمال المجلس العائلي على الغيبة والنميمة، مما يجعل الأبناء يتأسون بأفراد الأسرة في ذلك، وأحياناً يكون منبعها حب الفضول عند الأبوين، كأن يذهب الإبن يلعب عند جيرانه، وعندما يعود يُسأل ماذا وجدت عندهم ؟ أو ماذا كانوا يقولون ؟ أو ماذا؟؟؟ وكثير من الأسئلة التي تنبه الإبن على تقصي الأمور فيما بعد، والتحسس والتجسس حتى يظفر بالإجابة على أسئلة والديه، وربما في المرات القادمة يأتي بالأخبار قبل أن يُوجه إليه السؤال.

ولكن كيف لو كان الأبوان متمسكين بآداب الإسلام، فعندما يشاهدان سلوكاً قبيحاً ينهيانه عن ذلك، كأن يأتي الإبن بأسرار الجيران والأقارب فيقال له: أصمت، هذا لا يجوز، وهذا حرام، أتحب أن يطلع أحد على أسرارنا؟ فتكون التربية تبصيرية بناءة.

٣ ـ الشجار بين الأخوة:

من الإضطرابات السلوكية في داخل الأسرة؛ وجود الشجار بين الإخوة، بما ينقله من ظاهرة طبيعية إلى مشكلة تؤرق الأبوين، فالإختلاف الأسري أمر لا يكاد أن يسلم منه بيت من البيوت، ولكن المشكلة تكمن في تصعيده وتكراره بشكل غير طبيعي، ومن الأسباب التربوية التي تؤدي إلى ذلك ما يلي:

أ ـ عدم العدل بين الأخوة في المحبة والعطية، ونحو ذلك، مما يولد الحقد والكراهية فيما بينهم. والتوجيه الإسلامي يأمر بالعدل بين الأبناء كما سيأتي معنا قريباً إن شاء الله تعالى.

ب ـ غرس التنافس غير البناء بين الأبناء بما يثير التحاسد والتباغض فيما بينهم.

ج ـ عدم تربية الأبناء على التآخي والتراحم والتواد.

٤ ـ التأنث:

من الإنحرافات التي تسيء لرجولة الصبيان وفطرتهم ومستقبلهم التنشئة على التأنث، وهو الميل إلى النعومة في المظهر بشكل يتجاوز حدود النظافة وحسن الملبس، مما يُفقد الأبناء رجولتهم إذا كبروا وأصبحوا رجالاً. ومن الأسباب التي تؤدي إلى ذلك ما يلي:

أ ـ المبالغة في مظهر الطفل نتيجة حب الأم لأن يكون ابنها جميلاً ورقيقاً، وقد حذر المربون المسلمون من ذلك وبينوا مغبته، يقول ابن القيم ناصحاً الوالد: وأن يجنبه لبس الحرير فإنه مفسد له، ومخنث لطبيعته.

ب ـ لين التربية، وبعدها عن الجدية بما يؤدي إلى التراخي السلوكي، وإلى النعومة اللفظية، والحركية.

ج ـ تشجيع الأبناء على تقليد الفساق المتأنثين على أنه نوع من التمدن

والتقدم، أو نتيجة عدم الإكتراث بما يقوم به الأبناء من التأنث في الملبس والسلوك وتقليد الفساق.

ثالثاً ـ مشكلات نفسية:

ويقصد بها المشكلات التي منبعها الإضطراب النفسي الداخلي، نتيجة التوجيه التربوي الخاطئ، ومن أبرز المشكلات النفسية ما يلي:

١ ـ الإنطـواء:

وهو الميل إلى العزلة والبعد عن مشاركة الرفاق في اللعب والحديث، أو في الرحلات، وما شابه ذلك من الأمور التي يغلب على الإنسان المتوافق نفسياً مشاركة الآخرين فيها. ولهذا الإنطواء أسباب تربوية، منها:

أ ـ المبالغة في الخوف على الطفل، مما يجعل والديه يحرمانه من مشاركة أقرانه.

ب ـ اشعار الصبي أنه لا يستطيع أن يعمل الكثير مما يستطيع أن يقوم به من الأعمال، كحمل بعض الأشياء، أو تحمل بعض المسؤوليات، ومن أمثلة ذلك: أن يقال للصبي: أنت لا تستطيع أن تقوم بشراء ذلك الشيء الذي هو في الحقيقة من مقدوره واستطاعته، أو أن يقال له عندما يريد أن يحمل بعض الأشياء المنزلية التي يستطيع أن يحملها: هذا ثقيل عليك، وأنت لا تستطيع ذلك، فتكرار مثل هذا عليه يُشعره بأنه ضعيف لا يستطيع أن يقوم بما يقوم به أقرانه، فينعكس على تعامله مع الآخرين.

ج ـ إشعاره بأنه أضعف من أقرانه، سواء في البنية الجسمية، أو في القدرات الذهنية، فيقال له فلان أفضل منك وأذكى منك، والآخر كذلك، ويكرر ذلك عليه مراراً حتى يشعر بالدونية والقصور، فيبدأ يتصرف مع أقرانه على أنه البليد الذي لا يُحسن شيئا، ثم بعد ذلك يبدأ في تجنبهم والبعد عنهم.

أو قد يقال له: لا تلعب مع فلان إنه أقوى منك. وانتبه أيضاً لزميلك فلان فإنه أكثر منك قوة، وتكرار ذلك عليه يُشعره بأن الجميع أقوى منه وأقدر، وأنه الشخص الضعيف الذي لا يستطيع أن يماثل بعض زملائه، وبالتالي إما أن يتقبل ذلك، بأنه الضعيف ويتعامل مع أقرانه من هذا المنطلق، أو ينأى بنفسه عنهم، معتزلاً لهم، منطوياً على نفسه.

٢ـ العصيان والتمرد:

من المشكلات التي تظهر عند بعض الصبيان العصيان، الذي يختلف في حدته وتنوع مظاهره بينهم، وتشير بعض الدراسات إلى أن العناد يبدأ في منتصف السنة الثانية، ويصل إلى ذروته فيما بين الثالثة والرابعة، ثم يضعف بعد السنة الرابعة[(١)] ولكن يلاحظ أن بعض الأطفال ينمو لديه العناد حتى بعد أن يتجاوز تلك السن لأسباب تربوية أدت إلى تشجيعه وبروز تلك المشكلة، التي من أهم أسبابها ما يلي:

أ ـ تنمية العناد عند الطفل وعدم مساعدة الوالدين له للتخفف من مظاهره وامتصاصه، وذلك بأن يقوم أبواه بمحاولة معاندة الطفل وقصره بالقوة على ما يريدان، دون أخذه بالملاطفة التي تمتص العناد.

ب ـ تقليد بعض أفراد الأسرة في تصرفاتهم التي قد تتصف بالعناد والعصيان.

ج ـ قلة التوجيه والنصح بمّا يمتص ذلك العصيان.

٣ ـ الإعجاب بالنفس:

من المظاهر السيئة التي قد تحدث عند الصبيان الإعجاب، لا سيما في سن المراهقة، وهذا قد يؤدي إلى الغرور، والشعور بالتميز والأفضلية على الآخرين، فلا يحترم أقرانه، ويتعامل معهم بأنفة واستعلاء، وهذه المشاعر السيئة تأتي نتيجة الخطأ في التوجيه التربوي، ومن صور تلك التوجيهات الخاطئة ما يلي:

---

(١) فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو، ص (٢٣٩-٢٣٤٠).

أ ـ المبالغة في الثناء المفرط على الإبن سيما إذا رأى منه أبواه علامات التفوق في الذكاء أو الحفظ أو الفهم، أو في القوة الجسمية، فيوصف بألفاظ الثناء المتكرر الذي قد يغرس فيه الغرور. والمطلوب هو الإعتدال في المدح بما يحفزه ويشجعه ولا يؤدي به إلى الغرور.

ب ـ أن يتصف بعض أفراد الأسرة بكثرة الإطراء والمديح على ذاته، فيتحدث أحد الوالدين على مسمع الأبناء بأنه من أحسن الناس وأفضلهم، وأنه يحظى باحترام الآخرين، وأنه صاحب المواهب والقدرات التي لا يُشق له فيها غبار، فيكتسب الإبن ذلك السلوك والتصرف بالتقليد والمحاكاة.

ج ـ قلة التوجيه والإرشاد في داخل الأسرة بما يربي في الأبناء التواضع.

الأسباب العامة لمشكلات الأبناء:

إن لتلك المشكلات التي تحدث من الأبناء أسباباً تربوية، بعضها نابع من المنزل وبعضها نابع من البيئة المحلية التي تُحيط بالفرد، ومن المناسب في هذا المقام أن تُطرح الأسباب التربوية الأسرية، وهي:

١ ـ إنشغال أحد الأبوين أو كلاهما عن تربية الأبناء، وتوجيههم، والعناية بهم.

٢ ـ الإهتمام بالغذاء الجسمي وترك الغذاء الروحي، وهذا يجعل نمو الطاقات الجسدية وما تحمله من شهوات تطغى على الفرد، في ظل غياب التربية الدينية.

فالغذاء الجسمي يقوي الشهوات والغذاء الروحي يهذبها، فإذا وُجد الأول وغاب الثاني حصل ما لا تُحمد عقباه، وقد أشار ابن القيم إلى أن كثرة الطعام تُغلب موارد الشهوات وطرق مجاري الشيطان الذي يجري في ابن آدم مجرى الدم[1].

---

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (١/ ٤٩٣).

٣ - عدم تفهم الآباء لحقوق الأبناء من اختيار الزوجة الصالحة، والإسم الحسن، وتعليمه أمور دينه، وتربيته وتأديبه.

٤ - القسوة في التربية: إن القسوة في معاملة الأبناء وحرمانهم كفايتهم من النفقة قد تنفرهم من الآباء، وتؤدي بالناشئة إلى الإنحراف، خاصة إذا وجد من يمدهم بما يحتاجونه من أهل السوء، ويعطف عليهم، ويستدرجهم إلى مهاوي الرذيلة.

وأحياناً تكون القسوة من باب تعويد الأبناء على الإنضباط، ويعاملون وكأنهم رجال، ولذلك يجب ألا نغالي في النظام حتى لا يكون صارماً، وأن لا نتهاون فيه حتى لا يعيش الطفل في فوضى، لا يدري متى يصبح النظام صارماً؟[١].

٥ - الإنبساط والليونة في التربية:

إن بعض الوالدين يُفْرِط في لين الجانب للأبناء إلى درجة تغفله عن أبنائه وعن سلوكهم، بما يمكنهم من عمل كل ما يريدون "وما أفسد الأبناء مثل تغفل الآباء، وإهمالهم، واستسهالهم شرر النار بين الثياب"[٢]. فإن الليونة في التربية إذا تجاوزت حدودها، تجعل الإبن يستنكف فيما لو أدبه أبوه على سوء أدب، أو لتقصيره في جانب من الجوانب، لأنه لم يتعود ذلك من أبيه، بل الف الليونة ولم يألف ضدها عند فعل الخطأ.

٦ - الفجوة والجفوة بين الآباء والأبناء:

إن انشغال الوالد بالجوانب المادية والمالية، أو بالأصدقاء والجوانب الاجتماعية يُحدث فجوة تؤدي إلى جفوة من الأبناء للآباء، تتسع فوهتها مع مرور الأيام والسنون، وهذا يؤول بالآباء إلى عدم معرفة أحوال الأبناء، ومشكلاتهم وحاجاتهم، فضلاً عن مناقشتها والسعي في حلها، سيما إذا كان الأبناء في سن البلوغ والمراهقة، فقد يحدوا

---

(١) فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو، ص (٢٢٢-٢٢٣).

(٢) ابن القيم، تحفة المودود، ص (١٤٧).

بهم ذلك إلى بحث مشكلاتهم مع من يتقبل مشاعرهم من الجهال أو من أهل السوء الذين قد يمدونهم بالحلول المنحرفة.

٧ ـ جهل الوالدين بمثوبة التربية ومسؤوليتها وعوائدها على الفرد والأسرة والمجتمع.

٨ ـ انتشار الوسائل المؤثرة على سلوك الأبناء، مثل: الڤيديو والمجلات الخليعة والبرامج التلفازية السيئة، وما يأتي من البث المباشر.

٩ ـ التقصير في مراعاة حاجات الطفولة، والتي نستعرضها فيما يأتي:

حاجات الأبناء:

أ ـ الحاجة إلى التعليم:

إن من أهم حاجات الأبناء التعليم، بما يُبصرهم بأمور دينهم، ويجعلهم يحققون العبودية الصحيحة التي أمر الله تعالى بها: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[١].

ومما يحتاجونه في باب التعليم: تعليمهم الآداب الشرعية، وتعليمهم صنعة يتكسبون بها، ويقتاتون منها. قال الإمام النووي: إن على الأب تأديب ولده وتعليمه ما يحتاج إليه من وظائف الدين، وهذا التعليم واجب على الأب وسائر الأولياء، قبل بلوغ الصبي والصبية[٢].

ولكن الخطأ التربوي هو الإعتماد على المدرسة في هذا الباب، فلا يباشر الوالدان متابعة أبنائهم، والتأكد من تطبيقهم لما تعلموه، خاصة في الأمور العقدية والتعبدية التي هي أثمن ما يمتلكه المسلم.

ب ـ الحاجة للقدوة الصالحة:

مهما أمكن من إيجاد منهج تربوي متكامل فإنه لا يغني عن وجود

---

(١) سورة البينة: آية رقم (٥).

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ٤٤).

واقع تربوي يمثله إنسان مُرَبٍّ، يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي كل الأسس والأساليب والأهداف التي يُراد إقامة المنهج التربوي عليها[1] فواقع الحال أبلغ في التأثير من واقع المقال.

ومن هنا فإن حاجة الأبناء للقدوة الصالحة في داخل الأسرة لا تقل عن حاجتهم للطعام والشراب، بل إنها أهم من ذلك، لأن الإنسان يتأسى بمن يعيش معهم، كما أن الأبناء أكثر ولعاً بتقليد والديهم واقتفاء أثرهم، فإن كانت سيرتهم حسنة انعكس ذلك على الأبناء في سلوكهم وهيئاتهم، وبالعكس يحصل الضد.

ج ـ الحاجة للعدل والمساواة:

إن العدل والمساواة بين الأبناء في العطف والعطية من أهم عوامل الالفة والمحبة بينهم، وقد أمر الإسلام بذلك، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: (تصدق عليَّ أبي ببعض ماله، فقالت أُم عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ، فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليُشهده على صدقتي، فقال له رسول الله ﷺ: أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم، فرجع أبي فرد تلك الصدقة)[2].

إن في التفرقة بين الأبناء في البر والعطية والمحبة ونحو ذلك ما يولد بينهم العداوة والبغضاء والتحاسد والتنافس، وربما أدى ذلك بالأبناء إلى عقوق والديهم. والتربية الصالحة هي التي تجنب الأبناء مثل ذلك.

د ـ الحاجة إلى الإطمئنان النفسي:

إن مما يحتاج إليه الأطفال بل حتى الكبار الشعور بالأمن والإطمئنان في كنف الأسرة، وإزالة المخاوف التي تؤرق خواطرهم، أو تُنذر بالتنائي

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ص (٢٢٨).

(٢) البخاري (٢/٢٣٣) برقم (٢٥٨٦) ومسلم (٣/١٢٤٢-١٢٤٣) برقم (١٣-١٦٢٣) واللفظ له.

بين أفرادها، سيما إذا كان الجو الأُسري مشحوذاً بالخلافات بين أحب الناس إليهم وهما الأبوان، ويشعرون بأن دواعي الطلاق والفرقة تكتنف الأسرة.

وقد أكدت الدراسات التربوية والنفسية على أهمية الإستقرار الأسري وحاجة الأبناء للإطمئنان النفسي[1].

هـ ـ الحاجة للعطف والحنان:

إن من أهم الحاجات الإنفعالية التي يسعى الطفل إلى إشباعها أنه مُحب محبوب، وهذا الحب المتبادل المعتدل بينه وبين والديه وإخوته وأقرانه حاجة لازمة لصحته النفسية.

والطفل الذي لا يشبع هذه الحاجة العاطفية فإنه يعاني من العطش العاطفي، ويشعر أنه غير مرغوب فيه، ويصبح سيء التوافق، مضطرباً نفسياً[2].

والطفل ليس جاهلاً بعملية العطف والتعاطف، بل إنه يتأثر وهو في سن الثالثة من عمره بصور الحزن والألم والحرمان، وتبدو مظاهر هذا التأثر حينما يعطف على الجريح، وعندما يعانق الناس ويقبلهم، وعندما تنبجس عيناه من فرط الحزن ألماً على الضعفاء، أو على الحوادث المؤلمة التي يراها[3].

وأقوال الرسول ﷺ وأفعاله التعاملية مع الأطفال لتؤكد وتبين العناية الفائقة بعواطف الأبناء، فذلك خير البشرية، خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ يقول لأحد الصبيان مداعباً له: (يا أبا عمير ما فعل النغير)[4] وعليك أن تتصور مشاعر ذلك الطفل في تلك اللحظة.

---

(١) انظر، عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص (١٣٧) وحامد.

(٢) حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو، ص (٢٦٧).

(٣) فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو، ص (٢٣٧).

(٤) البخاري (٤/١٢٨) برقم (٦٢٠٣).

وعن أبي يعلى بن مرة أنه قال: (خرجنا مع النبي ﷺ، ودعينا إلى طعام، فإذا حسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يديه، فجعل الغلام يفر ههنا وههنا، ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه، ثم قال: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، الحسين سبط[*] من الأسباط)[1].

و ـ الحاجة إلى اللعب:

من حاجات الطفولة اللعب ومباشرته بفرح وسرور، ويكاد من فرط حبه له أن يكون جُلَّ وقته للعب.

فالتربية الأسرية الناجحة هي التي تمكن الأبناء من اللعب بلا إفراط ولا تفريط، وقد مكن النبي ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من اللعب مع صويحباتها ولم يمنعها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صَواحبُ يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيُسَرِّ بهن إلى[**] فيلعبن معي)[2] وأيضاً ما مر معنا في الفقرة السابقة من ملاعبة النبي ﷺ للحسين ومداعبته له.

وعدم تمكين الطفل من ذلك يؤدي به إلى استخدام الحيل للتفلت من مذاكرة الدرس، يقول الغزالي رحمه الله: وينبغي أن يؤذن له بعد الإنصراف من الكتَّاب أن يلعب لعباً جميلاً، يستريح إليه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائماً يميت

(*) أي أمة من الأمم في الخير، والأسباط في أولاد اسحاق بن ابراهيم الخليل بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل، وأحدهم سبط. النهاية (٢/ ٣٣٤٠).

(١) البخاري (٤/ ١١٥) برقم (٦١٣٠).

(**) يتقمعن: أي يتغيبن منه ويدخلن من وراء الستر. (فيسر بهن إلى: أي يرسلهن. فتح الباري (٥٢٧/١٠).

(٢) الترمذي (٥/ ٦١٧) برقم (٣٧٧٥) وابن ماجة (١/ ٥١) برقم (٦٤٤) البخاري، الأدب المفرد، باب معانقة الصبي.

قلبه، ويُبطل ذكاءه، وينقص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه.[1]

ز ـ الحاجة إلى التأديب:

التأديب لا يستغني عنه المربي كوسيلة تربوية، وهو من ضروريات التنشئة الصالحة، ولكن التأديب درجات ورُتب، يكون بالصوت القاسي والنظرة العابسة، ويكون بالتهديد، والتقريع، ويكون بالعصا. وقد بيناه في فصل: الأصول الأسلوبية.

التطبيقات التربوية:

إن للأسرة دوراً كبيراً ومهماً في توجيه الناشئة وتربيتهم التربية الإسلامية، خاصة في مراحل نموهم الأولى لأن الطفل يتشرب ويأخذ بتوجيهات الأسرة دون مناقشة لها. وهذه بعض التطبيقات التربوية التي ينبغي أن تأخذ بها الأسرة:

١ ـ تعليم الصبيان وتربيتهم على حفظ وفهم القرآن الكريم، والإنقياد لتوجيهاته، كما اعتنى المسلمون الأوائل بذلك، يقول القابسي: وما زال المسلمون وهم يرغبون في تعليم أولادهم القرآن الكريم، وعلى ذلك يربونهم، وبه يبتدونهم، وهم أطفال لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا يعلمون إلا ما علمهم آباؤهم[2].

٢ ـ توجيه الصبيان والشباب إلى حُسن اختيار الأصدقاء، وأن يُراعى في صفات الصديق: التدين، والجد، ورجاحة العقل، والأخلاق الفاضله، وأن يُجنب، الكسول، ذو الطباع الفاسدة، والأخلاق الذميمة. وقد وجهنا ﷺ لاختيار الصديق، فقال عليه الصلاة والسلام: (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء: كحامل المسك

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين (٣/ ٧١).

(٢) القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين، ملحق بكتاب التربية في الإسلام، لأحمد فؤاد الأهواني، ص (٢٤٩).

ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة.)[١].

٣ ـ توجيه الأبناء إلى تعلم الآداب والأخلاق الفاضلة، وقد كان ذلك دأب المسلمين الأوائل، فلم يكن التلقين هو مقصد الآباء من تعليم أبنائهم فحسب، بل كان للأدب والأخلاق النصيب الأوفر، حتى إن مما يوصي به الوالد معلم ولده أن يربي فيه الجانب الأخلاقي لأهميته في سلوك الصبي، ولأنه يعد الجانب التطبيقي لما يحفظه ويفهمه من معلمه، وقد أرسل رجل أمته بأولاده إلى المؤدب، فقالت له: "علمهم الأدب واضربهم على الكذب، والرحمن علم القرآن، فلما رجعت إلى سيدها، سألها عما قالت له، فذكرت له ذلك، فأشهدها على نفسه أنه أعتقها لخدمتها، ومصادفتها الصواب"[٢].

وقال بعضهم لابنه: يا بني لأن تتعلم باباً عن الأدب أحب إليَّ من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم[٣].

فهذه التوجيهات تدل على اهتمام المسلمين الأوائل بالمنهج الإسلامي الذي يدعو إلى العناية بتنشئة الأبناء على خصال الخير، ولا زال هذا دأب الصالحين في تربية أبنائهم.

٤ ـ إذا فشلت وسائل التربية التوجيهية، واستفحل أمر التأثير بالنصح والإرشاد، فعلى الولي أن يعمد إلى التوجيه بالعقوبة، مستخدماً العصا، مع الإعتدال في استعماله لها، وتعليق السوط في المنزل لأن له هيبة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أن النبي ﷺ أمر بتعليق السوط في البيت)[٤].

---

(١) البخاري (٣/٤٦٣) برقم (٥٥٣٤) ومسلم (٤/٢٠٢٦) برقم (١٤٦-٢٦٢٨) واللفظ له.

(٢) عبد الهادي التازي، المغزاوي وفكره التربوي، ص (٨١).

(٣) حسن إبراهيم عبد العال، فن التعليم عند بدرالدين بن جماعة، ص (١٢٤).

(٤) البخاري، الأدب المفرد، باب تعليق السوط في البيت، ص (٥٨٥) برقم (١٢٢٩).

ومن خلال هذا الحديث ندرك أن الغاية من تعليق السوط التخويف في الدرجة الأولى، وعدم استعماله إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وفشلت وسائل التربية الأخرى، أما ترك التأديب وفقدان الهيبة فتؤدي إلى ضياع قوة الضابط التوجيهي في الأسرة، وقد قال بعض الحكماء في التأديب: من أدب ولده أرغم أنف عدوه، وقال آخر: من أراد أن يغيظ عدوه فلا يرفع العصا عن ولده، وقال آخر: من أدب ابنه صغيراً قرت عينه كبيراً[1].

فالأسرة هي المحضن الأول والرئيس الذي يتشرب من خلاله الأبناء الجانب العقدي والتعبدي والأخلاقي والفكري، وبقدر ما تهتم بهم تكون درجة نجاحهم وتفوقهم، ولأن تورث الأسرة أبناءها من ميراث رسول الله ﷺ، خير لها من أن تورثهم الدينار والدرهم، فالمال محروس والعلم حارس لهم، والعلم سيد والمال مسود، والمال ينقص بالأخذ منه والعلم يزيد بالعطاء، والمال يحصل عليه البر والفاجر، والعلم لا يحصل عليه إلا من أراد الله به خيراً، والمال قد يأتي بدون مشقة، والعلم لا يأتي إلا بالتعب والسهر، والعلم يصلح زيفك وفاسدك، والمال ليس له حظ من ذلك، والمال ليس محموداً إلا عند العبد الصالح الذي يسلطه في الحق.

---

(١) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس (١/١٠٩-١١٠) وانظر، عبد الهادي التازي، المغزاوي وفكره التربوي، ص (٨٢).

المبحث الثالث

المدرســـة

المدرسة هي الوعاء الثاني بعد الأسرة، حيث يقضي المتعلم شطراً من حياته، يتعلم ما لم يكن يعرفه من قبل، ويصحح فيها مفاهيمه الخاطئة في عقيدته وعبادته، ويتلقى فيها الأخلاق الحميدة.

وتأتي هذه الأهمية من كون المدرسة مؤثراً قوياً على أفرادها من خلال احتكاك المتعلمين ببعضهم، واختلاطهم بمعلميهم الذين هم في أعينهم قدوة لهم، ولذلك فإن المدرسة الناجحة تهتم بغرس الإيمان الصحيح في طلابها، حتى تبني بعد ذلك أهدافها على قواعد وأُسس صلبة قوية بالعقيدة الصحيحة، وأما المدرسة التي لا تغرس الإيمان في النفس لا تُخرج إلا أجيالاً جاهلة بحقيقة وجودها، تخوض عباب الحياة في حيرة وشتات، ودون أن تحقق العبودية التي خُلِقت من أجلها.

ومما ينبغي العناية به لكي تحقق المدرسة أهدافها: اختيار المعلم الجيد والعناية بتدريبه وتنمية مهاراته، وكذلك العناية بالمنهج الدراسي الذي يسير المدرس في ضوئه، وما يشتمل عليه من أنشطة صفية أو غير الصفية، والتي يُعبر عنها بوظائف المدرسة.

وظائف المدرســة:

إن الوظيفة الأساسية للمدرسة هي: تحقيق العبودية لله تعالى من خلال مناهجها الدراسية، وأنشطتها التربوية، ويتفرع من هذه الوظيفة العظيمة، الوظائف الجزئية التي تحقق الوظيفة الرئيسة، إذ إن من أهم ما

ينبغي معرفته للقائمين على شؤون المدرسة هو تحديد وظائفها التي من خلالها يتم التعرف على أهدافها وما ينبغي أن تنهض به وتقوم بتحقيقه، وما يقع على كاهل المدرس من أعباء تعليمية وتربوية، إذ إنه من الملاحظ أن مفهوم وظيفة المدرسة منحصرة في الجانب المعرفي فقط، ويتمحور في مدى إتقان الدارس للمادة العلمية حفظاً واسترجاعاً، والحقيقة أن مهمة المدرسة تفوق ذلك بكثير، ويمكن إيضاح وظائفها فيما يلي:

١ ـ وظيفة معرفية:

وتعني قيام المدرسة بتعريف الدارس وتعليمه المقررات العلمية تعليماً يُكسبه فهماً وإتقاناً لمحتواها، بحسب مطلبها الإدراكي: سواء كان حفظاً وفهماً، أو فهماً دون حفظ، وما يتعلق بذلك من حسن الإستنتاج والإستنباط، والقياس، وعمومية القاعدة المعرفية أو خصوصيتها، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالجوانب الإدراكية.

٢ ـ وظيفة عملية:

كما أن الجانب المعرفي ليس مقصوداً لذاته، وإنما وسيلة للتطبيق الصحيح، فإن العلم بدون ممارسته عملياً لا قيمة ولا ثمرة له، فالدارس للعبادات الشرعية الذي لا يقوم بها اعتقاداً وعملاً فإنه لا قيمة لذلك العلم، بل هو جهد وحجة قائمة على المتعلم، وكذلك الطبيب الذي لايطبق ما تعلمه، والمهندس الذي لا يقوم بعمله وفق ما تعلمه فإنه جهد بلا إنتاج، وعلم بلا ثمرة، ومن هنا تبرز أهمية التطبيق العملي الذي يتمثل في الوظيفة الثانية من وظائف المدرسة.

وهذه الوظيفة العملية تشتمل على أمرين:

أ ـ **التخلية**: وهي تخلية الدارس من الجهل والإنحراف، في جانبه العقدي والتعبدي والأخلاقي، والفكري، والمهني.

ب ـ **التحلية**: وهي تربيته على جوانب الخير، في عقيدته وعبادته وأخلاقه، ومهنته، تطبيقاً عملياً لا نظرياً.

وأما كيفية تحقيق ذلك فمن خلال ما تم إيضاحه في جانب الهدف العلمي من هذا الكتاب.

والمتأمل في أسباب الخلل التعليمي في مدارس العالم الإسلامي يجد أنه نابع من قصور في فهم وظائف المدرسة، وقصور في المنهاج الدراسي، وإعداد غير جيد للمعلم. وهو ما سيتم إيضاحه في الفقرة التالية:

أسس المدرسة:

تقوم المدرسة على أربع أسس، تنجح بنجاحها وتفشل بفشلها، ألا وهي:

١ ـ المعلم.

٢ ـ المنهاج الدراسي.

٣ ـ الأنشطة التربوية.

٤ ـ الإدارة المدرسية.

أولاً: المعلم:

للمعلم تأثيره المباشر على المتعلمين إذ يلتفون حوله للإستفادة منه، وهو قدوتهم، وناصحهم، ومربيهم، وموجههم، ومؤدبهم، وإنها لمنزلة عظيمة كريمة، ومسؤولية جسيمة.

وهناك عدة مجالات يستطيع المعلم من خلالها أن يسهم في بناء شخصية الطلاب، والتي من أبرزها ما يلي:

١ ـ الأُسلوب التربوي:

إن لطريقة المعلم في توجيه تلاميذه أكبر الأثر في تقبل إرشاداته ونصائحه أو الإعراض عنها، ولنا في منهج رسول الله ﷺ أُسوة حسنة، فقد كان ﷺ يعامل الناس بحسن خُلُق، حتى إنه ﷺ لينبسط لشرار الناس، فعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنهم: (أخبرته أنه استأذن على النبي ﷺ

رجل، فقال: ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة ـ أو بئس أخو العشيرة ـ فلما دخل: الان له الكلام. فقلت له يا رسول الله: قلت ما قلت ثم ألنت له في القول، فقال: يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه ـ أو ودعه ـ الناس اتقاء فحشه)[1].

وهذا الأسلوب من أقوى أسباب الألفة، وله انعكاسات وآثار طيبة على نفس المتعلم، إذ يجعله يُقْبِل على المعلم، ويصغي له، ويستجيب لتوجيهاته، بعكس المعلم الغليظ البذيء في كلامه، والذي يجازي بالسيئة، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف خُلُقيه ﷺ: (لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح)[2].

وقالت أُم الدرداء: (كان أبو الدرداء إذا حدَّث تبسم، فقالت: لا يقول الناس إنك أحمق، فقال: ما رأيت، أو ما سمعت رسول الله ﷺ يُحدث حديثاً إلا تبسم)[3].

أما من وعظ بالجفاء والإكفهرار فقد أخطأ وتعدى طريقته ﷺ، وسار في أكثر الأمر مغرياً للموعوظ بالتمادي على أمره لجاجاً ومغايضة للواعظ الجافي، فيكون في وعظه مُسيئاً لا محسناً، ومن وعظ ببشر وتبسم ولين فذلك أبلغ وأنجح[4].

فحتى يكون المعلم مقبولاً ومحبوباً بين تلاميذه وناجحاً في مهنته التربوية، عليه أن يقتدي في طريقة توجيهه بما كان عليه ﷺ من البشاشة وإشراق المحيا وطيب النفس وحسن المنطق ورحابة الصدر، وأن يتألف إلى الطلاب جميعاً حتى من كان طبعه سيئاً، ليستميل قلبه ويؤثر فيه بنصحه

---

(١) البخاري (٤/ ١١٥) برقم (٦١٣١).

(٢) الترمذي (٤/ ٣٢٤) برقم (٢٠١٦) وذكره البخاري ومسلم مختصراً، البخاري (٤/ ٩٦) برقم (٦٠٢٩) ومسلم (٤/ ١٨١٠) برقم (٢٣٢١).

(٣) أحمد (٥/ ١١٩٨).

(٤) ابن حزم، الأخلاق والسير، ص (٦٢).

وإرشاده، ولا يجازي طلابه بالسيئة، وإنما بالعفو والصفح، وأما إذا اتصف بعكس ذلك في طريقته فإنه ينفر طلابه ويبعدهم عنه، وإذا لم تجد هذه الأساليب انتقل إلى أسلوب آخر كالعقاب ونحوه.

٢ ـ الصفات الخُلُقية:

يستطيع المعلم بأخلاقه الحسنة أن يؤثر في طلابه تأثيراً بالغاً لأنه بالنسبة لهم قدوة يتعلمون من سلوكه وعلمه، لذلك ينبغي عليه أن يكون أسوة حسنة لهم في مظهره ومخبره، وفي أسلوبه وطرائقه، ومن تلك السجايا التي ينبغي أن يتحلى بها ما يلي:

أ ـ التقوى:

إن التقوى من أبرز سمات المعلم لأن له دوراً كبيراً في التأثير على المتعلمين، حتى في دينهم، وقد قال أحد المربين الأوائل ناصحاً أولياء الأمور: لا تعلموا أولادكم إلا عند رجل حسن الدين لأن الصبي على دين معلمه[١] وقال الإمام الشافعي: زينة العلماء التقوى، وحليتهم حُسن الخُلُق، وجمالهم كرم النفس[٢].

ب ـ الرحمة والرفق:

وينبغي للمعلم أن يكون رحيماً غير فظ ولا غليظ، متأسياً بأخلاق المصطفى ﷺ، الذي قال تعالى: في وصفه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[*][٣].

---

(١) عبد الرحمن عثمان حجازي، المذهب التربوي عند ابن سحنون، ص (٦٨).

(٢) عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي، من أعلام التربية العربية الإسلامية، ص (٢١٢).

(*) فظا: سيء الخُلُق، غليظ القلب: جافياً. انفضوا: تفرقوا. تفسير الجلالين، (٨٩).
لمعرفة المزيد عن المعلم راجع الكتاب القيم في بابه (مسؤولية المعلم المسلم، للدكتور/ عبد الله بن عبد الحميد محمود).

(٣) سورة آل عمران: آية رقم (١٥٩).

وينبغي أن يترفق بتلاميذه لأنه مطلب إسلامي، قال ﷺ: (إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله)[1] وقال ﷺ: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه)[2].

فينبغي أن يكون المربي رفيقاً شفيقاً كالطبيب الحاذق للعين العليلة.

ج ـ الحلم والأناة:

لقد أثنى ﷺ على من اتصف بالحلم والاناة حين قال لأشج عبد القيس: (إن فيك خلتين يحبهما الله، الحلم والاناة)[3].

د ـ البعد عن الغضب:

إن الغضب جماح الشر، لأنه يَحُولُ بين المرء وبين حُسن التصرف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: لا تغضب، فردد مراراً، وقال: لا تغضب)[4].

هـ ـ الصدق:

إن الصدق طمأنينة للنفس، والكذب مصدر للخوف والريبة، ومُدعاة للشك بين المتعلمين والمعلم، وقد قال ﷺ: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة)[5].

ومن أدب ابن عمر رضي الله عنهما في تعليمه أنه إذا سُئل عن شيء لا يعرفه يقول: لا أعرف، وبهذا أبعد نفسه عن الكذب. وعن عقبة بن مسلم قال: صحبت ابن عمر أربع وثلاثين شهراً، فكان كثيراً ما يُسأل

---

(١) البخاري (٤/ ١٤٢) برقم (٦٢٥٦) ومسلم (٤/ ١٧٠٦) برقم (١٠-٢١٦٥) واللفظ له.

(٢) مسلم (٤/ ٢٠٠٤) برقم (٧٨-٢٥٩٤).

(٣) مسلم (١/ ٤٨) برقم (٢٥-١٧) و أبوداود (٥/ ٣٩٥-٣٩٦) برقم (٥٢٢٥) واللفظ له.

(٤) البخاري (٤/ ١١٢) برقم (٦١١٦).

(٥) النسائي (٨/ ٣٢٧-٣٢٨) برقم (٥٧١١).

فيقول: لا أدري.[1] وإذا أغفل العالم لا أدري أُصيبت مقاتله[2].

و ـ التواضع:

وعلى المعلم أن يكون متواضعاً لمن يربيه، لأن تعاليه عليه يُحدِثُ هوة بينهما، وإذا ازدادت الهوة بينهما انعدم التأثير، ولنا في أخلاق المصطفى ﷺ أُسوة حسنة، فقد كان ﷺ وهو سيد البشرية أكثر الناس تواضعاً، ومما قاله في فضل التواضع: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد اللهُ عبداً بعفوٍ إلا عزّاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه)[3].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا العلم، وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه، ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم جهلكم بعلمكم.[4] وقال الزرنوجي: وينبغي لأهل العلم ألا يذل نفسه بالطمع في غير المطمع، ويتحرز عما فيه مذلة العلم وأهله، ويكون متواضعاً، والتواضع بين التكبر والمذلة والعفة كذلك.[5].

فتلك بعض الفضائل الخُلُقية التي ينبغي للمعلم أن يتصف بها، ليكون قدوة حسنة للمتعلمين.

ثانياً: المناهج الدراسية:

يُقصد بالمناهج: المواد الدراسية المقررة على الطلاب داخل المدرسة. وهي في محتواها العلمي تعبر عن الأهداف التربوية والعلمية والأنماط السلوكية المرغوب غرسها في الطلاب، ولذلك فإنه يجب اختيار

---

(١) الكاندهلوي، حياة الصحابة (٣/ ٢١٣).

(٢) الآجري، أخلاق العلماء، ص (١٥٥).

(٣) مسلم (٤/ ٢٠٠١) برقم (٦٩-٢٥٨٨).

(٤) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، (١/ ١٦٣).

(٥) الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص (٣٩).

المحتوى العلمي الذي يتصل بحياة الطالب، ويسد حاجاته، وينمي لديه الوازع الديني في الجانب العقدي والتعبدي، ويربي فيه حسن الخُلُق، وأن يكون مشوقاً، ومراعياً حاجات الأمة للمجالات التخصصية المتنوعة، وأن تكون العلوم الكونية والنظرية والعملية وفق الشريعة الإسلامية غير منفصلة عنها، وهذا يتطلب صفات علمية وثقافية متميزة لواضعي المناهج الدراسية، منها التخصص والتبحر العلمي، والخبرة التربوية، وأن يكون ذلك تحت إشراف جهة شرعية، تصحح الأخطاء والمفاهيم، وتعمل على توجيه المناهج وجهة شرعية إسلامية، لأن العلم في المنظور الإسلامي خدمة للدين والفرد والمجتمع.

كما ينبغي أن يُنظر للمنهاج من عدة زوايا: "هل يعكس المحتوى المختار من حيث الموضوعات والصياغة تلك الأهداف بدرجة متوازنة ؟ أم أنه يركز على بعضها ويهمل البعض الآخر؟ أم أنه يهملها تماماً"[١].

فالمناهج الصحيحة تحافظ على الأصالة الإسلامية وعلى بث الأخلاق الإسلامية بين التلاميذ، وتربي فيهم البعد عن الرذائل، وأما المواضيع المستجدة من النظريات وغيرها فيُنظر فيها من خلال المنهج الإسلامي، فيؤخذ الصالح ويترك الطالح، ومن الأخطاء أخذ كل ما يرد عن العالم الغربي وكأنها أمور مسلم بها غير قابلة للفحص والنظر والرد، فهناك سموم قاتلة للأخلاق الإسلامية تُبث من خلال بعض الإصدارات المنهجية التي يقدمها دعاة الشر باسم التقدمية، فهذه ينبغي محاربتها والتصدي لها قبل دخولها المجال التعليمي، سواء كمنهج يُدرس أو كمرجع يُستقى منه.

لذا فإنه ينبغي النظر في محتويات المكتبات المدرسية والجامعية في الدول الإسلامية وتطهيرها من مثل تلك المناهج الهدامة للأخلاق الإسلامية المتعارضة مع ديننا الحنيف.

فالمناهج إما مجال بناء أو هدم أو مضيعة للوقت. فالمنهاج يحتاج

---

(١) حمدي عبد الفتاح عطيفة، أسلمت مناهج العلوم المدرسية، ص (١٥٠).

إلى دراسة مستفيضة من علماء المسلمين، يضعون الخطط المنهجية والمضامين المعرفية العلمية التي تسهم في تربية النشء تربية إسلامية، تجعلهم متمسكين بعقيدتهم، يُعيدون مجد الإسلام وحضارته، والدعوة إليه ونشره بالكلمة والنصيحة، والقدوة الحسنة، التي تتجسد فيها أخلاق الإسلام وهديه.

ثالثاً: النشاط المدرسي:

يقصد به الأعمال التي يمارسها الطلاب خارج حجرات الدراسة، وتحت إشراف المدرسة، وهذه الأنشطة لا تقل أهمية عن المنهاج الدراسي داخل الفصول. بل إنها تعتبر المجال التطبيقي لما يتعلمه الدارس في حجرات الدراسة، وتعتبر مساندةً له، حتى تحقق المدرسة أهدافها من الناحية النظرية والتطبيقية.

وكثيراً من المدارس تنجح في إكساب الدارسين المعارف العامة، لكنها تخفق وتفشل في تحقيق الهدف العقدي والتعبدي والأخلاقي، وعدم تحقيق هذه الأهداف لا يدل على صعوبة واستحالة تحققها، بل يدل على فشل المدرسة في اتباع الوسائل الفعالة الموصلة إلى تلك الأهداف.

وإن وضع الأنشطة غير الصفية داخل المدارس يأخذ الأشكال التالية:

- مدارس تهتم بالأنشطة وتوجهها التوجيه الصحيح.
- مدارس تهتم بالأنشطة، وتوجهها توجيهاً غير صحيح.
- مدارس لا تهتم بالأنشطة، ولا تُقيم لها أي اعتبار.

والأنشطة التي يمكن أن تسهم في تربية النشء متعددة، ولعل من أبرزها: .

أ ـ النشاط الثقافي:

يحقق الدارس من خلال إنتاجه الثقافي والعلمي وكتاباته المتنوعة، ومعالجته للقضايا الاجتماعية، التي تشرف عليها المدرسة، نمواً ثقافياً

وفكرياً في أبعاد متعددة، سواء في تنمية مهاراته الثقافية ومداركه العقلية، وسعة تصوره، أو في التعرف على المشكلات الاجتماعية، وحمل المشاعر العاطفية للمساهمة في حلها. ودور المدرسة يتمثل في تصحيح أخطائه وتعديل مساره نحو الخير. كما وجه الرسول ﷺ حسان بن ثابت إلى تسليط قريحته الشعرية على المشركين، قال ابن سيرين: انتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار: حسان وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة، فكان حسان وكعب يعارضانهم مثل: قولهم في الوقائع والأيام والمآثر، ويذكرون مثالبهم، وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة ما لا يسمع ولا ينفع[1].

ب ـ النشاط الدعوي:

يتدرب فيه المتعلمون على أُسلوب الدعوة إلى الله بطريقة تتجلى فيها الأخلاق الإسلامية من بشاشة وتودد وحرص، وخوف على الآخرين من مغبة الإنغماس في الشهوات والبعد عن دين الإسلام، فيمتلك عواطفهم، فينخرطون في دعوته.

ومن أهم ما ينبغي أن يتدرب عليه الدارس: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة التي أرشدنا الله تعالى إليها، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[2].

ج ـ الرحلات:

وفي مجال الرحلات يُعَرف المتعلمون بالهدف من الرحلة وما ينبغي أن يتحلوا به من تآخٍ وتعاون وتآلف وتعارف، وأن لا يقتصر التعاون على الطلاب دون المعلمين، أو على بعض الطلاب دون الآخرين، حتى تحصل الألفة، وتضمحل الفُرقة، فقد شارك رسول الله ﷺ أصحابه في بناء مسجد

(١) إبن الأثير، أُسد الغابة، (٢/٦).

(٢) سورة النحل: آية رقم (١٢٥).

قباء، فبعد أن سلم على أهلها ورحبوا به قال: يا أهل قباء أتوني بأحجار من هذه الحرة، فجُمعت عنده أحجار كثيرة، ومعه عَنَزَة له، فخط قبلتهم فأخذ حجراً فوضعه رسول الله ﷺ ثم قال: يا أبا بكر خذ حجراً فضعه إلى حجري، ثم قال: يا عمر خذ حجراً فضعه إلى جنب حجر أبي بكر، ثم قال: يا عثمان خذ حجراً فضعه إلى جنب حجر عمر، ثم التفت إلى الناس فقال: ليضع كل رجل حجره حيث أحب؛ على ذلك الخط[١] وعن عمر رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده لقد رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر وأصحابه ننقل حجارته على بطوننا[٢] وقد شارك عليه الصلاة والسلام في حفر الخندق.

فهذه الشواهد تبين مشاركة رسول الله ﷺ لأصحابه، دون تعالٍ، وعلى هذا ينبغي أن يتصف المعلمون، وخاصة في الرحلات المدرسية، لكونهم قدوة لطلابهم.

د ـ المقصف:

وفيه يوجه التلاميذ حسب جدول معين إلى تعلم النشاط التجاري، متصفين بالأخلاق الإسلامية الحميدة، من النصح والتسامح، وعدم الغش والكذب، والحلف الكاذب، وهذا العمل التربوي في مجال البيع يُكسب التلاميذ الثقة النفسية الاجتماعية، ويتعلمون من خلاله الجدية في الحياة والبعد عن الهزل[٣].

وينبغي أن يتم ذلك تحت إشراف مجموعة من المدرسين، لا يكتفون بتمام سير العمل فقط، وإنما يجتهدون في تعليم التلاميذ الأخلاق الإسلامية في التعامل مع الآخرين، أي أنه مجال عملي تربوي.

---

(١) السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم، (١/ ٢٥١).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٥٢).

(٣) محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، ص (١٥٠).

وقد مر رسول الله ﷺ بطفل وهو يبيع فدعى له، فعن عمرو بن حريث: (أن رسول الله ﷺ مر بعبدالله بن جعفر وهو يبيع بيع الغلمان، أو الصبيان، قال: اللهم بارك في بيعه، أو قال في صفقته)[1].

وفي هذا تشجيع منه ﷺ للطفل على تلك الممارسة العملية للبيع.

وأما الأنشطة التي تعتمد على المنافسة فينبغي أن توجه إلى المنافسة في الخير وللخير، لا للشحناء والبغضاء وحب الإنتصار، فيظهر الحقد بين المتنافسين. وينبغي أن يسودها الحب وأن تُوجه توجيهاً حسناً، كأن يوجه المغلوب إلى تهنئة الفائز، ويوجه الفائز إلى أن يدعو لزميله الآخر بالفوز في المرات القادمة، فيشعر كل منهما بالرضا والإرتياح للآخر، وأن يقوم المشجع بالثناء على المتنافسين والإشادة بهم، ولنا في رسول الله ﷺ أُسوة حسنة، فعن عبدالله بن الحارث رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يصف عبدالله وعبيدالله وكثير من بني العباس رضي الله عنهم، ثم يقول من سبق إلَّ فله كذا وكذا، قال: فيسبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلزمهم)[2].

فمن الملاحظ أنه ﷺ» يوزع حبه عليهم جميعاً، فيقبلهم جميعاً، ولا يقتصر على الفائز منهم فقط، وإنما رعاية لهم جميعاً، خشية دخول الغيرة والحسد بينهم"[3].

ولكن من الملاحظ أنه في المجال المدرسي والجامعي تُفقد مثل هذه التوجيهات، وإن وجدت فهي قليلة جداً، بل إن بعض المنافسات تكون على المسابقات الشعرية الرخيصة، ورسوم ذوات الأرواح، ومما ليس له فائدة، والإبتذال في المسرحيات المدرسية.

---

(١) أبو يعلى (٣/ ٤٧) برقم (١٤٦٧).

(٢) أحمد (١/ ٢١٤).

(٣) محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، ص (٢١٢).

رابعاً: الإدارة المدرسية:

إن نجاح المدرسة مرهون بنجاح إدارتها، ونجاح إدارتها متوقف على المدير العارف بأصول الإدارة المدرسية وأهميتها في تحقيق الأهداف التربوية، وممارساً لها حسب أصولها المعتبرة علمياً.

فالإدارة بمثابة القلب والشرايين من الجسد، فالقلب يشتمل على جانب عضوي وجانب معنوي، والجانب العضوي هو الذي يقوم بوظيفة استقبال الدم وضخه عبر الشرايين، والجانب المعنوي في إدراك ما تستشعره الحواس، ومن ثم إصدار الأوامر المناسبة للدماغ، وكذلك أداء وظيفة الإستشعار الإنفعالي وما يرتبط به من حب وكره وانقباض وانبساط وإرادة، وإذا تعطلت وظيفة من هذه الوظائف لحق الإنسان الضرر بقدرها. وكذلك الإدارة فإنها مطابقة لذلك تماماً، فهي التي تمد شرايين الإتصال بين أعضاء المدرسة بالتوجيه والأنظمة والتعليمات الصحيحة الهادفة البناءة، والإدارة ممثلة في مديرها تقوم بالجانب المعنوي من تحسس واستشعار لأحوال وخصائص وحاجات أعضاء المدرسة من طلاب ومدرسين وموظفين، وأولياء أمور، وحاجات المجتمع، ومن ثم تصدر الأوامر التي تعالج تلك المشاعر، وتنمي الجانب الإيجابي منها. وأما الإدارة السلبية، أو غير الفاعلة هي التي تستبد بأعضائها، أو تهمل مقتضيات العمل فينعكس ذلك على مخرجات المدرسة المتمثلة في سلوكيات طلابها.

ومواضيع الإدارة المدرسية واسعة جداً لا يمكن تغطيتها جميعاً، ولكن يمكن حصر النقاط التي لها ارتباط مباشر بالموضوع وهي:

- مهارات مدير المدرسة الشخصية.
- مسؤوليات مدير المدرسة.
- أصول الإدارة المدرسية.

مهارات مدير المدرسة:

١ ـ المهارة الإدارية:

وهي معرفة وفهم اللوائح والنظم التعليمية، وإدراك مسؤولياته واختصاصاته، مع إجادة تطبيقية علمية للعمليات الإدارية من تخطيط وتنظيم وتوجيه ومتابعة وحُسن قيادة، حتى لا يصدر قراراً في غير مكانه وليس من اختصاصه، أو يتأخر في إصدار قرار هو من صميم مسؤولياته.

٢ ـ المهارة الإدراكية:

وهي بعد النظر وسعة الإطلاع في القضايا والموضوعات التي تواجهه، بحيث يتخذ إزاءها القرارات المناسبة في الوقت المناسب، ويعالج الأمور بحكمة، وجدية، وبأسلوب تربوي يجعل أعضاء مدرسته يتقبلون تلك التوجيهات بقناعة.

وأما من فقد هذه المهارة فهو متردد في قراراته، متعجل فيما يتطلب التريث، ومتريث فيما يجب التعجل فيه، ويضع الأمور في غير نصابها، فتكون أغلب قراراته عشوائية، وربما توارت خلفها نتائج وخيمة، وقد قال عبدالله بن مسعود: هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف وينكر به المنكر.[١].

٣ ـ المهارة القيادية:

وهي متعلقه بفهمه وقدرته التأثيرية على من يتعامل معهم بحسب شرائحهم، خاصة وأن مدير المدرسة يتعامل مع شرائح متباينة من المجتمع، فهناك المدرس المثقف الحصيف المتعاون، وهناك المدرس محدود الجهد والفهم، وهناك الذي لا يبالي ولا يكترث بالمسؤوليات التربوية الملقاة على عاتقه، وفي الطرف الآخر مجموعة من الطلاب المتباينين في أخلاقهم

---

(١) ابن القيم، اغاثة اللهفان (١/٢٧).

وميولهم. وشريحة أخرى هم أولياء الأمور المختلفون في فهمهم واستيعابهم وتعاملهم، فكل أولئك يحتاجون من يدرك فن التعامل معهم بالأسلوب الذي يتوافق مع طباعهم وثقافاتهم.[١]

مسؤوليات مدير المدرسة:

تقع على عاتق مدير المدرسة مسؤوليات ضخمة كبيرة، يستشعر بها ذلك المدير الناجح، الذي يعلم أنه مسؤول أمام الله تعالى عن ما استرعاه، ويفقدها من يظن أن القيادة الإدارية تشريف لا تكليف، ووجاهة لا مسؤولية.

يقول الرسول ﷺ: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)[٢] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله ألا تستعملني ؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: (يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)[٣].

وهذا يدل على حجم مسؤولية القيادة والإمارة سواء كانت على كثير أو قليل، ولذلك ينبغي على مدير المدرسة أن يعي هذه المسؤولية، وأن يقوم بها خير قيام، وتبرز معالم هذه المسؤولية في الفقرات التالية:

أ ـ المسؤولية القيادية:

فالمدير قائد إداري، وموجه تربوي في مدرسته، به يقتدي المدرسون والطلاب، وبتوجيهاته يعملون، وبسلوكه وأفكاره يتأثرون، فعليه أن يحرص على لباس التقوى، والخلق الحسن، والرفق والرحمة والقوة والجد، والنشاط والحيوية، والبعد عن التواني والتراخي في قيادته.

---

(١) التنظيم المدرسي والتحديث التربوي، نبيل السملوطي ص (٦٨-٦٩).

(٢) البخاري (١/ ٢٨٤-٢٨٥) برقم (٨٩٣) ومسلم (٣/ ١٤٥٩) برقم (٢٠-١٨٢٩).

(٣) مسلم (٣/ ١٤٥٧) ، برقم (١٦-١٨٢٥).

ب ـ المسؤولية المنهجية:

تقع على عاتق مدير المدرسة مسؤولية تنفيذ المناهج الدراسية ومتابعة استكمالها وإتمامها، كما تقع عليه مسؤولية الأنشطة المدرسية والسير بها نحو تحقيق أهدافها.

ويجب أن لا يجعل المقياس لنجاح النشاط هو ما تحققه المدرسة من أرقام قياسية، بل ما تحققه من آثار تربوية تنعكس على سلوك الطلاب.

ج ـ المسؤولية التربوية:

وهذه المسؤولية تنبع من استشعاره للأهداف المدرسية، والتي منها:

١ ـ ترسيخ العقيدة الصحيحة في أذهان التلاميذ، وأداء العبادات.

٢ ـ إزالة الاعتقادات والعادات الباطلة، وغرس الفضائل الخُلُقية.

٣ ـ تكوين الإستعدادات نحو التقويم الذاتي للسلوك، حتى يُصبح شخصية تميز الخير من الشر، وترغب في الأول، وتنفر من الثاني.

٤ ـ تكوين الإستعدادات والميول الصحيحة نحو التفاعل الاجتماعي والعلاقات الإنسانية. .

٥ ـ تكوين مجتمع مثالي من أعضاء المدرسة، وهذا يتطلب جهداً مكثفاً من مدير المدرسة.

٦ ـ الإهتمام بإعداد المدرسين علمياً، حيث أن مما تعاني منه المدارس المعاصرة، التناقص في المستويات العلمية للمدرسين.

أصول الإدارة المدرسية:

أولاً: التخطيط:

التخطيط هو تحديد مسبق لما سيتم عمله[١].

---

(١) زكي محمد هاشم، الإدارة العلمية، ص (٨٣).

وهو في الحقيقة تصور مستقبلي لما ينبغي عمله في ضوء القدرات والإمكانيات المتاحة.

أهمية التخطيط:

وتبرز أهميته في كونه يحقق ما يلي:

١ ـ يحقق للإدارة المدرسية حُسن توزيع الموارد المتاحة على عناصر العمل. مع الإستغلال الأمثل لهذه العناصر.

٢ ـ القضاء على الضياع والإهمال لهذه العناصر.

٣ ـ تحقيق الأهداف بأقل وقت وجهد وإمكانات.

٤ ـ يساعد الإدارة المدرسية على التقييم والتقويم.

٥ ـ يدفع أعضاء المدرسة للعمل.

٦ ـ يحقق التنسيق والإنسجام بين اعضاء المدرسة.[(١)].

خطوات التخطيط:

١ ـ تحديد الهدف المراد تحقيقه، أو تحديد المشكلة المراد التخطيط لحلها وعلاجها.

٢ ـ جمع وتحليل المعلومات والبيانات.

٣ ـ وضع عدد من المقترحات والحلول الممكنة.

٤ ـ تحديد المسارات البديلة.

٥ ـ اختيار الأمثل، المتناسب مع القدرات والإمكانات. وهذا يتم من خلال تقييم مسارات العمل في ضوء دراسة مزايا ومشكلات البدائل المتوفرة.

٦ ـ وضع الخطط الفرعية، المتعلقة بالخطة الرئيسة.

---

(١) انظر: مدني عبد القادر علاقي، الإدارة، ص (٢٢٣-٢٢٤).

٧ ـ تحديد البعد الزمني: بوضع برامج زمنية محددة لتنفيذ الخطة الأصلية التي تم اختيارها.[١].

ثانياً: التنظيـم:

التنظيم هو: تقسيم أوجه النشاط اللازم لتحقيق الخطط والأهداف.[٢].

أهميـة التنظيم:

١ ـ يحقق انتظام العمل وانسيابه بسهولة ويسر.

٢ ـ يحدد الإختصاصات والصلاحيات والمسؤوليات، مما يحول دون تنازع في الإختصاصات، أو تضارب في السلطات.

٣ ـ يحقق الإستغلال الأمثل للإمكانيات المتاحة، والحصول على أقصى طاقة إنتاجية منها.

٤ ـ يتحقق الإنسجام والتعاون بين الأفراد[٣].

أسس التنظيـم:

يقوم التنظيم الجيد على اعتبارات وأسس متعددة ينبغي العناية بها، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

١ ـ تقسيم العمل:

تبرز أهمية تقسيم أنشطة الإدارة إلى شعب متخصصة كنتيجة لكثرة الأعمال والتخصصات، مع تنوع الأهداف وكثرة وسائل تحقيقها.

إضافة إلى أهمية تقسيم عمل الشعبة الواحدة أو النشاط الواحد على

---

(١) زكي محمود هاشم، الإدارة العلمية، ص (٩٥-١٠٢).

(٢) ابراهيم عصمت مطاوع، امينة أحمد حسن، الأصول الإدارية للتربية، ص (١٦٩).

(٣) علي محمد عبد الوهاب، مقدمة في الادارة، ص (٧٦).

مجموعة الأفراد. وهذا يؤدي إلى زيادة المهارة الناتجة عن تكرار العمل، وتقليل الوقت الضائع في الإنتقال من مهارة لأخرى.[١] ولهذا ينبغي الإهتمام بهذا الجانب في الإدارة المدرسية.

٢ ـ وحدة القيادة:

لتحقيق الطاعة والاحترام والتعاون فإنه لابد من وحدة مصدر التوجيه، لأن تعدد رؤساء الموظف يجعله في حيرة وارتباك، أمام توجيهات ورغبات رؤسائه، خاصة إذا كانت متباينة في أولويات العمل[٢].

٣ ـ التنسيق:

يعتبر التنسيق من أبرز المؤثرات في حُسن سير العمل، وذلك لمنع تناقض وازدواجية مختلف الأجزاء التي تتكون منها الإدارة.

٤ ـ تحديد السلطة والمسؤولية:

لابد لنجاح العمل الإداري من تحديد سلطة ومسؤولية الأقسام الإدارية، وكذلك الأفراد العاملين فيها، وأن تكون هذه الأمور مكتوبة وموضحة لكل أفراد الإدارة، لأن الذي لا يعرف حدود سلطته ومسؤوليته قد يتجاوز حدوده المعتبر أو قد يقصر عنها، وكلاهما خطأ.

٥ ـ تناسب السلطة مع المسؤولية:

لابد للسلطة والمسؤولية أن يتمشيا مع بعضهما البعض إذا ما أُريد إنجاز الأعمال على أكمل وجه، لأن تكليف الموظف بمسؤوليات دون منحه السلطة التي تعينه على أداء مهام عمله تجعله يتهرب من المسؤوليات ويسأم العمل، وقد يفشل في إنجاز ما أُوكل إليه.

---

(١) محمد عدنان النجار، الأسس العلمية لنظرية التنظيم والإدارة، ص (٩٢).

(٢) محمد شاكر عصفور، اصول التنظيم والأساليب، ص (١٥٥).

٦ ـ المرونة:

وذلك أنه لابد من مرونة التنظيم بحيث يكون قابلاً للتعديل والتطوير، وفقاً لتغير الظروف والأهداف، ومتطلبات العمل دون إحداث هزات كبيرة وكثيرة في الهيكل التنظيمي(١).

٧ ـ التوازن:

إن عملية التوازن في الأسس السابقة تجعلها أكثر ايجابية، ولذلك فلا بد من المواءمة بين السلطة والمسؤولية، وبين المركزية واللامركزية، وبين نطاق الإشراف وطول سلسلة الأوامر، وبين أهداف الإدارة وامكاناتها(٢).

ثالثاً: التوجيه:

التوجيه هو خطوة هامة وحيوية في العملية الإدارية، تهدف إلى الأخذ بيد أفراد القوى العاملة من خلال القيادة الرشيدة إلى تحقيق الأهداف المنشودة.

ويمارس التوجيه في ضوء فهم طبيعة السلوك البشري، ومحاولة توجيه هذا السلوك الوجهة المرغوبة(٣).

أسس التوجيه:

١ ـ القدرة على إثارة اهتمام العاملين لأهداف العمل، وايجاد الترابط بين الأهداف الفردية والأهداف الجماعية.

٢ ـ القدرة على توجيه كافة الجهود في اتجاهات تضمن تحقيق الأهداف(٤).

---

(١) زكي محمود هاشم، الإدارة العلمية، ص (٢٠٨).

(٢) سامي زين العابدين، اصول علم الإدارة، ص (١٥٥-١٥٦).

(٣) زكي محمود هاشم، الإدارة العلمية، ص (٢١٠).

(٤) أحمد رشيد، نظرية الإدارة العامة، ص (٢٢٤).

٣ ـ القدرة على معرفة مهارات العاملين وقدراتهم، والأساليب المؤثرة فيهم بحيث تدفعهم للعمل وتبعدهم عن النفرة من تحقيق الأهداف.

رابعاً: المتابعــة:

من مهام المدير الإداري متابعة تنفيذ الخطة والإشراف على العمل وتعني المتابعة الرقابية: الضبط، والتأكد من أن ما يتم إنجازه مطابق لما تقرر في الخطة الموضوعة، وهي عملية هامة إذ بها يتفادى المدير وقوع العاملين في الأخطاء، وبه يتم كسب الوقت والجهد، لأنه يترتب على وقوع الخطأ الإصلاح وهذا يتطلب تكلفة مالية وبشرية وزمنية، ولكن بالمتابعة يتم تلافي ذلك.

أسس العملية الرقابية:

للرقابة الإدارية أسس لا بد من العناية بها وأخذها مأخذ الجد، وهي:

١ ـ تحديد وكتابة المعايير الخاصة بالأداء. سواء كانت معايير كمية أو كيفية.

٢ ـ مقارنة الأداء الفعلي بالمعايير المحددة.

٣ ـ اتخاذ الإجراءات التصحيحية اللازمة[١].

ولكن من الأخطاء الرقابية أن تكون هذه العملية بقصد الترصد للأخطاء وليس لتفادي وقوعها، وذلك نابع من سوء الفهم للرقابة الإدارية ومن الضعف النفسي عند البعض، إذ يجد بتصيد الأخطاء وسيلة للتشفي والتعالي.

ويتبين من ذلك الأهمية الكبيرة للإدارة المدرسية، والمهام الكبيرة المنوطة بمدير المدرسة، وأنها ليست عملية ارتجالية، بل إنها عملية منظمة ومرتبة، وذات أصول معتبرة لا بد من الأخذ بها، حتى تُؤتي المدرسة ثمارها بإذن ربها.

---

(١) ابراهيم عبد الله المنيف، الإدارة،المفاهيم، الأسس، المهام، ص (١٦٠-١٦٢).

التطبيقات التربوية:

تعتبر التطبيقات التربوية الترجمة الحقيقية للجانب النظري، وهي تعكس الإستفادة من الأنشطة المدرسية العامة. وكما أن هناك بعض الأنشطة المدرسية ذات التطبيق التربوي غير المجدي، أو الموجهة توجيهاً خاطئاً، فإنه يجدر بنا الوقوف على بعض تلك التطبيقات الخاطئة، بعد بيان التطبيقات التربوية الصحيحة، كما يلي:

أولاً: التطبيقات التربوية البناءة:

إن التطبيقات التربوية الناجحة هي التي تشتمل على أنشطة تربوية متنوعة، تلبي حاجات المتعلمين، وتنمي هواياتهم وتوجهها التوجيه الصحيح الذي يرتقي بهم نحو الصلاح، ومن أهم تلك التطبيقات ما يلي:

- تصحيح أخطاء الطلاب العقدية والتعبدية والفكرية.
- اكتشاف هواياتهم وتوجيهها التوجيه الصحيح. ومثال ذلك: الطلاب الذين يكتبون مقالات علمية واجتماعية للصحف الحائطية، فإنه ينبغي توزيع كل ما كتبوا على نخبة من المدرسين لقراءتها واختيار الأفضل؛ وأن لا يُكتفى بهذا الحد فقط، بل لا بد من تصحيح كل ما ورد في المقالات من أخطاء عقدية أو تعبدية أو فكرية أو لغوية، ومن ثم إعادتها للطالب لتصحيح تلك الأخطاء ومتابعته وتوجيهه لكتابة غيرها من المقالات، وبالتالي تنمو مدارك الطالب ومستوى فهمه وإدراكه، كما ينعكس ذلك على هواياته: في مجال الكتابة، والتحرير وغيرها.

والخطأ أن يترك دون توجيه، ومتابعة، وحصر النشاط في اختيار أفضل المقالات فقط، دون إخضاعها لاعتبارات ومقاييس تربوية.

- تدريب الطالب على ممارسة الدعوة إلى الله تعالى عن طريق تعليمه أُسلوب الدعوة، وأخلاقيات الداعية، مع التطبيق العملي بممارسة ذلك مع زملائه، وملاحظة أثر ذلك، مع التوجيه المتتابع.
- تقسيم العمل بين الطلاب في الأعمال المشتركة كالرحلات وغيرها

حتى يعتادوا تحمل المسؤولية والتعاون، وأن لا يوكل العمل لأحد أو أفراد دون الآخرين.

- لزوم مشاركة المدرسين في تلك الأنشطة، وأن لا يكون دورهم المراقبة فقط، بل لا بد من المشاركة الفعلية حتى يشاهد الطالب الممارسة الصحيحة والقدوة الصالحة في كيفية التعامل والتوجيه، وغير ذلك من الأمور المكتسبة.

- أن يستغل المدرسون ساعات المقصف للتوجيه التسويقي الصحيح، من خلال تناوب عدد من المدرسين في الإشراف علي المقصف حسب جدول محدد، وأن يعطى كل مجموعة من الطلاب أُسبوع يمارسون فيه البيع تحت رعاية وتوجيه مدرسيهم، فيقوم المدرسون بملاحظة الأخطاء التسويقية، من غش وخداع وكذب، وإخلاف وعد، ومحاباة، وتوجيه الطلاب توجيهاً ميدانياً في ضوء المبادئ الإسلامية.

- وفي أثناء المسابقات والأنشطة الرياضية يوجه المغلوب إلى تهنئة الغالب، ويوجه الفائز بما يُبعده عن الغرور، وينصح بعدم التعالي على المغلوب، وأن يكون التشجيع من قبل المدرسة للجميع، بما لا يغرس البغضاء والشحناء.

- أن نغرس في الطلاب أثناء ممارساتهم للأنشطة أن الهدف من هذه الأنشطة ليس هو التفوق الذاتي أو تفوق المدرسة فقط، بل إن الأمر يفوق ذلك، وأن العبرة بما يكتسبونه من إيجابيات تنفعهم في دينهم ودنياهم لا بما يحققونه من أرقام قياسية.

ثانياً: التطبيقات التربوية الخاطئة:

- الخطأ في تنمية جانب التفوق الذاتي لدى التلاميذ، بما يغرس فيهم أن الهدف من الإجتهاد والفوز هو تحقيق الشهرة، والإنتصار على الأقران. وما يترتب على ذلك من النية غير الصحيحة التي ترتبط بالأنشطة.

- أن تغرس الأنشطة في التلاميذ أن الهدف من هذا الجهد الجماعي الذي تقوم به المدرسة هو لتحقيق فوز المدرسة، والحصول على البطولة، فتصبح المقاييس عندهم مقاييس مادية فقط للأنشطة، والحقيقة أن المقياس هو ما تتركه الأنشطة من آثار إيجابية على سلوك التلاميذ لا ماتحققه من أرقام قياسية.
- قصر الأنشطة المدرسية على جانب التربية البدنية، والرسم، وقد يشتمل الرسم على رسم ذوات الأرواح.
- اشتمال الأنشطة في بعض الرحلات المدرسية على بعض المحرمات أو المكروهات كالغناء، والفكاهة البذيئة التي فيها سُخرية ببعض الناس، أو الغيبة والنميمة.
- افتقاد القدوة الحسنة في الرحلات، ووجود القدوة السيئة التي تتهاون في أداء بعض الواجبات الشرعية كالصلاة، ونحو ذلك.
- توجيه القرائح الشعرية والخطابة للتنميق في المدح، والغزل، والشعر البذيء.

المبحث الرابع
الإعلام

تمهيد:

يُقصد بالاعلام "الإتصال بجماهير الناس ومخاطبتهم بالخبر والفكرة والمعلومات والرأي ونقل العلم إليهم بالطرق والوسائل المناسبة الفعالة"(١) ويقوم المفهوم الإعلامي على "تبني قضية من القضايا وطرحها من خلال قناعة معينة، يقصد إيصالها إلى المتلقي سامعاً أو مشاهداً أو قارئاً"(٢).

ووسائل الإعلام كثيرة ومتعددة: كالمذياع، والرائي، والمجلة، والصحيفة. ولهذه الوسائل الأهمية البالغة في تغيير اتجاهات وأفكار وسلوك المستمع أو القارئ أو المشاهد فيظهر التأثير الإعلامي العميق في مجال السلوك الفردي أو الجماعي، وفي مجال الآراء والتصورات ، وفي مجال التعليم والمعرفة والعواطف والإنفعالات(٣) فهوسلاح ذو حدين في تكوين الإتجاه الأخلاقي نحو الفضيلة أو الرذيلة، أي أنه وسيلة هدم وبناء حسب توجيه من يوجهه كما يتضح مما يلي:

الإعلام وهدم الأخلاق:

لقد بات من المؤكد الذي لاشك فيه ولا يختلف فيه اثنان،أن جُل

---

(١) حامد عبد الواحد، الإعلام في المجتمع الاسلامي، رابطة العالم الإسلامي ص (٢١).

(٢) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص (٤٧١).

(٣) كولبانوفسكي، واخرين، علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية، ترجمة نزار عيونا السود، ص (١٣٧).

وسائل الإعلام العالمية بأساليبها الدعائية البراقة وبمؤثراتها الإخبارية المرئية والمكتوبة، تدق أعماق الأخلاق لدى الفرد وتهزها نحو التخلي عن الأخلاق الإسلامية والإنصهار في بوتقة الإنحلال الخلقي، ويدل على ذلك "أن أجيالنا باتت تعرف من خلال الوسائل الإعلامية المختلفة الكثير عن الفنانين، والمغنين، والممثلين، والراقصين، ممن أصبحوا مثلاً أعلى لحياة العديد من شبابنا وشاباتنا، في حين هي في جهل مطبق لتراجم عظمائنا وسير أبطالنا وروائع تاريخنا"(١)، وهذا الولع بالمنحرفين يقود إلى تبني أخلاقهم وسلوكهم وطريقة حياتهم، ويبعدهم عن سير وحب الصحابة والتابعين ومن سار من بعدهم على نهجهم، بل أن للإعلام أثراً كبيراً في الإنحراف الإجرامي: فهناك عدد من رجال القضاء والمحللين النفسيين يؤكدون أنه عندما يتم سؤال أحد الشباب المنحرف عن فكرة الجريمة فإن الإجابة تكون من رواية بوليسية أو من برنامج في (التلفزيون) أو من (فيلم سينما)(٢). وقد جاء في أبحاث الندوة العالمية للشباب الإسلامي عن علاقة وارتباط تدني الأخلاق بتدني الإنتاج أنه "يرد كثير من خبراء التنمية أزمة الإنتاج إلى المشكلة الآنفة (مشكلة الأخلاق) للإنحطاط الأخلاقي والنفسي، ومن جهة أخرى يخشى علماء التربية ونفر من المفكرين العالميين أن يقضي هذا التدني المتتابع في الأخلاق على البقية الباقية من القيم"(٣).

وما ذلك الإتجاه الإعلامي المتدني إلا نتيجة اتباع سنن أعداء الإسلام كما أخبرعن ذلك ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم) قلنا يارسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن)(٤). قال ابن بطال رحمه الله: أعلم ﷺ أن أمته ستتبع

(١) مني حداد يكن، أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام، ص (٣١).

(٢) المرجع السابق، ص (٥٤).

(٣) الندوة العالمية للشباب الإسلامي والعلاقات الإنسانية، ص (٢٩٤).

(٤) البخاري (٣٦٨/٤) برقم (٧٣٢٠). ومسلم (٢٠٥٤/٤) برقم (٢٦٦٩/٦) واللفظ له.

المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلهم ،وقد أنذر في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر والساعة لا تقوم الإ على شرار الناس، وأن الدين إنما يبقى قائماً عند خاصة من الناس(١).

وقد حذر الله تعالى من اتباع خطوات الشيطان لأنه لا يأمر إلا بالفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ فِيهِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾(٢).

الإعلام وبناء الأخلاق:

كما أن أجهزة الإعلام قد تكون مصدراً للفساد الأخلاقي فإنها تكون أيضاً مصدراً للبناء الأخلاقي فهي آلة بث، وقلم، وقرطاس، يوجهها ويحررها ويحركها الإنسان، فالمذياع مثلاً يمكن استخدامه لتوجيه البشرية عبر الموجات الصوتية التي تخترق القارات ليسمع العالم كلمة التوحيد، دين الأخلاق، دين إنقاذ البشرية من النار إلى جنة عرضها السموات والأرض.

فتنطلق هذه الدعوة مدوية في أرجاء المعمورة لايحجبها عدو ولا حسود، فقد "كان الطغاة والكهنة والخائفون من الحقيقة يمنعون الدعاة من تبليغ كلمة الله إلى الناس؛ فجاء المذياع لينهي هذه الوصاية ويبث فوق الحجب والموانع"(٣) فيمكن أن تكون وسائل الإعلام أدوات خير لنشر الأخلاق الإسلامية السامية، ولتبديد الرذائل التي فيها بعض الناس منغمسون. كما أباد الإسلام الرذائل الخُلُقية التي كانت منتشرة قبل الإسلام"فلم يعد العربي كما كان متفلتاً من ضوابط القانون في معاملاته الاجتماعية بل صار منضبطاً بضوابط الشريعة في جزئيات حياته من أخلاق وعادات ونوم واستيقاظ وطعام وشراب وزواج وطلاق وبيع وشراء"(٤).

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (١٣/ ٣٠١).

(٢) سورة النور: آية رقم (٢١).

(٣) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص (٣٠٩).

(٤) أكرم ضياء العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماتها الأولى ص (٦٣).

فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما كانت عليه الجاهلية من أخلاق النكاح، فهو أربعة انواع، الأول: نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، الثاني: نكاح الاستبضاع، يقول الرجل لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلي فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولايمسها حتى تستبضع من ذلك الرجل. والثالث: يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم، فإذا أنجبت الحقت بمن شاءت منهم، والرابع البغايا يدخل عليهن من شاء من الرجال وكن ينصبن الرايات على أبوابهن ليعرفن، فلما بُعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم"[1].

فهكذا كان التأثير الإسلامي في الجانب الأخلاقي ظاهراً ومؤثراً، فبوسع الاعلام أن يكون وسيلة بناء لهدم الرذائل ونشر الفضائل في أقطار العالم أجمع.

الإعلام الإسلامي كموجه أخلاقي:

لكي يكون الإعلام إسلامياً ينبغي أن ينطلق في ضوء التوجيهات الإسلامية حتى يكون تأثيره في الأسرة والمجتمع تأثيراً بناءً يعكس الصورة الحقيقية لأخلاق الاسلام، ويمكن أن نضع بعض القواعد الأساسية التي تحدد اتجاه الإعلام الإسلامي كموجه أخلاقي يبث للعالم صورة حقيقية لأخلاق الاسلام، فيكون وسيلة بناء لا هدم، ومفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وهي:

١ ـ الدعوة إلى الاسلام:

أي يكون الهدف من وراء الرسالة الإعلامية هدفاً ربانياً يبتغى به نشر الدين الاسلامي في أنحاء العالم، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[2].

---

(١) البخاري (٣/٣٦٩-٣٧٠) برقم (٥١٢٧).

(٢) سورة آل عمران: آية رقم (٧٩).

٢ ـ الأسلوب التوجيهي:

إن للكلمة الطيبة تأثيراً ووقعاً في النفس، ولنا في رسول الله أسوة حسنة فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً ولا غليظاً، وانما كان أسلوبه الحكمة والموعظة الحسنة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال في صفة رسول الله صلي الله عليه وسلم: (أنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن» يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولاسخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر. . .)[١].

٣ ـ عدم إشاعة الفحش بالكلمة والصورة والصوت البذيء:

استجابة لقوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

٤ ـ الابتعاد عن سبل شياطين الإنس والجن:

وهم الذين يقومون بالترويج للرذيلة الخلقية وتزيينها لعيون الناس وعقولهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟

---

(١) البخاري (٢/٩٦) برقم (٢١٢٥) ،وذكره ابن كثير في شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم، ص (٦٨).

(٢) سورة النساء: آية رقم (١٤٨).

(٣) سورة النور: آية رقم (١٩).

(٤) سورة النور: آية رقم (٢١).

﴿خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وذلك استجابة لأمر الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

٦ ـ اعتياد الخبر الصادق النافع:

ينبغي اعتياد الخبر الصادق حتى يثق السامع والمشاهد والقارئ في صحة ما تقول وما تدعو إليه، فإذا حصلت الثقة تبعها القبول. "أما الصحفي الذي ينشر على الألوف خبراً باطلاً، والسياسي الذي يعطي الناس صورة تغاير الواقع، وذو الغرض الذي يتعمد سوق التهم إلى الكبراء فأولئك يرتكبون جرائمَ أشق على أصحابها وأسوأ عاقبة"[3].

وقد وجهنا الإسلام إلى الصدق وحذرنا من الكذب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[4].

وقال ﷺ: (عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)[5].

فإن التزام الإعلام بهذه القواعد، وجمع نشاطه لنشر التوحيد وتحقيق العبودية الخالصة فإنه يكون بناءً ينشر ويربي الفضائل الخُلُقية في البشرية.

---

(١) سورة البقرة: الآيتان رقم (١٦٨ ـ ١٦٩).

(٢) سورة آل عمران: آية رقم (١٠٤).

(٣) محمد الغزالي، خُلُق المسلم، (٣٧) ملخص.

(٤) سورة النحل: آية رقم (١٠٥).

(٥) البخاري (٤/١٠٩) برقم (٦٠٩٤) ومسلم (٤/٢٠١٢-٢٠٣) برقم (١٠٥-٢٦٠٧) واللفظ له.

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الإعلام في العالم الاسلامي يخدم قضاياه وينشر أهدافه.

ومن خلال العرض السابق للبيئات التربوية يتضح عناية الإسلام بهذه الجبهات التربوية التي لها الأثر الفاعل في سلوك الناشئة، بل في سلوك البشر عامة، وذلك للدور المنوط بها، وقوة فاعليتها المؤثرة.

ولذلك ينبغي أن يعي القائمون على هذه المواقع أهمية هذه المرافق وما يمكن أن تقوم به من دور إصلاحي وتربوي في المجتمع.

الفصل الرابع
الأصول الأسلوبية



الفصل الرابع
الأصول الأسلوبية

المفهـــوم:

الأسلوب هو الطريق، والوجه، والمذهب، ويجمع على أساليب[1].

وهي الطرق التربوية التي يستخدمها المربي لتنشئة المتربين التنشئة الصالحة.

وتتميز التربية الإسلامية بتنوع أساليبها وتعددها، بما يتيح للمربي اختيار الأنسب والأفضل لطبيعة المتربي، بما يجعله يستجيب لمؤثراتها النفسية.

أهمية تنوع الأساليب التربوية:

إن لتنوع الأساليب التربوية أهمية كبيرة في العملية التربوية، يمكن إيضاحها فيما يلي:

١ ـ إن تعدد الأساليب التربوية وتنوعها عامل مشوق، فالموعظة التي تحتوي على القصة وضرب الأمثال، والعبرة المؤثرة، والترغيب والترهيب، تكون أكثر وقعاً من الموعظة المجردة، أو الأسلوب الأحادي.

٢ ـ تمكن المربي من اختيار ما يناسب واقع الحال للمتربي، والظروف المحيطة به.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (١/ ٤٧٣).

٣ ـ اختلاف تقبل الناس للأساليب التربوية، يعزز أهمية تنوعها، فالبعض يَعتبر ويتأثر بالقدوة التي يشاهدها، والبعض يتأثر بالأسلوب العاطفي الذي يتضمنه أسلوب الترغيب والترهيب، والبعض لديه معلومات أو أفكار سابقة منحرفة أو غير صحيحة، ولا يجدي فيه إلا الأسلوب الحواري الذي يجلي ويصحح ما لديه من أوهام وشبه.

ولذلك فإن على المربي أن ينظر في واقع حال المتربي، والأسلوب الأمثل الذي يؤثر فيه، وأن ينوع من الأساليب التربوية، لأن النفس قد تمل من الطريقة الواحدة المكررة، وفي المباحث التالية أهم الأساليب التربوية التي يمكن للمربي أن يأخذ بها.

المبحث الأول

القـــــدوة

مفهوم القدوة:

القدوة اسم من أُقْتُدي به، إذا فُعل مثل فعله تأسِّياً.

وفلان قدوة: أي يُقتدى به.

أقسام القدوة:

تنقسم القدوة إلى قسمين:

أ ـ قدوة في الخير: وهي القدوة الصالحة، والأسوة الحسنة، وخير من يمثلها نبينا محمد ﷺ، وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم صحابته من بعده رضي الله تعالى عنهم، ثم من اتبعهم واقتفى أثرهم.

وإن الله تعالى قد أرشدنا وأمرنا أن نقتدي برسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] وهذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحواله[2].

يقول ابن حزم: فمن أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والإحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل

---

(١) سورة الاحزاب: آية رقم (٢١).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٨٣).

بأسرها، فليقتد بمحمد ﷺ، وليستعمل أخلاقه وسيرته ما أمكنه[1].

وقد أرشدنا الحق تبارك وتعالى إلى أن نسأله أن نكون قدوة صالحة، يتأسى بنا غيرنا، قال تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2].

ب ـ قدوة في الشر: وهي الأسوة السيئة الفاسدة، التي تتمثل في أهل السوء والباطل، من أهل البدع والإنحرافات العقدية والتعبدية والأخلاقية.

وهذه القدوة الباطلة الضالة لها تأثير قوي في حياة البشر، حيث تجد البعض إذا أُسديت إليه نصيحة، أو أُمر بمعروف احتج بما كان يعهده من الآباء والأجداد من أقوال وأفعال، ولو كانوا في ضلال مبين، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3].

أهميــة القـدوة التربويـة:

يعتبر أسلوب القدوة الحسنة من أنجع الأساليب التربوية المؤثرة في سلوك الآخرين، لأنها تطبيق عملي يُثبت القدرة والإستطاعة الإنسانية على التخلي عن الإنحرافات، والتحلي بفضائل الأعمال والأقوال، فهي تنقل المعروف من الحيز النظري إلى الجانب التطبيقي المؤثر، فتلامس بها الأبصار، والآذان والأفئدة فيحصل الإقتناع والإعجاب ثم التأسي.

ويمكن إجمال أهمية القدوة التربوية في النقاط التالية:

١ ـ تأثر الإنسان بالإنسان:

إن الله تعالى جبل بني آدم؛ بل سائر المخلوقات على التأثر بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا

---

(١) ابن حزم، الأخلاق والسير، ص (٢٤).

(٢) سورة الفرقان: آية رقم (٧٤).

(٣) سورة لقمان: آية رقم (٢١).

بالعين فقط. ولما كان بين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص كان التفاعل فيه أشد. ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمشاركة والمعاشرة، بل إذا عاشر الآدمي نوعاً من الحيوان اكتسب من بعض أخلاقه، ولهذا صارت الخيلاء والفخر في أهل الخيل والإبل وصارت السكينة في أهل الغنم[(1)]، قال ﷺ: (رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، والفدادين أهل الوبر[(*)]، والسكينة في أهل الغنم)[(2)].

وهذا يؤكد حقيقة تربوية أن الناس يتأثرون ببعضهم البعض في الأقوال والأفعال والإتجاهات ولأفكار، والإعتقادات، وسائر الأخلاق، مما يعطي أهمية كبيرة لأسلوب القدوة وتأثيرها البالغ في الأفراد والجماعات والمجتمعات.

٢ ـ شاهد الحال أبلغ من شاهد المقال:

إن المشاهدة العينية للسلوك المراد تربية الإنسان عليه أقوى وأبلغ في التأثير من أسلوب المقال، لأن مشاهدة السلوك تبين وتترجم إمكانية التطبيق، وتعطي قناعة بذلك، وتؤكد أهمية الأخذ به. ومثال ذلك ما وقع في صلح الحديبية، لما صدت قريش المسلمين من دخول مكة المكرمة، فأمر الرسول ﷺ الصحابة أن ينحروا ويحلقوا، فلم يقم منهم رجل[(*)]، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما

---

(١) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ص (٢١٩-٢٢٠).

(*) الفدادين: جمع فدان، والمراد به البقر التي يحرث عليها، وقيل آلة الحرث. أهل الوبر: البادية، وأهل المدر: الحضر. فتح الباري (٦/ ٣٥٢).

(٢) البخاري (٢/ ٤٤٤) برقم (٣٣٠١).

(*) قوله: (فوالله ما قام منهم رجل) قيل كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام، لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أن يكونوا ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر. وليس القصد معصية الرسول ﷺ. انظر فتح الباري (٥/ ٣٤٧).

لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم، كلمة حتى تنحر بُدْنَك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: فنحر بُدْنَه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً[(١)].

وفيه فضل المشورة، وأن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد، وليس فيه أن الفعل مطلقاً أبلغ من القول، ونظير هذا الموقف ما وقع لهم في غزوة الفتح، من أمره ﷺ بالفطر في رمضان، فلما استمروا على الإمتناع تناول القدح فشرب، فلما رأوه شرب شربوا[(٢)].

كما أن الأسلوب العملي أرسخ للفهم والتعليم والإيضاح؛ خاصة إذا وافق ذلك بيان قولي، ومن الأمثلة التي تؤكد اهتمام المنهج الإسلامي بهذا الأسلوب، ما جاء في سير الصحابة والتابعين من الأخذ به، ومثال ذلك أن عمرو بن أبي الحسن سأل عبد الله بن زيد عن وضوء رسول الله ﷺ فدعا بتور من ماء فتوضأ لهم وضوء رسول الله ﷺ. . .[(٣)] فانتقل رضي الله عنه من الإيضاح بالبيان القولي إلى البيان العملي، لأنه أبلغ في التأثير.

ومن جانب آخر قد يتردد الإنسان ويحتار بين التقدم في أداء شيء وتركه، مما يحسن فعله، فإذا رأى غيره أقدم عليه تبعه في ذلك، فكم من المتعلمين وقف حائراً أمام مادة دراسية عجز عن فهمها، أو عجز عن أداء عمل معين، شعر فيه بضعف قدرته عن القيام به، فإذا رأى قدوة من أقرانه وزملائه يدربون أنفسهم ويجاهدونها على ذلك، سعى هو إلى تقليدهم واقتفى أثرهم، وزال المانع الوهمي الذي كان في مخيلته[(٤)] فكان لشاهد الحال التأثير الفاعل في اندفاعه نحو ذلك العمل.

---

(١) البخاري (٢/ ٢٨٢-٢٨٣) برقم (٢٧٣١-٢٧٣٢).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٥/ ٣٤٧).

(٣) البخاري (١/ ٨١) برقم (١٨٦).

(٤) أحمد سعيد الغامدي، دراسات في التربية الإسلامية، ص (٧٣).

٣ ـ حاجة الناس للقدوة:

إن الناس في كل وقت يحتاجون لمن ينفي لهم ادعاءات المبطلين، والتصورات والإعتقادات الخاطئة التي تَقْدُمُ إليهم من خارج البيئة الإسلامية، ويؤكد ويبيِّن لهم أن المنهج الإسلامي ليس منهج لا واقع له، بل إنه منهج مثالي موافق للفطرة البشرية، ويحقق لهم سعادة الدارين، وأن صلاح البشرية مرتبط بالأخذ به جملةً وتفصيلاً.

ومثال ذلك من يقول: بأن الحجاب لا يتوافق مع هذا العصر المتطور، وبناء على هذه المقولة قد يتردد البعض من الناس في الأخذ به، ويخجل من أن يُعَيَّر إن هو تمسك بذلك، فإذا شاهد غيره متمسكاً به مطبقاً له، في عزة وشموخ، تأكد له بهذه القدوة الصالحة، أهمية التمسك بدينه، وبالتالي يتأثر بها، في حين أنه لو لم يرها لربما بقي على حاله، وقس على ذلك من يترددون في أداء الشعائر التعبدية أمام من لا يهتمون بأدائها، فإذا شاهدوا من يقوم بتطبيقها اندفعوا في مشاركتهم، ولم يحجبهم عن ذلك إلا ضعف إيمانهم، وعدم توفر القدوة التي يقتدون بها.

ومن أمثلة ذلك من يبيع ضمن تجارته بعض المحرمات، ويتوهم أنه لو تركها لتركه الناس، وقل الإقبال على متجره، فإذا شاهد غيره ممتنعاً عن بيع تلك المحرمات، والإقبال على مبيعاته متزايداً، أو بشكل جيد، تأكد له بطلان اعتقاده، بتلك القدوة الصالحة التي كان في أمس الحاجة لها لتؤكد له خطأ ظنه.

ولربما تقاعس البعض عن التقدم لفعل الخير حياءً في غير مكانه، أو وهم عجز لا واقع له، فإذا رأوا غيرهم قام به اندفعوا لذلك العمل الصالح، ويظهر ذلك في الصدقة على المحتاجين، وفي عمليات الإنقاذ أثناء الحوادث، فيندفع أحد الأفراد فيتبعه الناس زرافات ووحداناً.

٤ ـ وجود القدوة السيئة يؤكد حتمية وجود القدوة الصالحة:

إن المعترك بين الحق والباطل مستمر بين البشر، ولو اختفى الباطل لما كان هناك حاجة للنهي عن المنكر. كما أن وجود من يمثل القدوة

السيئة ويدعو لها، ووجود من يقتفي أثرهم من الجهال، وأصحاب الأهواء، يُحتم أهمية وجود القدوة الصالحة الناصحة التي تَرُد وتدحر من يمثلون القدوة السيئة، فقوم موسى عليه السلام، وهم مع نبيهم لما جاوز اللهُ تعالى بهم البحر، مروا على قوم يعبدون تماثيل، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم تمثالاً مماثلاً لهم، واقتداء بهم. فظهرت هنا أهمية وجود القدوة الصالحة التي تصبر على الحق وتنصح له والتي يمثلها في هذا الموقف موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وحدث مثل هذا في عهد نبينا محمد ﷺ، فعن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، قال: فقلنا: يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: "قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون، إنها لسنن، لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة»[2].

فوجود أهل البدع والأهواء والأفكار الهدامة بين أفراد الأمة يؤكد أهمية وجود القدوة الصالحة التي تمثل للناس المنهج الإسلامي، وتردهم إليه كلما انحرفوا عنه، أو وجدوا القدوة السيئة التي تُزين لهم فعل المنكرات.

بل إن الفصل الدراسي والمدرسة التي هي منار العلم تحتاج إلى القدوة الصالحة، فالفصل يحتاج إلى الطالب القدوة، ذو الأخلاق الفاضلة، والأدب الرفيع، الجاد في الطلب، لأن هناك الطالب المتهاون،

---

(١) سورة الاعراف: الآيات (١٣٨-١٤٠).

(٢) أحمد، المسند (٥/٢١٨).

المثبط للنجباء، الذي يمثل القدوة السيئة. فاحتاج بقية الطلاب للقدوة الصالحة.

٥ ـ ثواب القدوة الحسنة وإثم القدوة السيئة:

إن ثواب القدوة الصالحة يؤكد أهميتها، وحاجة كل فرد أن يمثلها حتى يحصل على ما أعده الله تعالى لمن يمثلونها، فعن المنذر بن جرير عن أبيه قال: (كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار، أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ، لِما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج. فأمر بلالًا فأذن وأقام فصلى ثم خطب، وقال: . . . .تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره،(حتى قال) ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الأنصار بصرة، كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال ثم تتابع الناس. حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ "من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أُجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء")[١].

قال الإمام النووي: وفيه الحث على الإبتداء بالخيرات، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات[٢].

الدوافع النفسية للإقتداء:

يقوم الإقتدا والتقليد للآخرين على أسس نفسية يمكن اختصارها في ثلاثة عوامل:

---

(١) مسلم (٢/٧٠٥) برقم (٦٩-١٠١٧).

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (٧/١٠٤).

١ ـ الإعجاب.
٢ ـ الشعور بالعجز.
٣ ـ التنافس.

١ ـ الإعجاب:

إن الإنسان عندما يُعجب بسلوك معين، أو بشخصية، يجد انجذاباً نفسياً داخلياً للإقتداء بها في عموم السلوك والأخلاق، أو في جزئيات معينة، وتجد أن الدافع لذلك وهو حب التجانس مع هذه الشخصية، نتيجة الإعجاب.

وهذا يتطلب من المربي سواءً كان من الوالدين أو غيرهما أن يكون شخصية جذابة في سلوكه وعموم أفعاله وأخلاقه، حتى يغرس في أبنائه وطلابه الميل النفسي نحوه، وبالتالي يحصل الإندفاع لمحاكاته في الأقوال والأفعال.

أما الشخصية البعيدة عن المثل العليا، فإنها تكون لذاتها عقبات نفسية، فتنفر الأفراد من الإعجاب بها، ومن ثم تضعف عملية التأثر والإقتداء.

٢ ـ التنافس:

يعتبر التنافس بين الأفراد والجماعات والمجتمعات من العوامل التي تثير عملية الإقتداء والتأسي، لأن التنافس السوي يكون مبنياً على الرغبة في التماثل، والتسابق، دون أن يوافق ذلك رغبة في زوال ما عند الآخرين، وإلا تحول إلى حسد بغيض، مرفوض شرعاً وطبعاً، ومن هنا ينشأ التقليد الفردي والجماعي.

والمتأمل في أحوال الناس يجد أن أوجه التقليد التنافسي يظهر في جانب الزعامات والقيادات، ويظهر بين طلاب العلم، وكذلك في جانب المصالح والمكاسب المادية، فتجد أهل الصنعة الواحدة يتنافسون فيما بينهم في عمليات التسويق وجذب المشترين.

وعلى مستوى المجتمعات ما يحدث من تطور صناعي وتقني، حيث تجد أن الدافع وراء ذلك هو عامل التنافس، فكل بيئة اجتماعية ترغب في أن تحقق قدم السبق في جانب معين أو في عدة جوانب، وبالتالي تبدأ المجتمعات الأخرى تدخل هذا المعترك التنافسي اقتداء بما يحدث في ساحة المجتمع.

وخير التنافس ما قرب العبد من ربه عز وجل، وقرب الأمة من طاعة الله تعالى، وهذا ما يسمى بالغبطة، "وهي رغبة في النفس أن يكون لها مثل ما لغيرها، وهي ممدوحة أيضا، لأنها تنتهي غالباً بالمنافسة إذا صحبتها العزيمة، وحب العمل."[(١)] قال ابن تيمية عن الغبطة: أن يكره فضل ذلك الشخص عليه فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه، فهذا حسد، وهو الذي سموه الغبطة[(٢)]، وقال ابن حجر: هي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ وإن كان في المعصية فهو مذموم، ومنه (ولا تنافسوا) وإن كان في الجائزات فهو مباح[(٣)].

٣ ـ الشعور بالعجز:

إن الشعور بالعجز، أو النقص في بعض جوانب الشخصية، يدفع المرء إلى الإحتذاء بمن يرى أنهم متفوقون عليه في ذلك الجانب الذي أخفق في تحقيقه، ويرى أن في تقليدهم لذلك مخرجاً وعلاجاً قد ينقله ويُخرجه مما يعاني منه.

وهذا يحدث على مستوى الأفراد وعلى مستوى المجتمعات، حيث أن المغلوب مولع بالإقتداء بالغالب، وذلك أن النفس تعتقد الكمال في من

---

(١) محمد أحمد جاد المولى، الخُلُق الكامل (١/ ١٦٦).

(٢) ابن تيمية، الفتاوى (١٠/ ١١٢).

(٣) ابن حجر، فتح الباري (١/ ١٦٧).

غلبها، وانقادت إليه إما لنظره بالكمال، أو لما تُغَالِطُ به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي وإنما هو لكمال الغالب[1].

فإذا عرف الإنسان هذه الخاصية فعليه أن يحترز من مغبة الولع بمن لهم حظ في الشهرة، فيقتدي بهم دون أن يعرض ذلك على المنهج الإسلامي، فإن رأى أن فيه خيرا أخذ به، وإن رأى أن فيه مفسدة تركه، ولا يكن وراء كل نداء وقول إلا نداء الحق، قال صلى الله عليه وسلم: (لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس: أحسنا، وإن ظلموا: ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤا فلا تظلموا)[2].

وهنا ينبغي معالجة من يندفع وراء الحضارة الغربية ممن قل تفكيرهم ووهن نقدهم، وضعفت بصيرتهم، من خلال: تربيتهم على أن الإسلام عزيز، وأن عليهم الإعتزاز به؛ وبكل ما جاء فيه، وبيان خطورة الحضارة الغربية، وما فيها من وهن وعجز وانحراف، مع بيان ما فيها من جوانب إيجابية، وأن نأخذ هذه الجوانب الإيجابية طالما أنها تنفعنا ولا تتعارض مع المنهج الإسلامي. وينبغي أن لا يدفعنا هذا إلى تقليدهم وموالاتهم وحب عاداتهم.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص (١٤٧).

(٢) الترمذي (٤/ ٣٢٠) برقم (٢٠٠٧) وقال الألباني: ضعيف. ضعيف الجامع، برقم (٦٢٧١-١١٣).

المبحث الثاني
القصــــة

مفهوم القصة:

القِصَّةُ: الخبر، وهو القَصَصُ. والقِصَص: جمع القِصة التي تُكتب. والقَصص بالفتح: الخبر المقصوص[1].

والقصة التربوية تشمل القَصَص المكتوب، والخبر المقصوص، وكلاهما له أهمية كبيرة في التأثير التربوي، خاصة وأن الأخبار المقصوصة كثيرة ومتجددة بحسب الحوادث التي تحدث في العالم، وفي كلاهما عظة وعبر ودروس.

والقصة التربوية، هي الخبر الصادق المنقول لفظاً أو كتابة. أما ما يُختلق من أكاذيب، فليست من الصدق في شيء، وبالتالي، لا ينبغي نقلها ولا استخدامها.

أهمية القصة التربوية:

تبرز أهمية القصة من التأثير النفسي العميق، الذي تتركه في ذهن المستمع أو القارئ، وتتجاوز ذلك إلى التأثير في سلوكه، وأفكاره، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ أنها أحد أساليب التربية الإسلامية، حيث تضمن القرآن الكريم الكثير

(١) ابن منظور، لسان العرب (٧/ ٧٤).

من القصص، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾[1].

كما تضمنت السُّنَّة النبوية المشرفة العديد من القصص التي قصها رسول الله ﷺ على أصحابه، وحفظتها كتب الأحاديث النبوية.

٢ - تشد القصة القارئ أو المستمع إليها من خلال مواقفها المتعددة، والمختلفة.

٣ - للقصة تأثير على عواطف الإنسان، فتكون لديه ميول نحو فئة أو أفراد، أو سلوك معين، وبالتالي يتقمص شخصياتهم ويقلد سلوكهم.

فعن طريق المشاركة الوجدانية لأحداث القصة وشخصياتها يندمج المستمع أو القارئ مع جو القصة العاطفي حتى يعيش بانفعالاته مع شخصياتها[2] فيحب ويكره ويعادي ويتألم، وبالتالي يتكون لديه اتجاه بحسب موضوع القصة.

٤ - تنقل القصة الإنسان إلى مكان الحدث عن طريق تصور مجريات أحداثها وأفرادها، وهذا عامل نفسي يعطي القصة أهمية في تتبع أحداثها دون ملل.

خصائص قصص القرآن والسُّنَّة النبوية:

١ - **واقعية القصة وصدقها**، وبعدها عن الخيال الذي قد يسرح بالإنسان إلى ما لا يستطيع إدراكه، أو تطبيقه، أو الإستفادة منه.

٢ - **موافقتها للفطرة البشرية**، فعندما تستعرض القصة يتبين فيها حال الإنسان، وما قد يعتريه من الضعف، ولكن لا تجعل من هذا الضعف بطولة تستحق الإعجاب والتقليد، وإنما تصوره بما يدفع الإنسان لتجنب الوقوع في مثله، ومثال ذلك: كيد أخوة يوسف لأخيهم وما وقع

---

(١) سورة يوسف: آية رقم (٣).

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، اصول التربية الإسلامية، ص (٢١٣).

منهم، فتجد أنها لاتنفي ذلك ولكن تربي في قارئها ومستمع آياتها، أن يتجنب مثل هذا السلوك، وكذلك في قصة قابيل وهابيل[1].

٣ ـ **تربية عواطف الإنسان على الخير**، عن طريق إثارة انفعالاته كالخوف والترقب والمحبة والرضا والبغض والارتياح والكره، وتوجيه هذه الإنفعالات نحو الخير والصلاح،[2] فيميل إلى فعل الخير وحب طاعة الله تعالى، وكره الشر وكل ما يؤدي إلى غضب الله عز وجل، وتربي فيه الخوف من خالقه، ورجاء رحمته، والإعتماد عليه، واللجوء إليه، وحب ما يحبه الله تعالى، وبغض كل ما يبغضه عز وجل. فما ينتهي الإنسان من قراءة قصة في كتاب الله تعالى أو في سُنَّة المصطفى عليه الصلاة والسلام إلا وقد تأثرت عواطفه واتجهت نحو الخير.

٤ ـ **أنها ذات أغراض دينية:**[3]

أ ـ إثبات الوحي والرسالة، وتحقيق القناعة بأن محمد ﷺ رسول الله، وأن ما أتى به وحي من الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[5].

ب ـ بيان أن هذا الدين من عند الله تعالى.

ج ـ أن الله ينصر رسُلَه والذين آمنوا، وينجيهم من المآزق والكروب.

---

(١) انظر منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب، (٩٦/١).

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ص (٢١٢).

(٣) المرجع السابق، ص (٢١٢-٢١٧).

(٤) سورة يوسف: آية رقم (٣).

(٥) سورة هود: آية رقم (٤٩).

د ـ تثبيت الرسول ومن اتبعه من المؤمنين، وشد أزرهم، وتقوية إيمانهم إزاء ما يلاقون من الهموم والمصائب.

هـ ـ التنبيه لخطر الشيطان، وحرصه على غواية البشرية.

مصادر القصة:

تتعدد مصادر القصة في التربية الإسلامية، مما يتيح للمربي التنويع في المصدر، ويمكن إجمال مصادرها فيما يلي:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ السُّنَّة النبوية.

٣ ـ المصادر التاريخية المعتمدة.

٤ ـ كتب التراجم والسِيَر.

٥ ـ الحوادث التي تحدث في المجتمعات.

المبحث الثالث

الترغيب والترهيب

مفهوم الترغيب والترهيب:

الترغيب: هو التشويق للحمل على فعل، أو اعتقاد، أو تصور، وترك خلافه.

والترهيب: هو التخويف للحمل على ترك فعل أو اعتقاد، أو تصور[١].

والترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة، مقابل الإلتزام بأداء أمر، أو اجتناب نهي. ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تُحقق للملتزم.

وأما الترهيب فيقوم على وعيد بعقوبة أو حرمان منفعة، إذا لم يلتزم بما أُمر به، أو نُهي عنه.

أهمية الترغيب والترهيب:

إن الإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه، من خلال الترغيب والترهيب[٢].

---

(١) عجيل جاسم النشمي، معالم في التربية، ص (٢٠٨).

(٢) محمد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السُّنَّة النبوية، ص (٦٤٦).

والقرآن الكريم والسُّنَّة النبوية تؤكد أهمية هذا الجانب بما تضمنته من ترغيب وترهيب، تستجيش قلب الإنسان نحو الخير وتوجهه لذلك، وتخوفه من الإنحراف، وتحذره من ذلك.

وتأتي أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في العملية التربوية من عدة اعتبارات، وهي:

١ ـ أنه أحد الأساليب التربوية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي، فالقرآن الكريم والسُّنَّة النبوية مليئة بالآيات والأحاديث التي ترغب الإنسان في العمل بما أُمر به، والإنتهاء عما نُهي عنه.

٢ ـ أن الإنسان مفطور على حب جلب الخير لنفسه، وكره الشر والشقاء. وهذا يدفع الإنسان للإستجابة للمؤثرات الترغيبية، والترهيبية بشكل قوي، حيث أن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء، وهما "خطان متقابلان في النفس الإنسانية"[(١)] وقد استخدم المنهج الإسلامي هذا الأسلوب في تحريك الدوافع الخيرة وتنشيطها تارة بالترغيب فيما أعده الله تعالى لمن خاف مقام ربه، ونهى نفسه عن غيها وطغيانها. وتارة بالترهيب مما أعده الله تعالى للمفسدين والمنحرفين عن سُبل السلام، فمن آيات الوعيد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[(٢)].

ومن آيات الترغيب في الآخرة قوله تعالى ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا * جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾[(٣)].

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية (١/ ١٥٥).

(٢) سورة الحج: الآيتان رقم (١-٢).

(٣) سورة النبأ: الآيات (٣٣-٣٦).

٣ ـ أن الإنسان لديه قدرة على التمييز بين ما يضره، وما ينفعه، كما أنه يستطيع أن يستجيب لأوامر التكليف، فيمتنع عن ما نُهي عنه، والعمل بما أُمر به. مما يجعل للترغيب والترهيب أثر في سلوكه. ولولا هذه الخاصية الفطرية لما كان للترغيب والترهيب أثر تربوي.

٤ ـ أن الترغيب والترهيب أسلوب تربوي وقائي، لأنه يقوم على جانب التحذير من المخالفة، مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية التربوية.

عوامل نجاح الترغيب والترهيب:

١ ـ قوة الترغيب والترهيب:

إن الترغيب والترهيب يثير عند الإنسان عامل الخوف، وعامل الرجاء والأمل، وهما في الواقع يوجهان اتجاه الإنسان، ويعملان على تحديد أهدافه، وسلوكه، ومشاعره وأفكاره، وعلى قدر ما يخاف، ونوع ما يخاف، وعلى قدر ما يرجو ونوع ما يرجو، يكون التأثير في السلوك والإتجاه. ولذلك ينبغي أن يكون حجم الترغيب والترهيب يتوافق مع حجم ونوعية ما وضع من أجله[1].

٢ ـ مصدر الترغيب والترهيب:

إن قوة الترغيب والترهيب تتأثر من حيث فعاليتها بالمصدر الذي ورد منه ذلك، فالترغيب والترهيب الوارد من الوالد المعروف عنه الحزم، سيكون لترغيبه وترهيبه أثر على نفسية المتربي، بعكس الأب الذي عُرف عنه السماحة الدائمة، والملاطفة التي تخرج به عن الحد المطلوب. وقس على ذلك المعلم، وغيره ممن يتولى أموراً تربوية.

٣ ـ مراعاته لحاجات الإنسان:

من أبرز عوامل نجاح الترغيب والترهيب مراعاته لحاجات الإنسان ،

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ص (١٥٦).

فإذا كان الترغيب لا يلبي مطالب المتربي، فإنه لا يأبه به، وبالتالي يكون ضعيف التأثير، فقد يُرغب الفرد بأشياء لا يحتاج إليها، أو أنها لا تشبع رغباته، وبالتالي فإنه لن يبالي بها، وكذلك الترهيب إذا كان أقل في مردوده مما نُهي عنه، أو أُمر به، فقد لا يكون له التأثير الفاعل.

الأخطاء التربوية في استخدام الترغيب والترهيب:

١ ـ أن يَعِدَ المربي المتربي بوعود ترغيبية، ثم لا يفي بوعده. وهذا يغرس فيه عدم الثقة في وعود المربي سواء كان أباً أو معلماً. إضافة إلى أنه يُعلم المتربي الكذب، كنتيجة تربوية لما يشاهده من سلوك القائم على أمره.

٢ ـ أن يَعِدَ المربي المتربي بوعود عقابية، ثم لا ينفذ شيئاً من ذلك على وجه الإستمرار، وهذ يجعل المتربي لا يأبه ولا يكترث لتهديدات المربي، لأنه يعرف أنها بعيدة عن التطبيق، وبالتالي تقل جدواها التربوية.

٣ ـ الإفراط في استخدام الترغيب أو الترهيب، فيصبح أثرهما ضعيفاً لكثرة ما يسمع ذلك من أبويه أو من معلمه.

٤ ـ الإفراط في الترهيب دون الترغيب، مما يجلب اليأس عند المتربي، حيث لا يقرع سمعه إلا العقاب، والتهديد.

٥ ـ الإفراط في الترغيب دون الترهيب، مما يدفع المتربي على التمادي، والتراخي، وعدم الجدية. ولا يعني هذا أن يتجه للترهيب، بل تقديم الترغيب أولى، يقول ابن سحنون في وصيته لمعلم ابنه: لا تؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام، وليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف[1].

---

(١) أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، ص (١٣٠).

ولكن هناك مواقف يظهر فيها أولوية الترهيب، ومثال ذلك: أن يقترف الإبن إثماً أو عملاً مشيناً، فالأولى هنا الترهيب.

فالمقصود أن على المربي أن يعتدل في استخدام الترغيب والترهيب، وأن يوائم بينهما، فلا يغلب أحدهما على الآخر، وأن يستخدم كل واحد منهما بحسب الحاجة.

المبحث الرابع
الموعظة

مفهوم الحكمة والموعظة:

كلما كان هناك ارتباط بين الموعظة والحكمة فإنه يَحْسُن في هذا المقام بيان معناهما، ووجه الترابط بينهما.

الحكمة هي: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم[1] وأفضل العلوم: علم الكتاب والسُّنَّة. وقيل إن الحكمة هي: المقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة[2] ومن معاني الحكمة: العلم والفقه، والإصابة في القول[3].

والموعظة هي: النصح والتذكير بالعواقب، وهي تذكير للإنسان بما يُلَيِّن قلبه من ثواب وعقاب.[4].

ومن ذلك يتضح لنا أن الحكمة والموعظة هي: القول السديد الذي يرقق القلوب، ويحفزها لطاعة الله تعالى.

والموعظة مرتبطة بالحكمة تماماً، لأن الواعظ إذا فقد الحكمة ربما وضع الأمر في غير موضعه، وأساء في ذلك باختيار الوقت غير المناسب

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (١٢/ ١٤٠).

(٢) الزمخشري، الكشاف (٢/ ٣٤٩).

(٣) وقد أورد ابن الجوزي في معنى الحكمة أحد عشر قولاً، انظر زاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٨٠).

(٤) ابن منظور، لسان العرب (٧/ ٤٦٦).

والألفاظ غير الملائمة لحال المدعو، والمكان الذي لا يناسب الحال.
فمن هنا تلازمت الموعظة والحكمة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[1].

أهمية الموعظة:

إن في القلوب شفافية عجيبة، تظهر وتتأثر بالكلمات الرقيقة وبالمواقف المؤلمة التي تستعطف العواطف فتعدو بها نحو الخير. وفي الجانب الآخر تجد في القلوب قسوة عجيبة حتى أن بعضها كالصخور الصلدة، أو أشد من ذلك، وقد بين الله تعالى حال تلك القلوب من حيث اللين والقسوة، فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[2] فهذا يتمثل في قلوب الذين يخافون مقام الله تعالى، فتجد قلوبهم تتأثر بكلام الله عز وجل ويستجيشها ما فيه من الوعد والوعيد. وترى المبتعد عن سماع كلام الله تعالى في قلبه قسوة، فهو يقتل ويبطش ويظلم، دون وازع يردعه.

قال عزوجل عن قسوة قلوب بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3].

فبعض القلوب القاسية لا يلينها إلا المواعظ بما في كتاب الله تعالى وبما في سُنَّة نبيه ﷺ، حيث قال تعالى عن تأثير القرآن الكريم على الجبال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾[4].

---

(١) سورة النحل: آية رقم (١٢٥).

(٢) سورة الزمر: آية رقم (٢٣).

(٣) سورة البقرة: آية رقم (٧٤).

(٤) سورة الحشر: آية رقم (٢١).

فلو كان الناس في القسوة وصلابة القلوب كالجبال الرواسي، فإن هذا القرآن له تأثير عليها، فلو أُنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله تعالى. أي لكمال تأثيره في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيه محتوية على الحِكَم والمصالح المقرونة بها، وهي من أسهل شيء على النفوس[1].

إذاً فهذه الشفافية التي في القلوب داعية إلى استخدام المواعظ المؤثرة التي تبين لها الطريق وتردها للحق، كما أن القسوة القلبية التي توجد في بعض القلوب في أمس الحاجة إلى المواعظ القرآنية والنبوية التي تقتلعانها من حمأة الرذيلة وانحراف العقيدة، إلى سُبل السلام والهداية.

أركان الموعظة:

تختلف الموعظة أُسلوباً، ومحتوىً بحسب حالة الموعوظ، ثم يظهر تأثيرها بحسب إخلاص الواعظ وفهمه لمن يُرشده، وبراعته الوعظية والعلمية، والموجز عنها فيما يلي:

أ ـ الواعظ:

يعتبر الواعظ هو المترجم لمحتويات الموعظة، صوتاً ولفظاً، وبقدر علمه وبراعته في الإلقاء، واختيار الوقت والموقف يكون أثر الموعظة، كما أن لأخلاقه وسيرته الحسنة الأثر الفاعل في تفاعل الموعظين بما يقول. فالشخص الذي عرف بغلظة العبارة، وقسوة التعامل ينفر الناس منه ومما يقول، وقد كان ﷺ مثالاً رائعاً وقدوة سامية في جميع الجوانب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾[2] فهذه الآية الكريمة تبين لنا الخُلُق الجاذب والمؤثر في النفوس البشرية، وتوضح السلوك المنفر المُبعد والمتمثل في الفظاظة قولاً وفعلاً.

---

(١) انظر: السعدي، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/٢١٣-٢١٤).

(٢) سورة آل عمران: آية رقم (١٥٩).

ب ـ الموعوظ:

يتباين الأفراد من حيث رقة قلوبهم، ومن حيث معاندتهم للحق، ومن حيث علمهم وجهلهم بالأمور الشرعية.

ولكي تنجح موعظة المربي وتؤثر في قلب من يعظه لا بد وأن يكون عارفاً لحالة المتربي وأحواله، والتي منها:

١ ـ إما أن يكون طالباً للحق محباً له، مؤثره على غيره إذا عرفه، فهذا لا يحتاج إلى جدال، وإنما يحتاج إلى تعليم وتبصير، مع موعظة تشحذ همته وتثير عواطفه نحوتطبيق ما عرف.

٢ ـ وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة المليئة بالترغيب والترهيب، بحيث تثير عواطفه للإقلاع عن ما هو مشتغل به عن الحق، وإيثار الآخرة والعمل لها.

٣ ـ وإما أن يكون الموعوظ معانداً معارضاً، فهذا يجادل بالتي هي أحسن[1] مع قدر كبير من الوعظ الذي يرغبه في قبول الحق والإستسلام له، وترهيبه إن حاد عن الطريق، واتبع غير سبيل المؤمنين.

كما ينبغي التعرف على ما لديه من معتقدات خاطئة، ودحضها بالحجج الدامغة، كما فعل عبدالله بن العباس مع الخوارج في قصته المعروفة.

ففي كل الحالات نجد أن المدعو محتاج إلى الموعظة التي تستجيش عواطفه نحو حب الخير والعمل به، وبغض الشر واجتنابه. فالأول لا يحتاج إلى إطالة بقدر ما يحتاج إلى بيان الحق وتعريفه له، وموعظة تشحذ همته نحو تطبيق ما سمعه، والثاني يحتاج إلى قدر أكبر من الوعظ الذي يجعله يُقلع عما اعتاده، لأن القلوب تستثقل ترك المألوف، فتكون الموعظة

---

(١) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن حسن آل الشيخ، ص (٨١).

لازمة له بقدر ما يجعل المألوف أضعف في نفسه من مشقة العمل بالمطلوب، وأما الصنف الثالث: فهو يحتاج إلى الموعظة المليئة بالترهيب من عاقبة العصيان والتمرد واتباع غير سبيل المؤمنين، والترغيب في اتباع الحق والعمل به وايثاره على شهوات النفس وحظوظها، مع دحض معتقداته بالحجج الدامغة.

ج ـ الموعظة:

لكي تؤتي الموعظة أُكلها بإذن ربها، لا بد وأن تكون بعيدة عن الإطالة من غير حاجة وضرورة ملحة، وعن التكرار الممل، وأن تناسب المقام والحال، وأن تكون نابعة من قلب مخلص، ومتنوعة في محتواها، مشتملة على شيء من الترغيب والترهيب، ومتضمنة للعبرة التي تحرك الوجدان، وعلى ضرب الأمثال التي توضح وتقرب المعنى وتؤثر في أولي الألباب، وعلى القصة الواعظة التي تستثير القلوب، وتشحذ الهمم نحو التمسك بالحق وإن استثقلته النفس.

المبحث الخامس

العقاب

مفهوم العقاب:

العقاب: أن تجزي الرجل بما فعل سواءً، والإسم العقوبة[1].

وهناك فرق بين الترهيب والعقاب، إذ إن الترهيب يكون قبل وقوع الحدث، أو بعد وقوعه، والمراد منه التخويف من الوقوع في الخطأ، أو تكرار حدوثه، وهو جانب معنوي، في حين أن العقاب يكون بعد وقوع المخالفة، وهو واقع في حق من طُبق في حقه ذلك.

أهمية العقاب:

يعتبر العقاب من الوسائل التربوية التي لا يمكن الإستغناء عنها بأي حال من الأحوال، ذلك أن طبائع البشر تختلف في درجة الإستجابة للمؤثرات والوسائل التربوية، فالبعض يتعظ بالموعظة، أو بالترغيب، أو الترهيب، أو الحوادث والعبر التي يشاهدها أو يسمعها، والبعض لا يستجيب لتلك المؤثرات التربوية، ولا ينفع معه إلا الألم الذي يباشر بدنه.

وبالرغم من تنوع الأسلوب العقابي إلا أن الناس يتفاوتون في درجة التأثر بدرجاته، فالبعض يستجيب للعذل، أو التقريع، أو ألم عدم الرضا عنه، وجميعها آلام معنوية، ولكن البعض لا يتأثر إلا بألم بدني مباشر كالضرب.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، (١/٦١٩).

وهذا يعطي مؤشراً بأهمية التعرف على أنواع العقوبة، وأنها ليست محصورة في الألم البدني، بل هي أنواع ودرجات، ولكل منها أثر وتأثير مناسب لاختلاف طبائع الأفراد.

أنواع العقاب:

تتنوع العقوبات التربوية بما يحقق للمربي اختيار الأسلوب المناسب لطبيعة المتربي والتدرج في ذلك، فما دون العقوبات التعزيرية والحدود الشرعية، يمكن تقسيم العقوبات التربوية إلى ما يلي:

١ ـ عدم الرضا (الجفاء).
٢ ـ التقريع.
٣ ـ الحرمان.
٤ ـ الهجر.
٥ ـ الضرب.

ينبغي أن لا يعمد المربي إلى أسلوب العقوبة إلا إذا لم تؤثر الأساليب التربوية الأخرى، لأن ذلك مضر به، يقول ابن خلدون في مقدمته: ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر، وضيق عن النفس انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب، والخبث: وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه.[١].

ويمكن إيضاح أنواع العقوبات فيما يلي:

١ ـ عدم الرضا (الجفاء):

وهو إشعار المتربي بالجفاء والاكفهرار. وهنا على المربي أن لا يبادر المتربي بالضرب إذا لم يستجب لأسلوب النصح والإرشاد، بل يأخذه بالتدرج العقابي الذي يبدأ بإشعار المتربي بعدم الرضا عن سلوكه، سواء

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص (٥٤٠).

كان فعلاً أو قولاً. ويكون عدم الرضا بالعبوس في وجهه، وعدم إعطائه الأهمية التي كان يحتلها، ونحو ذلك.

فإن لهذا النوع العقابي تأثير بالغ على المتربي، سيما إذا كان صادراً من مربٍّ محبوب، فإن عدم رضاه له تأثير نفسي بالغ الأثر. ولذلك تجد بعض الأبناء والطلاب سرعان ما يعتذرون لوالديهم أو لأساتذتهم إذا رأوا منهم عدم الرضا عنهم.

٢ ـ التقريع:

والدرجة الثانية من درجات العقوبات التربوية التقريع، فعلى المربي أن يلجأ إلى العذل والتقريع بالكلام من غير شتم، فذلك من العقوبات التي ترمي إلى استغلال الخوف الأدبي ليحفظ المرء كرامته بين أفراد المجتمع[١].

لكن من الأخطاء التربوية أن يتجاوز التقريع الحدود الأدبية ليصبح توبيخاً وشتماً بألفاظ بذيئة، وكلمات سليطة، تجرح مشاعر المتربي، وتجعله يُبغض المربي، وربما تعلم منه ما لا يليق من الألفاظ البذيئة.

فالتقريع أسلوب تربوي عقابي إذا أحسن المربي استخدامه.

٣ ـ الحرمان:

الحرمان هو منع المتربي مما يُحب ولا يُلحق به ضرراً، وهي مرحلة لا يبدأ بها المربي إلا إذا أعيته ما قبلها من الأساليب العقابية.

ويكون ذلك في مواضع متنوعة ومتعددة، مثل: عدم السماح له باللعب مع أقرانه، أو عدم الذهاب به إلى نزهة يحبها، أو منعه من شراء بعض الكماليات، وهذا يكون لبعض الوقت ولا يأخذ صفة الإستمرارية.

وبالرغم من قوة تأثير هذا الأسلوب إلا أن التمادي فيه، بمجاوزة الحد، له انعكاسات خطيرة على سلوك المتربي، قد تؤدي به إلى الإنحراف

---

(١) أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، ص (١٣١).

السلوكي، من أجل إشباع ما حُرم منه. كما أنه لا يُعمد لهذا الأسلوب إلا إذا أعيته الوسائل التربوية الأخرى ولوقت يسير.

٤ ـ الهجر:

الهجر ضد الوصل،[١] وهو ترك الشخص مكالمة الآخر إذا تلاقيا[٢].

والمقصود منها هنا حمل المهجور على ترك المخالفة للشرع الحكيم، إذا تطلبت المعالجة مثل هذا الأسلوب.

والهجر كأسلوب تربوي، يحصل من الزوج لزوجته، والوالد لولده، والمعلم لتلميذه، ونحو ذلك.

والأصل في الهجر بين المسلمين أنه يحرم إلا بسبب موجب، وعلى الوجه المشروع، قال ﷺ: (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال)[٣]. قال الإمام النووي: قال العلماء: تحرم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال بالنص، وتباح في الثلاث بالمفهوم. وإنما عفي عنه في ذلك لأن الآدمي مجبول على الغضب، فسمح بذلك القدر ليرجع ويزول ذلك العارض[٤] وقال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه لا يجوز الهجران فوق ثلاث إلا لمن خاف من مكالمته ما يُفسد عليه دينه، أو يدخل منه على نفسه أو دنياه مضرة، فإن كان كذلك جاز، ورُبَّ هجر جميل خير من مخالطة مؤذية[٥]، وقال ابن حجر: هناك مقامان أعلى وأدنى، فالأعلى اجتناب الإعراض جملة فيبذل السلام والكلام والمودة بكل طريق، والأدنى الاقتصار على السلام دون غير، والوعيد الشديد إنما هو لمن ترك المقام

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٥/ ٢٥٠).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١٠/ ٤٩٢).

(٣) البخاري (٤/ ١٠٥) برقم (٦٠٧٦).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (١٠/ ٤٩٢).

(٥) المرجع السابق (١٠/ ٤٩٦).

الأدنى، وأما الأعلى فمن تركه من الأجانب فلا يلحقه اللوم، بخلاف الأقارب فإنه يدخل فيه قطيعة الرحم[١].

وقد جعل الله تعالى هجر الزوجة التي يخاف نشوزها أسلوباً علاجياً لذلك، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾[٢] وقد هجر ﷺ نساءه شهرا[٣]، وهجر ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم خمسين ليلة[٤]، وهجرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ابن الزبير مدة.[٥].

ومن ذلك يتبين لنا أن الأصل في هجر المسلم لأخاه المسلم محرم إلا إذا كانت هناك مصلحة شرعية في ذلك، لتربيته ورده إلى الصواب بهذا الأسلوب، ويجب أن يكون هذا الهجر التربوي وفق النصوص الشرعية وعلى ضوء أقوال العلماء السابق ذكرها.

٥ ـ الضرب:

الضرب معروف وهو إيقاع الألم على جسد المضروب بعصا أو بشد الأُذن، أو نحو ذلك.

وقد أكدت التربية الإسلامية هذه العقوبة في مواضع متعددة، مثل نشوز الزوجة، وتأديب الولد على الصلاة، وفي بعض الحدود والتعزيرات.

ففي تأديب الزوجة قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾[٦] وفي تأديب الولد على الصلاة قال ﷺ: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع)[٧] وكان ابن عمر يضرب ابنه

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (١٠/ ٤٩٦-٤٩٧).
(٢) سورة النساء: آية رقم (٣٤).
(٣) أحمد (١/ ٢٣٥).
(٤) مسلم (٤/ ٢١٢٠-٢١٢٦).
(٥) انظر الحديث في البخاري (٤/ ١٠٥) برقم (٦٠٧٣).
(٦) سورة النساء: آية رقم (٣٤).
(٧) أبوداود (١/ ٣٣٤) برقم (٤٩٥).

على اللحن[١] وقال الإمام أحمد: الولد يُضرب على الأدب[٢].

قواعد الضرب:

١ ـ ينبغي أن لا يكون الضرب للتشفي، لأن ذلك يؤدي بالمؤدب إلى مجاوزة الحد في ذلك.

٢ ـ أن يكون الضرب غير مبرح، وهو الذي لا يكسر عظماً، ولا يشين جارحة كاللَّكْزة[*] ونحوها، وهذا يكون في تأديب الزوجة، وفي ضرب المؤدب غلامه للتعليم والأدب[٣]. وسئل الإمام أحمد عن ضرب المعلم الصبيان؟ فقال: على قدر ذنوبهم ويتوقى بجهده الضرب[٤].

٣ ـ أن لا تكون أداة الضرب غليظة فتكسر عظماً، ولا رقيقة فتؤلم الجسم، ولكن تكون بين ذلك.

٤ ـ إن لا يكون صغيراً لا يعقل.

٥ ـ أن لا يُزاد فوق عشر ضربات لقوله ﷺ: (لا يُجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله)[٥] فلا يُزاد على العشر في التأديبات التي لا تتعلق بمعصية، كتأديب الأب ولده الصغير[٦].

٦ ـ أن لا يضرب في الأماكن القاتلة[**].

---

(١) البخاري، الأدب المفرد، برقم (٨٨٣) ص (٢٩٥).
(٢) ابن مفلح، الآداب الشرعية (١٤٥١).
(*) اللَّكْز: الضرب بالجُمع على الصدر، وقيل في جميع الجسد. مختار الصحاح، ص (٦٠٣).
(٣) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١١٣).
(٤) ابن مفلح، الآداب الشرعية (١/ ٤٥١).
(٥) البخاري (٤/ ٢٦٢) برقم (٦٨٤٨).
(٦) ابن حجر، فتح الباري (١٢/ ١٧٨).
(**) للمزيد عن التأديب في هذا الباب انظر: كتاب التربية في الإسلام، لأحمد فؤاد الأهواني، ص (١٣٢-١٣٧) وكتاب منهج التربية النبوية للطفل، لمحمد نور سويد، ص (٣٥٧-٣٧٤).

فهرس المراجـــع



فهرس

- القرآن الكريم.

أ

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم: أسد الغابة (د.م): الشعب، ١٩٧٠م.
- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق أحمد طاهر الزواوي، ومحمود محمد الطناجي، بيروت: دار الفكر (د.ت).
- أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ط٣، بيروت: دار الرائد العربي،١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
- أحمد بن محمد بن حنبل: المسند، وبهامشه منتخب كنز العمال،ط٥، بيروت: المكتب الإسلامي،١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة (د.ت).

ب

- البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، شرح وتحقيق محب الدين الخطيب،ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر ومراجعة قصي محب الدين الخطيب، ط١، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٤٠٠هـ.
- برهان الدين الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، تحقيق صلاح

محمد الخيمي، ونذير حمدان، ط٢، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

- بكر بن عبدالله أبو زيد: حلية طالب العلم، ط٢، الرياض: دار الراية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

ت

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر، مكة المكرمة: دار البار (د.ت).

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم: رسائل من السجن، جمع محمد العبدة، ط٤، الرياض: دار طيبة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

- ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

- ابن تيمية: مجموع الرسائل الكبرى، (د.م): دار الفكر ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

- ابن تيمية: الفتاوى، جمع وترتيب عبدالرحمن محمد العاصمي النجدي وساعده ابنه محمد، (د.م)، (د.ت) ١٣٩٨هـ.

ج

- ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ضبط نعيم زرزور، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

- ابن الجوزي: الحث على حفظ العلم، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

- الجويني، عبد الملك بن عبدالله بن يوسف: الورقات، تقديم عبد اللطيف محمد العبد، القاهرة: مكتبة دار التراث، ٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

- ابن جماعة، بدر الدين: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

ح

- الحاكم، أبي عبدالله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، تبويب محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار المعرفة(د.ت).
- الحربي، أبي اسحاق ابراهيم بن إسحاق: غريب الحديث، تحقيق سليمان ابن ابراهيم العابد، مكة المكرمة: جامعة ام القرى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

خ

- ابن خلدون، عبدالرحمن: المقدمة،بيروت: دار مكتبة الهلال (د.ت).

د

- أبو داود،سليمان بن الأشعث الأزدي: سنن أبي داود، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد،ط١، بيروت: دار الحديث، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

ذ

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤط،وآخرين، ط٦، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

ر

- الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة (د.ت).
- ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين: جامع العلوم والحكم، بيروت: دار المعرفة (د.ت).

ز

- أبو زهرة، محمد: تنظيم الإسلام للمجتمع، (د.م) (د.ن) (د.ت).

س

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جدة: دار المدني، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: القواعد والأصول الجامعة، ط١، (د.م): دار الوطن للنشر، ١٤١٣هـ.

ش

- الشاطبي، أبي اسحاق ابراهيم اللخمي: الموافقات في أصول الأحكام، (د.م) دار الفكر، ١٣٤١هـ.

- شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي المكي: الخيرات الحسان، تحقيق خليل الميس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ص

- صالح بن عبدالعزيز آل منصور: موقف الإسلام من الخمر، ط٣، القاهرة: دار النصر للطباعة الإسلامية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

ط

- طريفة الشويعر: الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي، جدة: دار البيان العربي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

ع

- عادل عبدالله السعيدان: ايقظ الهمة لطلب علم الكتاب والسُّنَّة، (د.م) (د.ن) (د.ت).

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي: بهجة المجالس وأُنس المجالس، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

- عبد الحميد الصيد الزنتاني: اسس التربية الإسلامية في السُّنَّة النبوية، ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.

- عبد الرحمن عبد العزيز القاسم، نظرية العرف كمصدر للأحكام، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد الثالث، السنة الأولى١٤١٠هـ.

- عبد الله السيد عبد الجواد: الوظائف الاقتصادية والاجتماعية للتربية والتخطيط لإنجاحها، ط١، مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- عبدالمجيد سيد أحمد منصور: مذكرة في علم النفس التربوي.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح: الأصول من علم الأصول، ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر،١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ابن عثيمين: محاضرة في الأخلاق.
- عصام عيتاوي: الطفل في ضوء التربية الإسلامية،(د.م) مؤسسة الوفاء، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

ف

- فؤاد أبو حطب، آمال صادق: علم النفس التربوي، ط١، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٧م.
- الفتوحي،تقي الدين أبي الفداء محمد شهاب الدين: شرح الكوكب المنير، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة: مطبعة السنة الحمدية، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

ق

- القرطبي، أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ابن قيم الجوزية،شمس الدين محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ابن قيم الجوزية: اغاثة اللهفان، تحقيق محمد سعيد كيلاني، بيروت: النور الإسلامية (د.ت).
- ابن قيم الجوزية: تحفة المودود، تحقيق محمد بشير عيون، ط٢، دمشق: الطائف: دار البيان، المؤيد، ١٤٠٧هـ.

- ابن قيم الجوزية: الفوائد، تحقيق عبد السلام شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- ابن قيم الجوزية: زاد المهاجر، تعليق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط٢، مصر: مكتبة الإمام البخاري، ١٤١١هـ.
- ابن قيم الجوزية: رسالة إلى كل مسلم، مراجعة اسامة محمد عبد العظيم، ط١، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

ك

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

م

- محمد الأمين الشنقيطي: مذكرة في أصول الفقه، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
- مالك بن أنس: الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.
- الماوردي، أبو الحسن علي البصيري: كتاب أدب الدنيا والدين، تحقيق محمد صباح، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.
- مقداد يالجن: جوانب التربية الإسلامية، بيروت: مؤسسة دار الريحاني، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الحديث (د.ت).
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت: دار صادر (د.ت).

ن

- نبيل السملوطي: الإسلام وقضايا علم النفس، ط٢، جدة: دار الشروق، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
- النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب: سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، ترقيم عبد الفتاح أبو غدة، ط١، بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- النووي، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

هـ

- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك محمد بن هشام بن أيوب الحميري: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بيروت: دار القلم (د.ت).
- أبو هلال العسكري: الحث على طلب العلم، تحقيق مروان قباني، بيروت: المكتب الإسلامي،١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- الهيثمي،نور الدين علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحرير الحافظين العراقي وابن حجر، القاهرة، بيروت: دار الريان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الباب الثاني

أهداف التربية الإسلامية

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الباب الثالث

أصول التربية الإسلامية

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة